الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطية الشّعبيّة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس.

كلّية الآداب واللّغات والفنون

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

الدّلالة الصّوتية للفاصلة القرآنيّة

رسالةمقدّمة لنيل درجة دكتوراه في اللّغة العربية وآدابها.

* إعداد الطالبة: فطيمة بورحلة

* إشراف: أ.د. أمينة طيبي

أعضاء اللّجنة المناقشة:

- د. رفاس سميرة.....أستاذ التّعليم العالي... (جامعة سيدي بلعباس).....رئيسا
- أ.د.طيبي أمينة...أستاذ التّعليم العالي..(جامعة سيدي بلعباس)..... مشرفا ومقررا
- د.شعيب سليمة..أستاذ التّعليم العالي.. (جامعة سيدي بلعباس)...عضوا مناقشا
- أ.د. شارف عبد القادر.أستاذ التّعليم العالي..(جامعة شلف)..... عضوا مناقشا
- أ.د.عزوز أحمد.....أستاذ التّعليم العالي...(جامعة وهران).... عضوا مناقشا
- د.بلي عبد القادر...أستاذ محاضر..(المركز الجامعي عين تموشنت)..عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2016-2017م/1437/1438هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ
قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109)

سورة الكهف

شكر و تقدير

مصداقا لقوله تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿إبراهيم/7 ﴾، أحمده تعالى - أوّلا وآخرا

-

أن منّ عليّ بفضله وأكرمني ويسّر لي إتمام هذا البحث فكم أجابني ولم يردّني وأنا مضطرة ، وكم طرقت بابه في الشدائد فكان لي خير معين فلك الشكر على ما أعطيت ...

وإقرارا بالفضل والعرفان(من لا يشكر الناس لا يشكر الله) وردا للمعروف إلى أهله من غير نكران ولا نقصان، أتقدم بالشكر الوفير إلى أستاذتي الموقرة الدكتورة أمينة طيبي التي تفضّلت عليّ وتكرّمت بقبول الإشراف على هذه الأطروحة ، وصبرت على رعايتها فقد أعطتني من وقتها الثمين ووجهتني حتى استوت هذه الأطروحة على ساقها.. فأسأل الله تعالى أن يزيدها نورا على نور ...

ولا يسعني إلا أن أجزل بإخلاص وصدق، آيات الشكر وعبارات الامتنان والعرفان، لأستاذي المحترم الدكتور المهدي بوروبة- حفظه الله ورعاه- الذي لم يضنّ عليّ بإسداء النصح والتوجيه وتقديم الأفكار وإنني لأرجو الله تعالى أن يمدّه بطول العمر والعافية .

كما أتوجه بالشكر العميق إلى كل من ساهم في مناقشة هذه الأطروحة من أساتذة موقرين-

جزاهم الله كلّ خير-

وفي الأخير لا يفوتني أن أشكر جميع من مدّ لي يد العون من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث، فبارك الله فيهم جميعا وجزاهم عنّي كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

إهداء

للنجاح أناس يقدرون معناه ... وللإبداع أناس يحصدونه...

وقد تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر...

إلى من رضا الله في رضاها وكلل مسيرتي بالنجاح دعاؤها .....أمي حفظها الله ورعاها.

إلى الذي قدم لي يد العون ماديا ومعنويا وسهر بجانبي يعينني ويشجعني وصبر عليّ طوال إعداد البحث ...زوجي الكريم.

وبكل الحب والوفاء أتقدم بكلمة حبّ وتقدير وتحيّة وفاء وإخلاص،إلى إخوتي وأخواتي .....

ومن قلب ملؤه الحب والحنان أهدي ثمرة هذا العمل إلى ولدي محمد عبد الهادي

فطيمة

مقدّمة

انفرد القرآن بدقّة عبارته، وعلوّ وسموّ لغته عن لغة البشوقد بينّ الحق - تبارك وتعالى-هذا إذ تحدّى العربوهم أمّة الشّعر والبيان أن يأتوا بسورة من مثله، ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(88) ﴾[سورة الإسراء]، فأدركوا منذ الوهلة الأولى أن ليس بمقدورهم ذلك وأنّ القرآن ليس من كلام البشر .

ولا شكّ أنّ الجمال الفنيّ للقرآن الكريم يتجلّى في نظم آياته وتناسب سوره وفواصله، فالفاصلة القرآنية معجزة من معجزات هذا الكتاب، وآية من آياته الباهرة وهي أحد الرّوابط الهامّة التي تشدّ القرآن بعضه إلى بعض لتظهر جانبا هامًّا من الجوانب الاعجازية له، وقد أجمع أغلب العلماء ممّن كتبوا في إعجاز القرآن الكريم أنّ الفاصلة القرآنية لها علاقة وثيقة بموضوع السّورة بحيث لا يسدّ غيرها مسدّها.

حيث ارتبطت ألفاظ القرآن وكلماته في الآية الواحدة، وارتبطت آياته بعضها في السّورة الواحدة، وارتبطت سوره ببعضها في القرآن كلّه. فهو المعجزة الخالدة بفصاحة لفظه وبلاغة أسلوبه.

واستكمالا لجهود المخلصين من علمائنا الأجلاّء السّابقين منهم واللاّحقين في إظهار هذه الجوانب الاعجازية والوقفات البيانيّة الكامنة في القرآن الكريم والذين خاضوا غمار هذا البحر المتلاطم الأمواج، كانوا كمن يجمع اللؤلؤ من قيعان البحار، ويلتقط التّبر من بين ذرّات الرّمال، أظهروا السّبب الذي أعجز أهل الفصاحة والبيان عن محاكاة ومضاهاة القرآن، لذا وقع اختياري على موضوع الدّلالة الصّوتية للفاصلة القرآنية دراسة تطبيقية لسورة مريم .

تعدّ الكلمة القرآنية مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني، والفاصلة القرآنية هي كلمة في آخر الآية، هذه الكلمة كغيرها من كلمات القرآن اختيرت اختيارا دقيقا لتؤدّي

الر ّسالة التي جاءت من أجلها ويظهر فيها إعجاز القرآن وهذا هو حظّ الفاصلة من الإعجاز.

وقد جعل **القاضي عبد الجبار** شيخ المعتزلة وعالمها اختيار الكلمة نفسها دعامة من دعامات فصاحة القرآن الكريم، ويرى **القاضي ابن عطية**أنّ كتاب الله لو نزعت منه لفظةثمّ أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، وكتب**فضل عبّ اس** بحثا بعنوان (المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز) فلا يظهر إعجاز الكلمة أو الفاصلة إلا عند اتّصالها بباقي الكلمات في الآية، ويرفض محمد الحسناوي أن تكون الكلمة المفردة بحدّ ذاتها معجزة.

فإعجاز القرآن عند المحقّقين من أهل العلم يظهر بنظم القرآن الكريم لا بكلماته المفردة، وعليه فالفاصلة القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز بموقعها من الآية واتصالها بها وباختيارها دون غيرها.

ومن **أهداف البحث وغاياته** :

- مراعاة الفاصلة القرآنية للمعنى قبل المبنى .
- الوقوف عند الملامح الجماليّة للفاصلة القرآنية
- توضيح الفرق بين الفاصلةقلرآنية والسّجع ؟
- دراسة معنى الفاصلة القرآنية في سورة مريم دراسة تطبيقيّة وذلك بالاستناد على المصادر والمراجع التّفسيرية المختلفة .

لذا تبادر إلى لماذا لا تقدّم بحوث تكشف النّقاب عن تلك القوّة الخفيّة التي تثيرها الأصوات المنبعثة من لغة القرآن التي بلتقت السّماء مع الأرض، وعانق الخيال الواقع، والغيب الشّهادة، والماّدّ الرّوح.

فما موضع السّحر في هذا النّسق المعجز؟ وما سبب هذا التّأثير السّاحر له في النّفوس حين سماعه؟.

وتعود **أسباب اختيارنا** لموضوع إلى جوانب عدّة، لعلّ أهمّها ابتغاء مرضاة الله تعالى وخدمة كتابه العزيز، ثمّ رغبة منيّ في دراسة هذا الموضوع دراسة متخصّصة مستقلّة محكمة، مع تشجيع الأستاذة المشرفة لهذا الموضوع والخوض في غماره بإضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية، خاصّة وأنّ البحث يمتّ بصلة بالدّراسات الصّوتية واللّسانية التي أخذ الاحتفاء بها يتنامى في العشريات الأخيرة من هذا القرن والتي تتطلّب منهجيّة علميّة حديثة تتوخّى الموضوعيّة وعقلانيّة الطّرح لكي تثمر وتتنامى.

لذلك كان لزاما عليّ أن أتناول الموضوع بالرّبط بين آراء ووجهات نظر المفسّرين والنّحويين فالتزمت بما يقتضيه عنوان البحث من تركيز على الدّلالة الصّوتية للفاصلة عبر السّورة المقترحة للتّطبيق كعيّنة تبلور بوضوح ما نطرحه ونرجوه.

وبعد البحث المستفيض في معظم الدّراسات السّابقة والتي لها صلة وثيقة بموضوع البحث استوقفتني مجموعة من المصادر كالبرهان في علوم القرآن للزّركشي، و الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي ، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية للرّافعي، والفاصلة في القرآن محمد الحسناوي، والتّصوير الفنيّ في القرآن وفي ظلال القرآن لسيّد قطب، والخصائص والمحتسب لابن جني...وغيرها من المصادر والمراجع التي أضاءت لي الكثير من جوانب الموضوع .

ونظرا لأنّ البحث يشتمل على جانب نظري وآخر تطبيقي، فإنّ **منهجية البحث** اختلفت باختلاف الفصلين النّظريّين والفصل التّطبيقي فقد استخدمت المنهج الاستقرائي والوصفي للفصلين الأوليين، والتحليلي للفصل الثّالث .

وقد اقتضى منيّ هذا الطّرح أن أفتتحه **بمدخل** عنونته **بالفاصلة القرآنية المفهوم والوظيفة** تناولت المفهوم اللّغوي والاصطلاحي للفاصلة، وعرّجت على القيم الجماليّة للفاصلة القرآنية، ثم ختمته بالوظيفة التي تؤديها الفاصلة في القرآن.

كما كرّست **الفصل الأول للدّراسة الصوتية للفاصلة**، فاستغرق الفصل ثلاثة مباحث كان أوّلها متعلّقا بالتّلقي والقرآن، وفئة المتلقّين، وتمحّض ثانيها للفرق بين السّجع والفاصلة، أمّا الثّالث فقد تناولت فيه علاقة الفاصلة بالوقف وتعرّضت للجانب الصّوتي في الظّاهرة .

وفي **الفصل الثّاني** كان البحث منصبّا على **الدّلالة الصّوتية** وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث أولها مفهوم الدّلالة الصّوتية، وتتبّعت مفهومها عند ابن جنيّ من خلال كتابه الخصائص ومظاهرها في القرآن، لنصل إلى صوتيّات الدّلالة في القرآن الكريم.

أما **الفصل الثّالث** فقد خصّصته للجانب التّطبيقي حيث درست علاقة الفواصل بالمعنى من خلال **سورة مريم** نموذج تطبيقي لإبراز ما توصّلت إليه من نتائج وما قدّمته من أفكار وطروحات خلال الجانب النّظري.

وقد قسّمته بدوره إلى ثلاثة مباحث درست في الأوّل سورة مريم ومحورها والجوّ الذي نزلت فيه، وخصّصت في الثّاني اختيار الفواصل وفقا لموضوع الآية في السّورة أمّا المبحث الثّالث فقد انصبّ على توضيح علاقة أصوات الفواصل بمعاني السّورة وذيّلته بدراسة النّتائج.

أمّا بالنّسبة **للصّعوبات** التي اعترضت البحث فهي متعدّدة منها ما يتعلّق بالمراجع المتخصّصة، ومنها ما يتّصل بظروف الباحث نفسه.

ولعلّ أهمّ العراقيل التي واجهتني في الوهلة الأولى صعوبة البحث في الدّراسات القرآنيّة والإحاطة بعلوم اللّغة، لتداخل مجالات البحث وتشعّبها بين علوم القرآن واللّغة .

والله أستعين في كل قول وعمل إليه قصدي وعليه المتّكل

فاطمة بورحلة

سيدي بلعباس 22-01-2017

مدخل

الفاصلة القرآنية المفهوم والوظيفة

القرآن الكريم كتاب الله معجز، وبحر زاخر لا تنقضي أسراره، ولا تنتهي عجائبه يلهم العقول والقلوب بقول محكم، تلك الحكمة أنبأت عنها لغة هي لغة القرآن التي جعلها في أسمى مراتب اللّغات فحظيت بشرف لغة الوحي، نستشفّ أسرارها في البيان وخصائصها في التّعبير والأداء .

والإعجاز اللّغوي في النّص القرآني حقيقة ظاهرة لا مراء فيها يلمسها كلّ من يدلف في صفحاته، ويعمل الفكر في آياته لعلّ ذلك ما أسجد الأعرابي حين سمع النّبي صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94)**﴾[سورة الحجر] فقال: سجدت لفصاحته.

ومن مظاهر إعجاز القرآن الكريم أنّ الكلمة فيه وردت في موضعها اللاّئق بها، فلا يمكن استبدالها بكلمة أخرى وإلاّ أدّى ذلك إلى اضطراب في الكلام ذلك أنّ(كلّ كلمة في القرآن الكريم اسما فعلا أو حرفا إنّما جاءت لتؤدّي رسالة خاصّة بها لا يؤدّيها غيرها من الكلمات)[1]. والفاصلة القرآنية كلمة من هذه الكلمات فهي مظهر من مظاهر الإعجاز البياني، وسرّ من أسرار التّعبير في القرآن.

أولا : الفاصلة في اللغة والاصطلاح :

1/ المفهوم اللغوي للفاصلة :

يعنى البحث بالتّوقّف عند التّعريف اللّغوي **للفاصلة** باعتبار هذه اللّفظة ذات وجود مزدوج في المعجمين اللّغوي والاصطلاحي معا، فإذا تتبّعنا دلالة لفظة **الفاصلة**في المعاجم العربيّة وجدنا لها أصل واحد تلتقي عليه الاستعمالات المختلفة فمادّة **(ف،ص،ل)** تعني البون ما بين الشيئين، و**الفصل** من الجسد: موضع المفصل و**الفاصلة:** الخرزة الّتي تفصل بين الخرزتين في

[1] - فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن، ورد شبهات)، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط،1987 م.

النّظام، وقد فصل النّظم، و**الفصل**:القضاء بين الحقّ والباطل، و**المفصل** اللّسان، و**الفاصلة** في العروض:مجمع ثلاثة أحرف متحرّكة والرّابع ساكن مثل فعلن[1].

و**الفاصلة**: علامات الترقّيم في الكتابة العلامة الّتي توضع بين الجمل الّتي يتركّب منها كلام تامّ الفائدة.

وجاء في لسان العرب[2] **الفصل:**الحاجز بين الشّيئين فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشّيء فانفصل أي قطعته، و**الفاصلة**الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النّظام، والفصل: القضاء بينالحقّ والباطل.

2/ المفهوم الاصطلاحي للفاصلة:

حريّ بنا حين نتصدّى لاستيضاح المفهوم الاصطلاحي للفاصلة أن نبينّ أنّ مصطلح الفاصلة انبثق من رحم علم القراءات ثمّ انتقل من أئمّة القراءات إلى الدّرس البلاغي وعلم التّفسيرفإلى أي حدّ تحتفظ الدّلالة الاصطلاحية بالمعنى اللّغوي ؟

تباينت الاستعمالات لمصطلح الفاصلة في علوم العربيّة، غير أنّ استعمالها في (علوم القرآن)التّسمية المقتبسة من قوله تعالى في سورة هود ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(1)**﴾، وفي ذلك يقول **ابن قتيبة (ت276هـ)**:(**أحكمت**) أتقنت، شبه ما يحكم من الأمور المتقنة الكاملة، وبهذه الصّفة كان القرآن في الأول، ثمّ فصّل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره على محمد صلى الله عليه وسلم فثمّ على بابها، وهذه طريقة الإحكام والتفصيل، إذ الإحكام صفة ذاتية، والتّفصيل: ثمّإا هو بحسب من يفصّل له .... وحكى **الطبري(ت310هـ)**عن بعض المتأوّلين (**أحكمت**) بالأمر والنّهي، و(**فصّلت**) بالثّواب والعقاب...ونحو هذا من التّخصيص الذي هو صحيح المعنى ولكن لا يقتضيه اللّفظ، وقيل (**فصّلت**) معناه:فسّرت، وقال**الزّمخشري(ت538هـ)**: ثمّ فصلت كما تفصل القلائد

---

[1] - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار إحياء التراث، بيروت، ط2، 1426 هـ/2005 م، مادة فصل، ص745 .

[2] - ينظر، ابن منظور، لسان العرب،دار صادر، بيروت، دط، دت، مادة (فصل)، ج11، ص521

بالدّلائل، من دلائل التّوحيد والأحكام والمواعظ والقصص، أو جعلت فصولا سورة سورة، وآية آية، أو فرّقت في التّنزيل، ولم تنزل جملة واحدة[1] .

أمّا في موضع آخر وردت ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(3)﴾[سورة فصلت] قال **السّدّي(ت127هـ)** فصّلت آياته): بيّنت آياته)أي فسّرت معانيه ففصل بين حرامه وحلاله، وزجره وأمره، ووعده ووعيده...وقيل فصّلت بالمواقف، وأنواع أو آخر الآي، ولم يكن يرجع إلى قافية ولا نحوها كالشّعر والسّجع... وقرئ(فصّلت)بفتح الفاء والصاد مخفّفة. أي: فرّقتبين الحقّ والباطل[2].نجد مدلول الفاصلة هو التّفريق بين الآية التي قبلها، والآية التي بعدها.

وتعدّدت تعريفات العلماء لها في هذا المجال من قدماء ومحدثين: **أمالزّركشي (ت794هـ)** فقد استدلّ على آراء العلماءحيث[3] فرّق بين الفاصلة والسّجع بأنّها (كلمة آخر الآية، كقافية الشّعر وقرينة السّجع)[4]ونفى السّجع عن القرآن في قولهأمّا تجنّب أسجاع، فلأنّ أصله من سَجَعَ الطّيرُ ، فشُرّف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطّائر..ولأنّ القرآن من صفات الله عزّ وجلّ فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صحّ المعنى)[5]،

ثمّ يقسّم بعد ذلك الفواصل باعتبار **المتماثل** و**المتقارب** في الحروف وباعتبار **المتوازي** و**المتوازن** و**المطرّف** يبينّ أنّه قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها، وقد تختلف الفاصلتين في موضعين والمتحدّث عن واحد لحكمة عظيمة وفي المقابل قد تتّفق الفاصلتين والمتحدّث عنه مختلف وقد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن مستدلاّ بقوله تعالى بعد الأمر بغضّ البصر في سورة النّور ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)﴾ وقوله تعالى بعد الأمر بطلب الدّعاء والإجابة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا

---

[1]- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح وتع : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1413هـ/ 1993م، ج 5/ ص201 .

[2]- المصدر نفسه، ج7 ، ص 462 – 463 .

[3]وهم أبو عمرو الدّاني، إبراهيم الجعبري، الرّماني، و الباقلاني.

[4] الزّركشي بدر الدّين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1391 هـ/ 1972 م ، ج1، ص 53 .

[5]- المصدر نفسه ،ج1 ، ص54 .

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(186)﴾[سورة البقرة]، كما أشار **الزركشي** إلى طبيعة الصّلة بين الوقف والفاصلة فقال (إنّ مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمنصوب غير المنوّن، ومنه قوله تعالى:﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[سورة الصافات] ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ﴿قَدْ قُدِرَ﴾[سورة القمر]﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[سورة الرعد])[1]

على أن تناسب القراءة الوعد وموضع التّخويف والأمر والنّهي والاستمالة والاستعطاف والإغضاب والترّغيب والترّهيب... وما إلى ذلك من المقاصد والأغراض.

ويفرّق **أبو عمرو الدّاني(ت 444هـ)** أحد أئمة القراءات بين الفواصل ورؤوس الآي منتهيا من ذلك إلى أنّ الفاصلة هي الكلام المنفصل ممّا بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها،وكلّ رأس آية فاصلة،يولى كلّ فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النّوعين، وتجمع الضربين[2].

وهو بهذا القول يخالف جمهور العلماء إذ قد تشتمل الآية الواحدة على عدة جمل، وليست كلمة آخر الجملة فاصلة لها بل الفاصلة آخر كلمة في الآية ليعرف بعدها بدء الآية الجديدة بتمام الآية السّابقة لها.

والفاصلة عند **سيبويه (ت 180هـ)**تعني ما ينفصل عنده الكلام سواء أكان رأس آية أم لم يكن يقول (وجميع مالا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي،الفواصل قول الله عزّ وجلّ :"والليّل إذا يسر"،"وما كنّا نبغ" "ويوم التّناد" "والكبير المتعال")[3]، والمعنى نفسه نقابله لدى أي عمرو الداني.

أمّا**الرّماني(ت384هـ)** فقد أولى لها عناية في كتابه "النّكت في إعجاز القرآن" ورأى أنّ الفواصل بلاغة والأسجاع عيب، ذلك أنّ الفواصل تكون تابعة للمعاني، وأمّا الأسجاع فقد تكون المعاني هي التّابعة لها فيقول (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام

---

[1] - الزركشي، البرهان، ج1،ص70.

[2] - نقلا عن، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص53-54.

[3] - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ط1، 1385هـ/1966م، ج4، ص184-185.

المعاني)[1]. ثم نجده يقسم الفواصل على وجهين، أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى في سورة طه ﴿ **طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)**﴾، وكقوله تعالى في سورة الطور ﴿**وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2)**﴾، وأما الحروف المتقاربة كالميم مع النون في قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** (3) **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** (4) ﴾، وكالدال مع الباء نحو قوله تعالى في سورة ق ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** (1) **بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ** (2) ﴾.وإنّما حسن في الفواصل المتقاربة، لأنّه يكتنف الكلام من البيان ما يدلّ على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة [2].

أمّا **الباقلاني(ت402هـ)** في حديثه عن الفاصلة القرآنية يفرّق بينها وبين القوافي لأنّها ليست في الطّبقة العليا في البلاغة، وقد تقع الفواصل على حروف متجانسة، كما تقع على حروف متقاربة.[3]

غير أنّ **السيوطي(ت911هـ)** تحدّث في النّوع التّاسع والخمسين من كتابه "الإتقان" عن فواصل الآيات فاستند على تعريفات للعلماء في الفاصلة القرآنية ثم ذكر بعد ذلك طرق معرفة الفواصل، حيث ذكر أنّ لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي، **فالتّوقيفي** هو ما وقف عليه النّبي صلى الله عليه وسلم دائما، و**القياسي** هو ما اجتهد فيه العلماء قياسا على ما وقف عليه النّبي صلى الله عليه وسلم.ثمّ يعرض بعد ذلك لسؤال:هل يجوز استعمال السّجع في القرآن؟ ويبين رأي جمهور العلماء بعدم جواز ذلك[4]، فالفاصلة (تقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها)[5]وهنا إشارة إلى البعد الجمالي الذي تؤدّيه الفاصلة .

---

[1] الرّماني، (النكت في إعجاز القرآن) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي-حقّقها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ود: محمد زغلول سلام دار المعارف، مصر، ط3، 1976م ، ص97.

[2] - المصدر نفسه ، ص98 .

[3] - ينظر، الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص 271 .

[4] - ينظر، السيوطي،جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق:شعيب الأرنؤوط، علّق عليه:مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص609 .

[5] - المصدر نفسه، ص610.

وضرب المتأخّرون بسهم أوفر في هذا الباب، فأولوا عناية بموضوع الفاصلة القرآنية، ولعلّ أهمّ من تناول هذا الجانب أديب الإسلام **مصطفى صادق الرّافعي(ت1356هـ)** حيث وقف في كتابه "إعجاز القرآن"على مدى أهميّة الحروف وأصواتها في الفاصلة القرآنية قائلا: (وتراها أكثر ملي تنتهي النّون والميم، وهما الحرفان الطّبيعيّان في الموسيقى نفسها، أو بالمدّ، وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه، وعلى أنّ ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصّفير أونحوهما ممّا هو ضروب أخرى من النّظم الموسيقي)[1] فقد اهتدى الرّافعي إلى أنّ تناسب الأصوات والحروف والحركات في النّظم القرآني هي السّبب الذي جعل الآذان تطرب لسماعه وكأنّ كل عنصر من هذه العناصر يؤدي وظيفته في لحن موسيقي متناسب النّغمات فحروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحانا لغويّة رائعة كأنّها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة)[2] يبدو من ذلك أنّ الرّافعي اعتبر حروف القرآن مرتّبة من حيث أصواتها ومخارجها، وتناسبها الجهر والهمس والشّدّة والرّخاوة، والتّفشّي والتّكرير.

وبالتالي فهو أوّل من عني من المحدثين بقيمة الأصوات اللّغوية، وجمال نظمها، وبقيمة الألفاظ وحسن تأليفها في النّظم القرآني.

ويعتبر **سيّد قطب(ت1966م)** أكثر الدّارسين المحدثين توسّعًا في هذه الدّراسة ضمن حديثه عن التّصوير الفنيّ في القرآن، إذ رأى أنّ في القرآن الكريم إيقاعًا موسيقيًّا متعدّد الأنواع يتناسق مع الجوّ ويؤدّي وظيفة أساسيّة في البيان،كما تحدّث عن نظام الفواصل وتنوّعه في السّور المختلفة، وفي السّورة الواحدة، تبعًا لتنوّع المواقف والأغراض.وقدّم عرضا موجزا لما سبق أن اكتشفه العلماء وعبرّ عنه النّبّكت البلاغيّة التي تنبّه إليها العلماء" كأن تأتي الفاصلة ﴿**وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(120)** ﴾[سورة المائدة] كلام يثبت القدرة، وكأن يعبرّ بلفظ الرّب في مواضع الترّبية والتّعليم قول عزّ وجلّ ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)**﴾[سورة العلق]، وهي ألوان أبعد

---

[1] - الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/ 1973م، ص227 .

[2] - الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 238 .

وأرقى في موضوع التّناسب الإيقاعي ويقول سيّد قطب(إنّ القوافي (الفواصل) في القرآن غيرها في الشّعر، فهي ليست حرفا متّحدًا، ولكنّها إيقاع متشابه مثل (صير، حكيم، مبين، مريب) أو مثل (ألباب، الأبصار، النّار، قرار)، أو مثل(خفيا، شقيا، شرقيا، شيئا...)وتظلّ تتنوّع أشكال الفاصلة القرآنية وتتعدّد صورها[1].

وقد خرج محمد الحسناوي بتعريف فقال الفاصلة آخر الآية كقافية الشّعر وسجعة النّثر، والتّفصيل توافق أواخر الآي في حروف الرّوي، أوفي الوزن ممّا يقتضيه المعنى وتستريح إليه النّفوس)[2].

واجه الدّارسون صعوبة في تعريف الفاصلة وتحديدها فقد تكون كلمة، وقد تكون مقطعا من كلمة وتكون جملة[3]وهكذا فإنّ الفاصلة تتحقّق باعتبار أصغر وحدة صوتية إلى أعلى وحدة تركيبيّة وهي الجملة .

هذا هو المفهوم الذي ظل ملازما لكلمة (الفاصلة) في أحضان علم القراءات قبل أن تصير مصطلحا ذا سمات جديدة في ظلّ استخدام الدّرس البلاغي لها.

ثانيا : أنواع الفواصل في القرآن الكريم :

إنّ قراءة الآيات بخواتيم فواصلها المتنوّعة تجعلك تقف خاشعا مبهورا، تمتلكك هزّة من الأعماق وأنت مأخوذ بهذا النّغم الموسيقيّ الشّجيّ ، نغم تتقطّع به الأنفاس، وتتهجّد به العواطف، وتقشعرّ له الأبدان، وتتلاشى عنده الأوهام، وتتهاوى عنده الشّهوات، وتتضاءل عنده الدّنيا وبريقها، وتتعاظم عنده الآخرة ونعيمها(يقول الرّافعي (وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلاّ صور تامّة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقة مع آياتها في قرار الصّوت اتّفاقا عجيبا يلائم نوع الصّوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب)[4]، فالفاصلة في القرآن الكريم ركن أساس في تكوين بنيته الإيقاعية ولها دورها الإيقاعي في

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق،بيروت، القاهرة، ط11، 1405هـ/1985،ج1، ص547.

[2]- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار،عمان، الأردن،ط2 ،1421هـ/2000م، ص29 .

[3]- ينظر، أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن–دراسة في النظم المعنوي للصّوتي- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيةبالرباط، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص350-351

[4]- الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، ص216.

نهاية الآي، هذا الإيقاع المتعدّد الأبعاد والذي يبدأ من تشاكل الأصوات وتجانسها تماثلا أو تقاربا، يهدف إلى إحداث تأثير في المتلقّي خاصّة، ولعلّ من هذه الأبعاد العنصر البديعي في الفاصلة، فثمة عناصر بديعيّة درست مفصولة ومستقلّة في غالب الأحيان، ودرس جزء منها تحت أنواع الفواصل، يقول أحد المحدثين(الحق أنّ قيمة الفاصلة في بلاغة النّظم القرآني، وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، وما كان للقرآن أن يحافظ عليها، ويختارها بعناية، فيأتي بها متمكّنة في موضعها مستقرّة في نسقها لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته، وتحقيق أهدافه)[1]والتي تمُكّن الدّارس من الوقوف على طبيعتها الإيقاعية والصّوتية.

- **المتوازي:**

يقول الزّركشي(لم البديعيّون السّجع والفواصل أيضا إلى متواز، ومطرف، ومتوازن)[2]ويعتبر المتوازي أشرفها لأنّ الكلمتين تتفقان حروفا ووزنا كقوله تعالى:﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14)**﴾[سورة الغاشية]، وقوله: ﴿**وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ(48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[سورة آل عمران][3]. حيث توازي (**مرفوعة**) لفظة (**موضوعة**) وزنا وتقفية، فأكسبها جمالا ورونقا. وقالالسّيوطي في تعريفه (أن يتّفقا وزنا وتقفية ولم يكن ما في الأولى مقابلا لما في الثّانية في الوزن والتّقفية)[4]، فالتوازي يكون بين كلمتين على مستوى الوزن وحروف السّجع أو التّقفية كما في (مرفوعة) و (موضوعة) فهما على وزن مفعولة المقفاتان بالعين وكذلك في دعاء النّبي صلى الله عليه وسلم "اللّهم إنيّ أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم"[5].ففي هذه الأمثلة هناك تناوب إيقاعي مقطعي على مستوى القرائن، هذا التّناوب يتحقّق فيه قانون الإيقاع الأبرز وهو قانون التّكرار، حيث يتمّ ترجيع مادّة صوتيّة معيّنة في نهاية

---

[1]- أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص352

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص75.

[3]- ينظر، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4]- السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص104.

[5]- ينظر، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة-المعاني والبيان والبديع- وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص296.

المتواليتين الصّوتيتين وذلك على نسب زمنيّة متقايسة[1]. ويجعل **الخطيب القزويني(ت739هـ)** الأسجاع في النّثر كالقوافي في الشّعر، وهو ثلاثة أضرب، مطرف، ومتواز، وترصيع)[2]، فاستعمل التّرصيع بدل المتوازن.

المطرف:

يقتصر فيها الاتّفاق على مقطع الفاصلة، أو حروف السّجع فقط، يقول الزّركشي (والمطرف أن يتّفقا في حروف السّجع لا في الوزن، كقوله تعالى في سورة نوح﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)**﴾)[3]، وهكذا نلاحظ الاتّفاق بين كلمتي (وقارا)و(أطوارا) في الوقف على الرّاء الممدودة بالألف، وهو ملثيكّل طرف الفاصلتين، أي تكرار مادّة صوتية واحدة في طرفي السّلسلتين الصّوتيتين ويعبّر السّيوطي عن هذا الضرب بقوله (فالمطرف أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتّفقا في حروف السّجع)[4]، أي وحدة الحرف الأخير في الفاصلتين.

المتوازن:

إذا كان الاتّفاق في المطرف يقتصرعلى حروف السّجع فقط فإنّه في المتوازن ينحصر في الوزن فقط يقول السيوطي(المتوازن أن يتّفقا في الوزن دون التّقفية)[5]، أي يراعى الوزن فقط في في مقاطع الكلام كقوله تعالى في سورة الغاشية

﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)**﴾[سورة الغاشية]، قد اتّفقت الكلمتان (مصفوفة ومبثوثة)في الوزن، وقوله تعالى في سورة الصّافات ﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118)**﴾ فلفظ (الكتاب)و(الصّراط) متوازنان، ولفظ (المستبين)و(المستقيم) متوازنان وقوله تعالىفي سورة الشّورى﴿ **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16) اللَّهُ الَّذِي**

---

[1]- ينظر، أحمد البابيي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصّواتة الإيقاعية- عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1، 2012، ج2، ص204.

[2]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ،ص296-297.

[3]- ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص76.

[4]- ينظر، أحمد البابيي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصّواتة الإيقاعية- ج2، ص205.

[5]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص104.

[6]- المصدر والصفحة نفسها.

أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (18) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ(19) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ(22)﴾.

جمع في فواصلها بين (شديد) و(قريب) و(بعيد) و(عزيز) و(نصيب) و(أليم) و(كبير) وهو في القرآن كثير، وفي المفصل خاصّة في قصاره، ومنهم من يذكر بدله التر صيع[1] ويسمّيه القزويني الموازنة وهي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التّقفية[2]، أعطت هذه الفواصل المتوازنة إيقاعا عذبا للقرآن، ولعلّ هذا ما جعل سيّد قطب يقول (والقوافي[الفواصل]في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفا متّحدا، ولكنّها إيقاع متشابه، مثل:"بصير ،حكيم، مبين مريب" أو مثل الألباب، الأبصار، النّار، قرار...")[3]هذه الكلمات متّحدة في بنيتها المقطعيّة مما أضفى عليها شيئا من الشّعر والموسيقى، ويؤكّد قائلا إنّ (النّسق القرآني قد جمع بين مزايا النّثر والشّعر جميعا. فقد أعفى التّعبير من قيود القافية الموحدّة والتفعيلات التّامة، فنال بذلك حرّية التّعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامّة، وأخذ في الوقت ذاته من الشّعر الموسيقى الدّاخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التّفاعيل، والتّقفية التي تغني عن القوافي، وضمّ ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا)[4]، إنّها من أبرز أسرار إيقاعه، وهي الفواصل المهيمنة في القرآن الكريم.

---

[1]- ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص76-77.

[2]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج2، ص552.

[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص547.

[4]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن،دار الشروق القاهرة،ط1425،17هـ،2004م، ص85.

المرصّع:

لا يختلف المرصّع عن المتوازن اختلافا كبيرا، فهما متقاربان أو متداخلان يقول السّيوطي (المرصّع أن يتّفقا وزنا وتقفية ويكون ما في الأولى مقابلا لما في الثانية كذلك نحو قوله تعالى في سورة الغاشية﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)﴾وقوله في سورة الانفطار﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)﴾)[1].

وفي سياق حديث الزّركشي عن المتوازن يستعمل بدله التّرصيع،وهو أن يكون المتقدّم من الفقرتين مؤلّفا من كلمات مختلفة، والثّاني مؤلّفا من مثلها في ثلاثة أشياء:وهي الوزن والتّقفية وتقابل القرائن، قيل:ولم يجئ هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه من التّكلّف. مثلا منه قوله تعالى﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)﴾ وليس كذلك لورود لفظة إنّ "و"لفي"كل واحد من الشّطرين وهو مخالف لشرط التّرصيع، إذ شرطه اختلاف الكلمات في الشّطرين جميعلورة الواقعة من نوع التّرصيع، وتتبُّع آخر آياتها يدلّ على أنّ فيها موازنة[2].

إنّ الزّركشي يحدّمّا يقوم عليه التّرصيع وهو الوزن والتّقفية، وهو يرى أنّ القرآن خلو من التّرصيع، يقول القزويني معرّفا الترصيع (فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها، مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتّقفية فهو التّرصيع)[3].

وبناءً على ما سبق، يستخلاص الطّبيعة التّركيبيّة لهذا المكوّن الإيقاعي، حيث يكون هناك تعادل المقدار بين الأجزاء، وهو ما يوازي النّصوص الشّعرية، وبذلك يتحقّق أحد قوانين الإيقاع وهو قانون التّساوي، كما يتّضح من خلال هذا النّموذج[4]﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)﴾(سورة التكوير).

---

[1]- ينظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص104.

[2]- ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص77.

[3]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج2، ص547.

[4]- ينظر، أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصّواتة الإيقاعية- ج2،ص212.

غير أنّ الزركشي أضاف إلى هذا التّقسيم فواصل باعتبار المتماثل والمتقارب في الحروف فقال (أنّ الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع وهذا يكون في السّجع- وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، وهذا لا يكون سجعا ولا يخلو كلّ واحد من هذين القسمين –أعني المتماثل والمتقارب- من أن يأتي طوعا سهلا تابعا للمعاني، أو متكلّفا يتبعه المعنى)[1]، قد تلتزم بعض سور القرآن الكريم بفاصلة واحدة وتدعى الفواصل **المتماثلة** بالحروف وهذا شائع ومطرد في نماذج عدة كقوله تعالى في سورة الطور:﴿ **وَالطُّورِ(1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ(2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ(3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ(4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5)**﴾.

وفيها حلّى النّغم الصّوتي المتميّز بأبهى صوره، وأروع مظاهره، إذ تنتهي الفاصلة بصوت الرّاء (الطّور، مسطور، منشور، المعمور) وهذه الفاصلة إيقاعها الموسيقي هادر لأنّ الراء صوت متوسّط لا هو شديد ولا هو رخو يتّصف بصفة قوّة هي الجهر وبالتّالي تكون الفاصلة قد انطلقت واستمرّت وختمت بصوت قويّ والذي اقتضى السّياق نطقه.

وقوله تعالى في سورة طه:﴿ **طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)**﴾.

وقوله تعالى في سورة الفجر:﴿ **وَالْفَجْرِ(1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ(2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4)**﴾والتّناوب الإيقاعي في الفواصل المتماثلة هو تناوب لسلسلتين مقطعيّتين (أوسلاسل مقطعيّة)[2]وفيها جميعا مراعاة للمنهج الصّوتي والبعد الإيقاعي.

تشتمل بعض السّور على فواصل متنوّعة، يشعر القارئ أو السّامع فيها وكأنّه ينتقل ليس من صوت إلى صوت، وإنّما من إيقاع إلى إيقاع ومن نغمة إلى أخرى كقوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)**﴾.

وقوله تعالى في سورة ق:﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2)**﴾، للتقارب بين الميم والنون في المقطع وبين مقطعي الدال والباء، يقول الزركشي(لا يسمّى سجعا قطعا عند القائلين بإطلاق السّجع في القرآن، لأنّ

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص72.

[2]- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصّواتة الإيقاعية- ج2، ص213.

السّجع ما تماثلت حروفه.إذا علمت هذا، فاعلم أنّ فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين، بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة)[1].

ونجد هذا التّنويع للفاصلة في السّور الطّوال كما نجده في القصار أيضا ومن ذلك مثلا سورة الطّارق تأمّل فواصلها(الطّارق، الثّاقب، حافظ، خلق، دافق، التّرائب، لقادر، السّرائر، ناصر، الرّجع، الصّدع، فصل، بالهزل، كيدا، كيدا، رويدا) فقد ختمت في ثلاث عشرة فاصلة بأصوات قويّة هي القاف والباء والظاء والرّاء والدّال وختمت فاصلتان بصوت ضعيف هو اللاّم، وختمت فاصلتان بصوت لا هو ضعيف ولا هو قويّ وهو العين لأنّه يتّصف بصفتي قوّة هما الجهر والاصمات وبصفتي ضعف وهما الاستفال والانفتاح ثمّ إنّه من أصوات التّوسّط لا هو شديد ولا هو رخو.

وتتفاضل هذه الأنواع إيقاعيًّا، يقول القزويني:(قيل أحسن السّجع الفاصلة ما تساوت قرائنه، كقوله تعالى في سورة الواقعة ﴿ **فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30)**﴾ ثم ما طالت قرينته الثانية)[2]فكلّما تساوت القرائن، إلاّ وتوازنت إيقاعيًّا وجعلت الفواصل شبيهة بالشّعر، حيث الأبيات متساوية مقطعيًّا والقوافي متماثلة قطعيًّا[3].

وعليه كلّما تماثلت المقاطع كانت أفضل كما في المرصّع والمتوازي وبدرجة أقلّ في المطرف، يقول **العسكري(ت1005م)** (الذي ينبغي أن يستعمل في هذا الباب ولا بدّ منه هو الازدواج، فإن أمكن أن يكون فاصلتين على حرف واحد، أو ثلاث، أو أربع لا يتجاوز ذلك كان أحسن، فإن جاوز ذلك نسب إلى التّكلّف)[4].

كما قسّم العلماء فواصل القرآن باعتبار الكمّ أو الطّول إلى:

- فواصل قصيرة :كقوله تعالى :﴿ **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2)**﴾[المرسلات].

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص75.

[2]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج2، ص548.

[3]- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصّواتة الإيقاعية-ج2، ص214.

[4]- العسكري، أبو هلال، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ص263.

- **فواصل طويلة :** كقوله تعالى :﴿ **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)**﴾[سورة الأنفال] .

- **فواصل متوسطة:** كقوله تعالى ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2)**﴾[سورة القمر].

ثالثا: علاقة الفاصلة بسياقها :

للفاصلة القرآنية علاقة بسياقها الذي وردت فيه، أو المقطع أو السّورة أو حتّى الجزء الواحد من القرآن أو بمجموع القرآن الكريم.

وقد أطلق العلماء على علاقة الفاصلة بقرينتها (الآية) **ائتلاف**الفواصل مع ما يدلّ عليه الكلام قال الزرّكشي: (اعلم أنّ من المواضع التي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشّيء بما يشاكله فلا بدّ أن تكونامسلبة للمعنى المذكور أو لا، وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك. لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتّأمّل اللّبيب)[1]، وقد حصر العلماء هذا "الائتلاف" في أربعة مواضع هي: التّمكين والتّصدير والتّوشيح والإيغال.

1/ التّمكين:

وهو أن يمهّد قبل الفاصلة تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنّة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلّقا معناها بمعنى الكلام كلّه تعلّقًا تامًّا، بحيث لو طرحت اختلّ المعنى، واضطرب الفهم، كقوله تعالى﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)**﴾[سورة المؤمنون] روى ابن أبي حاتم عن طريق الشّعبي عن زيد بن ثابت قالأمْلى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية، وهنا قال معاذ بن جبل **"فتبارك الله أحسن الخالقين"**

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص78 .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال معاذ: مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال: بها ختمت[1].

2/ التّصدير:

وهو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدّمت في أوّل الآية[2] واشتهر بردّ العجز على الصّدر، وقد قسّم البديعيّون هذا المحسّن إلى ثلاثة أقسام[3] :

الأوّل:

أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصّدر نحو قوله تعالى في سورة النّساء ﴿ **أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)**﴾.

وقوله تعالى في سورة الأنبياء﴿ **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ(37)** ﴾.

الثاني:

أن يوافق آخر الفاصلة أوّل كلمة من الصّدر نحو قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8)**﴾.

وقوله تعالى في سورة الشّعراء﴿ لِكُمَ مْ َ مل ِن َ الْقَ َال ِين َ (168)﴾.

الثالث:

أن يوافق آخر الفاصلة بعض كلمات صدره نحو قوله تعالى في سورة الأنعام (**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(10)**﴾.

وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)** ﴾.

إنّ الجمال الإيقاعي لردّ العجز على الصّدر يقوم في الأساس على تكرار مادّة صوتية في مواقع هامّة هي الفواصل والصّدور، فيكسو القول ديباجة ورونقا.

---

[1]- ينظر، السيوطي، الإتقان، ج3، ص25 .

[2]- ينظر، المصدر نفسه، ج2، ص104.

[3]- ينظر، المصدر السابق، ج3، ص262 .

3/التّوشيح :

سمّي بهذا الاسم لأنّ الكلام نفسه يدلّ على آخره، ولهذا قيل فيه:إنّ الفاصلة تعلم قبل ذكرها، وسمّاه بعض العلماء المطلع لأنّ صدره مطلع في عجزه، قال تعالى في سورة آل عمران﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)**﴾ فإن اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين، وقوله تعالى في سورة يس﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ(37)** فإنّه من كان حافظا لهذه السّورة، متيقّظا إلى أنّ فواصلها النّون المردوفة، وسمع في صدر هذه الآية **"وآية لهم اللّيل نسلخ منه النّهار"**علم أنّ الفاصلة (مظلمون)إنّ من انسلخ النّهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال[1].

4/الإيغال :

سمّي بذلك لأنّ المتكلّم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحدّ كقوله تعالى في سورة المائدة ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)**﴾، فإنّ الكلام قد تمّ بقوله "ومن أحسن من الله حكما ثمّ احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلمّا أتى بها أفاد معنى زائد[2].

رابعا: الفاصلة القرآنية وعلم المناسبة:

1/ تناسب الفاصلة:

لا شكّ أنّ القرآن الكريم حجّة الله البالغة وآياته المتجدّدة ومعجزة الرّسول الخالدة، ومن أبرز وجوه الإعجاز فيه، إعجازه بحسب تناسب آياته وتناسق سوره، يقول الباقلاّني في كتابه إعجاز القرآن:والوجه الثّالث من وجوه إعجازه أنّه بديع النّظم، عجيب التّأليف، منتهاه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه)[3]. وجعل الزركشي (أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التّأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء)[4]. إنّ هذا الإعجاز في معاني القرآن أمر ظاهر لا ريب فيه، فكان الأحرى أن لا تلتئم سوره وأن لا

---

[1]-الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج1، ص95 .

[2]- المصدر نفسه، ج3/ص187 .

[3]- الباقلاني، إعجاز القرآن، ص37.

[4]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

يناسب بعضها بعضا وأن تذهب آياتها في الخلاف كلّ مذهب، ولكنّه روح من أمر الله، تفرّق معجزا، فلمّا اجتمع اجتمع له إعجاز آخر[1] وقيّد **الفخر الرّازي(ت605هـ)** بالإكثار من التماس المناسبات في تفسيره، وقال: "رأيت جمهور المفسّرين معرضين عن هذه اللّطائف غير منبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنّجم تستصغر الأبصار رؤيته والذّنب للطّرف لا للنّجم في الصّغر.

ومثال ذلك: بيان وجه المناسبة بين سورتي الماعون والكوثر، حيث يقول (هي كالمقابلة للتي قبلها، لأنّ السّابقة وصف الله فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصّلاة، والرّياء فيها، ومنع الزّكاة، فذكر في هذه السّورة في مقابل البخل« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» [الكوثر1] أي الخير الكثير، وفي مقابل ترك الصّلاة «لربّك» أي لرضاه لا للنّاس، وفي مقابلة منع الماعون «وانحر» أراد به التّصدّق بلحوم الأضاحي، ثم ختم السورة بقوله: « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» [الكوثر 3] أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة سيموت ولا يبقى دنياه أثر، وأمّا أنت فيبقى لك في الدّنيا الذّكر الجميل)[2].

قد يقول قائل: تطلب المناسبات بين الآيات والسّور علما بأنّها نزلت مفرّقة كلّ واحدة منها في زمن يخالف زمن الأخرى، وفي قضيّة مغايرة لمضمون ما جاورها، وقد أجاب عن هذا التّساؤل الزّركشي فيما نقله عن بعض مشايخه المحقّقين فقال: (قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنّها على حسب الوقائع المتفرّقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصّحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتّبة سوره كلّها وآياته بالتوقيف)[3]. ترتيب القرآن كما هو في المصحف توقيفي، لا مجال للرّأي فيه وليس للصّحابة أيّ تدخّل في شأنه، وإنّما كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تعلّمه من أمين الوحي جبريل عليه السّلام وترتيب المصحف وفق ما هو مسجّل في اللّوح المحفوظ، هذا الترّتيب الذي ينطوي على حكم عديدة لا يحيط بها إلاّ منزل هذا الكتاب جلّ في

---

[1]-ينظر، الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، ص244.

[2]- ينظر، فخر الرّازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م، ج31، ص117.

[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص37

علاه- وقد كان جبريل عليه السّلام- يدارس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القرآن الكريم في شهر رمضان من كلّ عام، حتى كان العام الذي توفيّ فيه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عارضه فيه مرّتين، وذلك بمراعاة ترتيبه الموجود في اللّوح المحفوظ والذي عليه المصحف العثماني.

وإذا كان التّناسب الإيقاعي في القرآن الكريم، يقوم على تناسب الأصوات فإنّ من أبرز عناصره تناسب الفواصل،قال الزّركشي(لم أنّ المواضع التي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشّيء فيها بما يشاكله فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن الكريم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتّأمّل اللّبيب)[1].فالتّناسب في الآية الواحدة بين فواصل الآية ومضمونها من دقيق التّناسب في القرآن ولطيفه، تحدّث عنه البلاغيّون وسمّوه تشابه الأطراف، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوّله في المعنى، ومنه قوله تعالى في سورة الحجّ ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾وختمت الآية بقوله تعالى ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64)** ﴾ (الحميد) فيه تنبيه أن ما له ليس لحاجة، بل هو غنيّ عنه، جواد به، فإذا جاد حمده المنعم عليه.

وفي هذه الأمثلة تظهر روعة النّظم القرآني، وكيف يجمع في فواصله بين الوفاء بحقّ المعنى وتناسب الفواصل بطريقة محكمة:

- قال الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ(26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ(27)**﴾[سورة السجدة].وصفت الآية القرون المهلكة، وذكرت الثّانية عما يشاهد على الأرض، كيف ينزل الماء فينبت الزّرع، فأمر التّاريخ يسمع سمعا، فناسب أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَسْمَعُونَ**﴾، وأمر إنزال المطر من السّماء يشاهد مشاهدة، فناسب أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يُبْصِرُونَ**﴾[2].

ونبّه **الزّمخشري** إلى ما في قوله تعالى ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص178 .

[2]- ينظر، فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 1991م، ص228

﴿(12)﴾[سورة البقرة] و﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ(13)﴾[سورة البقرة]لما كانت الآية الأولى تتحدّث عن السّفهاء في الأرض، وتلك قضيّة تتعلّق بالحواسّ الظّاهرة، ختمت بقوله تعالى{ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ(12)}لأنّ المشاعر هي الحواس، ولما كانت القضيّة الثّانية تتعلّق بالسّفه وهو الجهل، ناسب أن تختم بالعلم ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

اختلاف الفاصلتين في موضعين و الموضوع واحد :

قال تعالى ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(34)﴾[سورة إبراهيم]ثمّ قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)﴾[سورة النّحل]و كأنّه تعالى يقول:إذا حصلت النّعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها، حصل لك عند أخذها وصفان:كونك ظلوما، كونك كفّارا، ولي عند إعطائها وصفانأنّي غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي، و ناسب العطاء للنّعم الكثيرة للخلق أن تختم الآية بغفور رحيم[2]غيرت الفاصلة لاختلّ المعنى وفسد النّظم.

اختلاف الفواصل و المتحدث عنه مختلف :

فواصل لإقناع المشركين بحقيقة البعث والنّشور يقول تعالى ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ(59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ(60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ

---

[1]- الزمخشري، تفسير الكشاف –عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-احتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه:خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ/2009م، ص48.

[2]- ينظر، الزركشي، البرهان، ج1، ص86 .

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)﴾[سورة النّمل] هذه الآيات الخمسة ختمت بخمس فواصل، وكلّها جاءت بعد جملة وأعقبت بـ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ما علاقة كلّ فاصلة بموضوعها ؟

أ- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هذا الاستفهام المقصود منه تقريع المشركين وتسفيه آرائهم في عبادتهم للأصنام، وتوجيه أنظارهم إلى الإله الواحد، ومن خلال التّفكير في خلق السّموات والأرض وإنزال الماء من السّماء هذا الأمر لا يستطيع أحد أن يدّعيه، ولمّا كان إنبات الزّرع كثيرا ما ينسب إلى صاحبه، ناسب ذلك تغيير الأسلوب من الغائب إلى المتكلّم، لأنّ ظهور النّبات بألوانه الزّاهية وطعمه المختلف إنّما هو من فعل الخالق جل جلاله، فيأتي جواب الاستفهام محذوفا ليدلّ عليه العقل، ثمّ يبدأ السّياق باستفهام آخر ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ليقرّر أنّه لا مفرّ من الإقرار بأنّه لا إله إلا الله، ثم تأتي الفاصلة﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ فهم يعدلون عن الحقّ الواضح، و يساوون آلهتهم بالله في العبادة [1].

ب – وقوله تعالى ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ جعل الله الأرض قرارا للحياة، وجريان الأنهار حقيقة يراها المشركون وكذلك الجبال الثّابتة، وجعل بين البحر المالح والنّهر العذب حاجزا، فهما لا يمتزجان لأنّ كثافة لماء المالح تختلف عن الماء العذب، وتقف الآية عن الإجابة لتتيح الفرصة للفكر قصد التّأمّل ثمّ يأتي سؤال جديد﴿أإله مع الله﴾والجواب هو أنّ لا مفرّ من الإقرار بعظمة الله وتختم الآية بالفاصلة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2].

ج – و قوله تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾تشير الآية إلى خصائص النّفس البشريّة حيث إنّ الإنسان في لحظات الضّيق والكرب لا يجد ملجأ إلا إلى الله، ثمّ إنّه تعالى جعلكم تتوارثون عمارة الأرض جيلا بعد جيل وقدّر الموت والحياة، وتقف الآية عن الجواب لتنطق الفطرة السّليمة بعد التّأمّل والتّفكير، ثمّ يأتي الاستفهام ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ لا مفرّ من الإذعان والإقرار بقدرة الله، ولما كانت هذه الدّلائل في فطرة الإنسان

---

[1] - عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، (من أسرار التعبير في القرآن)، دار المريخ، الرياض، ط2، 1402هـ/ 1982م، ص50-51

[2] - عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، ص51-52

لا تحتاج إلى كشف قوله تعالى ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

د – و قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾من يهديهم في أسفارهم و تجارتهم ؟ ومن يرسل الر ّياح مبشّرات؟ تتوقّف الآية عن الجواب لتنطق الفطرة السّليمة المتأمّلة، ويأتي الاستفهام ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ فلا مفرّ من الإذعان لله، وتختم هذه بفاصلة تنزّه الله وتفرّده بالعظمة[2].

هـ – في قوله تعالى﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فهذه براهين على وجود الله ووحدانيّته، تفهل يستطيع أحد أن يبدأ الخلق ثمّ يعيده، ويرزق كلّ من في السّماوات والأرض، فهل بعد هذا شريك؟ فتأتي الفاصلة مناسبة لذلك فتطلب تقديم البرهان على ذلك، في قوله تعالى﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

خامسا: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية

يقصد القرآن الكريم إلى المغايرة في نظمه بالتّقديم والتّأخير، رعاية للفاصلة، وقد نقل السّيوطي عن شمس الدّين ابن الصّائغ نصّا طويلا يستدلّ فيه على أنّ القرآن يأتي بأساليب جديدة مراعاة للتّناسب بين الفواصل، ومن أمثلة ذلك:

1/ تقديم الأرض على السّماء:

وقد راعى القرآن الأصل فليس معظم المواطن الّتي اقترنت فيها السّماء والأرض، فقدّم السّماء إلا بعض المواضع القليلة التي تقدّمت فيها الأرض، من ذلك قوله تعالى﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) ﴾[سورة طه] فإنّ فواصل السّورة على الألف مراعاة للتّناسب بين هذه الفواصل قدّمت الأرض على السّماوات. وقوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)﴾ فقالوا قدّمت الأرض على السّماء في هذه الآية لأنّه أريد تناسب الفاصلة فيها

---

[1] - عبد الفتاح لاشين ، ص52-53

[2] - المرجع نفسه ، ص54 .

مع الفواصل الأخرى،والمتتبّع لورود السّماء والأرض معطوفة إحداهما على الأخرى في القرآن الكريم يجد ما يزيد على مائتي موضع تقدّمت فيها السّماء على الأرض تبعا للأصل من تقديم الأشرف، وتقدّمت الأرض على السّماء في ثلاثة عشر موضعا ليس من بينها سوى موضعين وقعت السّماء فيها فاصلة، فإذا قلنا بالقول الذي يعتبر التّقديم فيها لمجرّد رعاية الفواصل، فإنّ عشرة مواضع تقدّمت فيها الأرض وليست فاصلة يصبح تقديمها عاريا من الفائدة، بل جاء لحكمة بيانيّة تفيد الإعجاز)[1].

2/ تقديم الآخرة على الأولى:

من المواطن التي تعنى فيها عكس التّرتيب لرعاية الفاصلة منقله السّيوطي عن ابن الصّائغ (تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو:﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25) ﴾ [سورة النجم]، ولولا مراعاة الفواصل لقدّمت الأولى)[2]والمتتبّع لمواطن عطف الأولى على الآخرة يجد أنّ الأولى تقدّمت على الآخرة في موضع واحد وهو قوله تعالى في سورة القصص ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70)﴾، وأما تقديم الآخرة على الأولى فقد جاء في ثلاثة مواطن:

أ-قال تعالى مخاطبا المشركين﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25)﴾[سورة النجم] قال الزّمخشري ({فللّه الآخرة والأولى} أي: هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء، وليس لأحد أن يتحكّم عليه في شيء منهما)[3].

ب-قال تعالى﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23)

---

[1]- محمد يوسف هاشم السيد، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها – دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ -رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، السنة الجامعية: 1429هـ- 1430هـ/ 2008م - 2009م ص59

[2]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص252.

[3]- الزمخشري، الكشاف، ص1061.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25)﴾[سورة النازعات]، قيل في تفسير الآخرة والأولى أنهّما كلمتا فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[سورة القصص، الآية 38]، وقوله:﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)﴾[سورة النازعات]وهو الوجه الذي قدّمه الرّازي في تفسيره فقال:(المقصود التّنبيه على أنّه ما أخذه بكلمته الأولى في الحال، بل أمهله أربعين سنة، فلمّا ذكر الثّانية أخذ بهما، في هذا تنبيه على أنّه تعالى يمهل ولا يهمل)[1]وبهذا تتقدّم الآخرة تحقيقا لغرض النّظم في الإشارة إلا أنّ قول فرعون أنا ربّكم الأعلى هو سبب إسراع الله بإنزال العقاب به.

أ-قال تعالى﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (13)﴾[سورة اللّيل]، فقد جاء تقديم الآخرة لتناسب ما بنيت عليه السّورة من التّهديد والإنذار لسوء العافية لمن كذّب وأعرض، والتّنكيل به في الآخرة ولهذا أعقبها قوله ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17)﴾[سورة اللّيل]، تقدّم جزاء الأشقياء على جزاء الأتقياء مكتفيا في جزائهم بإبعادهم عن النّار، على خلاف الغالب في القرآن من تقديم جزاء المؤمنين، ومثل هذا السّياق لا يف بحقّ البلاغة فيه إلا تقديم الآخرة، ونلتفت إلى ملحظ بياني في الآية، وهو العدول عمّا هو مألوف من تقديم الأولى لهي الآخرة، وليس التّعلّق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى، وإنّما اقتضاه المعنى في سياق البشرى والنّذير[2]، وهو تقديم الإنذار للمكذّبين على البشرى.

3/ تقديم هارون على موسى:

وهو العلم في الاستشهاد بالتّقديم لمراعاة الفاصلة، أمّا لماذا كان فضل العناية والاهتمام بدور هارون في سورة طه وحدها فهذا ما يفصح عنه السّياق، حيث جاء في دعاء موسى من هذه

---

[1] الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج3، ص43.

[2] - عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1388هـ/1968م، ج2، ص112.

السّورة ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(29)﴾[سورة طه]فهي السّورة الوحيدة بين السّور الثّلاث التي طلب فيها من ربّه أن يجعل له وزيرا، فتقديم هارون في سورة طه جاء إبرازا لدوره ومشاركته في الأحداث، ثمّ جاء موسى بعده على سبيل التّرقّي من البدء بالأفضل فالأفضل، بخلاف ذكره بعد موسى، حيث يبدو في دور المساند لا المشارك.

4 / تقديم العبادة على الاستعانة:

تنبّه الزّمخشري إلى تقديم العبادة على الاستعانة فقال:(إن قلتَ :فلم قدّمت العبادة على الاستعانة؟ قلتُ :لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها)[1].فالتّقديم على رأي الزّمخشري من تقديم العلّة على المعلول،كما وجد بعض العلماء في تناسب الفواصل السّبب في العدول عن تقديم الاستعانة على العبادة.

5/ تقديم الرّحمن على الرّحيم:

تباينت الآراء في سرّ تقديم الرّحمن، وأشهرها ما قاله الزّمخشري:(إن قلتَ :لم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس التّرقّي من الأدنى إلى الأعلى، كقولهم: فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فيّاض؟ قلتُ : لما قال الرّحمن، فتناول جلائل النّعم وعظائمها وأصولها، أردفه الرّحيم كالتّتمّة والرّديفة، ليتناول ما دقّ فيها ولطف)[2].أنّ تخصيص الرّحمن بجلائل النّعم، والرّحيم بدقائقها ممّا لا دليل عليه، بل إنّ الله تعالى كثيرا ما يذكر جلائل النّعم، يعقبها بصفة الرّحيم وحدها من ذلك النّعم التي ذكرها في مطلع سورة النّحل وعدّد منها الشّمس والقمر، والفلك والبحار، والجبال والأنهار، ثمّ قال بعد ذلك كلّه: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)﴾[سورة النحل]، وخير ما قيل في تعليل تقديم الرّحمن ما قاله **ابن القيم(ت751رحمه الله)**:(الجمع بين الرّحمن والرّحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين الّذين ذكرهما، وهو أنّ الرّحمن دال على الصّفة القائمة به -سبحانه- والرّحيم دال على تعلّقها بالمرحوم، فكان الأوّل للوصف والثّاني للفعل، فالأوّل دال على أنّ الرّحمة صفته، والثّاني دال على أنّه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمّل قوله:﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(43) ﴾[سورة

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص29.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص26-27 .

الأحزاب]، وقوله:﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)﴾[سورة النّور] ولم يجئ قطّ رحمن بهم، فعلم أنّ رحمن هو الموصوف بالرّحمة، وأنّرحيم هو الرّاحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب)[1].

6/تقديم السّميع على العليم:

يقول أبو حيّان في قوله تعالى:﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)﴾[سورة البقرة]ناسبة هاتين الصّفتين أنّ كلا من الإيمان وضدّه مشتمل على أقوال وأفعال، وعلى عقائد ينشأ عنها تلك الأقوال والأفعال، فناسب أن يختم ذلك بهما، أي وهو السّميع لأقوالكم، العليم بنيّاتكم واعتقادكم، ولما كانت الأقوال الظّاهرة لنا، الدّالة على ما في الباطن قدّمت صفة السّميع على العليم)[2].وعليه فإنّ القرآن الكريم يأتي بأساليب جديدة في الفواصل القرآنية، لإظهار الإعجاز القرآني، وليس مراعاة للفواصل القرآنية.

خامسا:التّرادف في الفاصلة القرآنيّة:

شغلت ظاهرة التّرادف العلماء قديما وحديثا، وامتدّ اهتمام دراسة هذه الظّاهرة إلى مناحٍ شتّى، والبحث في جواز التّرادف أو نفيه.

تعريف التّرادف :

1-لغة:معنى التّتابع، وترادف الشّيء:تتبّع بعضه بعضا ويقال: ردفت فلانا أي صرت له ردفا، وردِف بالكسر: المرتدفوهو الّذي يركب خلف الرّاكب، وكلّ شيء تبع شيئا فهو ردفه، وهذا أمر ليس له ردف،أي ليس له تبع، وأرداف الملوك:الّذين يخلفونهم، ويقال:للّيل والنهار ردفان لأنّ كلّ واحد منهما يردف صاحبه،أي يتبع أحدهما الآخر، والمترادف أن تكون أسماءً لشيء واحد[3].

1-اصطلاحا: هو أن يكون للكلمتين أو الكلمات معنى واحد، أو أن يدلّ لفظان مرادفان

---

[1]- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق:علي بن محمد العمران، إشراف:بكر بن عبدالله بوزيد، دار علم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّة، دط، دت، المجلد الأول، ص42.

[2]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص411.

[3] ينظر، الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق و إعداد مركز الدراسات و البحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، ص256

فأكثر دلالة حقيقيّة أصليّة، مستقلّة على معنى واحد[1].

قال الفخر الرّازي: (الترادف هو الألفاظ المفردة الدّالّة على شيء واحد باعتبار واحد كالقمح و البُرّ و الحنطة[2]) وكان الرازي أوّل من وضع شروطا لقبول الترادف في اللّغة العربيّة، باعتبار أحدهما دال على الذّات والآخر على الصفة كالسيف والصّارم.

وتراوحت آراء العلماء بين مثبت ومنكر لوجود الظّاهرة في العربيّة، واختلفت مواقفهم حول وقوعها في القرآن الكريم، فريق المجيزين وفريق المنكرين.

حيث ذهب صبحي الصّالح، إلى أنّ الترادف من مميّزات وخصائص اللّغة العربيّة، وأمّا فيما يتعلّق بمسألة وقوع الترّادف في القرآن الكريم فيراه أمرًا طبيعيًّا فيقول: (وعلى هذا الأساس نقرّ بوجود الترّادف في القرآن، لأنّه وقد نزل بلغة قريش المثاليّة يجري على أساليبها وطرق تعبيرها، وقد أتاح لهذه اللّغة احتكاكها باللّهجات العربيّة الأخرى اقتباس مفردات تملك أحيانا نظائرها، لا تملك منها شيئا أحيانا أخرى، وحتّى إذا أصبحت جزءً من محصولها اللّغوي فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشيّة الخاصّة القديمة)[3]. فلغة القرآن الكريم تلبس فيها الكلمات حلى مختلفة لمعنى واحد.

ويعتبر **ابن الأثير (ت637 هـ)** من أبرز العلماء الّذين قالوا بالترّادف في ألفاظ القرآن الكريم، وقد أورد العديد من الأدلّة التي تؤيّد رأيه في كتابه (المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر) ومن أمثلة ذلك [4]:

قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5)**﴾[سورة سبأ] فسّر الرّجز بأنّه عذاب مضاعف للمبالغة، وفي قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا**

---

[1]- ينظر، فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن، ص152

[2] - السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص317

[3]صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1983م، ص299

[4]- ينظر، ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلّق عليه: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت، ج2، ص 149

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)﴾[سورة التغابن]، على أنّ العفو والصّفح والمغفرة تكرّرت وجميعها بمعنى واحد للزّيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده، والزّوج عن زوجته.

أما في قوله جلّ وعلا ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)﴾[سورة يوسف]، فقالوا أنّ البثّ والحزن بمعنى واحد، وذكر هنا لشدّة الموقف والخطب النّازل به، ويرى أنّ تكرار اللّفظ يأتي لتأكيد المعنى.

كما أشار صبحي الصالح إلى عدد من المترادفات في القرآن الكريم منها [1] :

أ- ترادف أقسم وحلف في قوله تعالى﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ(109)﴾[سورة الأنعام]، وقوله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ(74)﴾ [سورة التّوبة].

ب- ترادف بعث وأرسل في قوله تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)﴾ [سورة الأنبياء]

ت- ترادف فضّل وآثر في قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)﴾[سورة البقرة]، وقوله تعالى﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91)﴾ [سورة يوسف].

وبعد عرضه لهذه الأمثلة من القرآن الكريم، عبّر عن موقفه من التّرادف قائلا: (وهكذا لم نجد مناصًّا من التّسليم بوجود التّرادف ولا مفرًّا من الاعتراف بالفروق بين المترادفات، لكن هذه الفروق – على ما يبدو لنا- تسمية فيما بعد، وأصبح من حقّ اللّغة التي ضمّتها إليها أن

[1] ينظر، صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة ، ص299

تعتبرها ملكا لها ودليلا على ثرائها، وكثرة مترادفاتها)[1] من ثمّ يكون التر ّادف سمة من سمات اللّغة العربيّة، دالّة على اتّساعها في الكلام.

وفي مقابل المؤيّدين للتر ّادف ظهرت مجموعة من العلماء أنكروا وجوده في كتاب الله تعالى على رأسهم :

- **أبو هلال العسكري:**

الذي أنكر التر ّادف في القرآن الكريم من خلال كتابه "الفروق اللغوية" الّذ ّافع والس ّبب الر ّئيس الذي ألّف من أجله هذا للكتاب، هو عدم وجود مصنّفات تعنى بالفروق بين معاني الألفاظ، فيقول موضّحا ذلك:(.إنّي ّ ما رأيت نوعا من العلوم، وفنّا من الآداب إلا ّ وقد صنّفت فيه كتب تجمع أطرافه وتنظم أصنافه، إلا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة، والفطنة والذّكاء..وما شاكل ذلك فإنّي ّ ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتابا يكفي الطّالب، ويقنع الر ّاغب مع كثرة منافعه فيما يؤدّي إلى المعرفة بوجوه الكلام، والوقوف على حقائق معانيه، والوصول إلى الغرض فيه، فعملت كتابي هذا)[2]، فهو يقر ّ بوجود التّرتيب الدّلالي بين لفظ ولفظ، ولكن هذا التّقارب لا يعني التّطابق.

ونقل العسكري الكثير من أقوال العلماء مستشهدا على عدم وجود التر ّادف في العربيّة فقال:(قال بعض النّحويّين: يجوز أن يدلّ اللّفظ الواحد على معنيين مختلفين حتى ّ تضاف علامة لكل ّ واحد منهما فإن لم يكن فيه لذلك علامة، أشكل وألبس على المخاطب، وليس من الحكمة وضع الأدلّة المشكلة إلا أن يدفع إلى ذلك ضرورة أو علّة، ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلا ما شذّ وقل ّ)[3] إنّ أبا هلال لم يذكر في كتابه لفظ التر ّادف مطلقا، ولم يقل: إنّ الألفاظ المتفر ّقة في المعنى فترادفة وهذا يعني أنّه كان يعلم أنّ التر ّادف يعني الاشتراك في جزء من المعنى وليس الاتّحاد في المعنى، وكانت غايته من تصنيف هذا الكتاب هي توضيح الفروق اللّغويّة بين الألفاظ التي يعتقد سيبويه وغيره أنّها متّحدة المعاني، ولم ينكر أنّ الألفاظ المفترقة في المعنى تلتقي في

---

[1]- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، ص300 .

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية،تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم،دار العلم والثقافة،القاهرة مصر،دط،دت، ص21.

[3]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية ، ص12

جزء منه، بل أكّد ذلك من خلال تفريقه بين الألفاظ المتقاربة المعاني التي يظنّ بعضهم أنّها بمعنى واحد.

ويؤكّد العسكري أنّ كلّ اسمين يجريان على معنى من المعاني فإنّ لكلّ واحد منهما معنى يختلف عن الآخر فيقول: (الشّاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أنّ الاسم كلمة تدلّ على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير مرّة واحدة فعرف فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللّغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثّاني والمثال إلى خلاف ما أشير إليه في الأوّل كان ذلك صوابًا فيدلّ على أنّ كلّ اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة، بأنّ كلّ واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثّاني فضلا لا يحتاج إليه)[1].

كما أنكر أبو هلال المشترك اللّفظي، بتعبيره القائل: (لا يجوز أن يكون فَعَلَ و أفْعَلَ بمعنى واحد، كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين، فأمّا في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللّفظان والمعنى واحد، كما ظنّه كثير من النّحويين واللّغويين) [2]. فأوجد أبو هلال فروقا لها ومنع الترّادف عنها.

ابن فارس:

الذي لا يبعد في استدلاله عن آراءالعسكري، وصرّح برأيه متأثّرا بشيخه ثعلب قائلا: ويسمّى الشّيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السّيف و المهنّد والحسام، والذي نقوله في هذا: إنّ الاسم واحد وهو السّيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أنّ كلّ صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى)[3]. وقد خالف في ذلك من قالوا: بأنّ ألفاظهم وإن اختلفت فمعناها واحد أي السّيف والمهنّد والحسام)

الخطّابي(388هـ):

---

[1]- أبو هلال العسكري ،المصدر السابق، ص11

[2] - المصدر نفسه، ص5 .

[3]- ابن فارس ،أحمد بن زكريا الرازي،أبو الحسين،الصاحبي،في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،علّق عليه ووضع حواشيه:أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1418،1هـ،1979م،ص59.

وهو من أبرز المنكرين لوجود الترّادف في القرآن فيقول: (ثمّ اعلم أنّ عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصّفات هو وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ذلك أنّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني يحسب أكثر النّاس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشّكر، والبخل والشّح، وكالنّعت والصّفة، وكقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصّفات ... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللّغة بخلاف ذلك، لأنّ لكلّ لفظة منها خاصّية تتميّز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها)[1].

يرى الخطّابي أنّ اللّفظة القرآنية لها قيمتها في السّياق، ولو بحثنا في جميع معجمات اللّغة ما وجدنا كلمة تسدّ مسدّها، ويفرّق بين المفردات، فيقول: (إذا أردت أن تتبيّن حقيقة الفرق بينهما بيّنت كلّ واحد منهما بضدّه، وذلك أنّ ضدّ الحمد الذّم، وضدّ الشّكر الكفران، وقد يكون الحمد على المحبوب والمكروه، ولا يكون الشكر إلا على المحبوب)[2]. فهو يقف على معنى الكلمة بمعرفة ضدّها.

الزّركشي :

أنكر الزّركشي ظاهرة الترّادف في كتابه "البرهان في علوم القرآن" فقال: (على المفسّر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترّادف ما أمكن، فإنّ للترّكيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع الكثير من الأصوليّين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في الترّكيب، وإن اتّفقوا على جوازه في الإفراد)[3].

والزّركشي يثبت أنّه لا ترادف بين الألفاظ فيفرّق بين الخوف والخشية، والشّحّ والبخل، والقعود والجلوس قائلا (إنّ القعود لا يكون معه لبثة، والجلوس لا يعتبر فيه ذلك، لهذا نقول:

---

[1]- الخطابي، (بيان إعجاز القرآن) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي- حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ود: محمد زغلول سلام دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص29 .

[2]- الخطابي، (بيان إعجاز القرآن) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص30

[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص78

قواعد البيت ولا نقول جوالسه، لأنّ مقصودك ما فيه ثبات، والقاف والعين والدّال كيف تغلّبت دلّت على اللّبث، والقعدة بقلة عطالة، والدَّقعَاء للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبث طويل، وأمّا الجيم واللاّم والسّين فهي للحركة، منه السّجل للكتاب يطوي له ولا ثبت عنده، ولهذا قالوا في قَعَدَيقْعُد بضمّ الوسط، وقالوا جلس يجلس بكسره، فاختاروا الثّقيل لما هو أثبت)[1]، ويضيف قائلا (إذا ثبت هذا فنقول: قال تعالى ﴿ **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121)**﴾[سورة آل عمران]فإنّ الثّبات هو المقصود، وقال ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46)**﴾[سورة التّوبة] أي لا زوال لكم، ولا حركة عليكم بعد هذا، وقال ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ(55)**﴾[سورة القمر] يقل مجلس إذ لا زوال عنه، وقال ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(11)**﴾[سورة المجادلة]إلى أنّه يجلس فيه زمانًا يسيرًا ليس بمقعد، فإذا طلب منكم التّفسّح فافسحوا، لأنّه لا كلفة فيه لقصره، ولهذا لا يقال جلسهم لأنّ مجالسة الملوك يستحبّ فيها التّخفيف والقعيدة للمرأة، لأنها تلبث في مكانها)[2]من ثمّ في كلّ لفظين معنى ليس في الآخر.

فضل عبّاس:

عارض فضل عبّاس الترّادف وأنكره وقال: الترّادف لا ينسجم مع قدسيّة القرآن الكريم وبيانه، والكلمات التي قد يظنّها بعض النّاس مترادفة حينما نتدبّر فيها جيّدا نجد أنّ لكلّ معناها الدّقيق[3].ذلك أنّ من خصائص القرآنانتقاء الألفاظ ووضعها في مواضعها اللاّئقة بها، فلا يؤدّي غيرها وظيفتها لأنّها مقصودة لذاتها معنى ومبنى.

ومجمل القول:جلال الوقوف على آراء العلماء في قضيّة الترّادف يتّضح أنّ القرآن

---

[1] - المصدر نفسه، ج4، ص84

[2] -الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص84

[3] - ينظر، فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص171

يسعمل اللّفظة بدلالة معيّنة لا يمكن أن يؤدّيها لفظ آخر في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التّفسير عددا قلّ أو كثر من الألفاظ)[1]وهو ما انتهت إليه بنت الشّاطئ بعد استقرائها لألفاظ القرآن في سياقاتها.

سادسا:التّكرار في الفاصلة القرآنية :

إنّ المتأمّل في كتاب الله تعالى يقف عند مسائل قد ذكرت أكثر من مرّة، كبعض الجمل والآيات، والقصص القرآني، وموضوعات العقيدة، فبعض العلماء رأوا في هذا التّكرار بلاغة وإعجازا، وحاولوا أن يتبيّنوا على ما ذهبوا إليه بما عرفته العربيّة شعرا ونثرا، ومنهم من عدّ ذلك طعنًا في كتاب الله، وقالوا إنّ المتدبّر لآيات القرآن بعد إطالة الوقوف مليّات الله يقرّر أنّه لا تكرار في كتاب الله تعالى .

أ- التكرار لغة:

أصله من الكرّ ، بمعنى الرّجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف"كَرَّرَ "الشّيْءَ وَكَرَّرَهُ " أي: أعاده مرّة بعد أخرى، وقد يأتي له تصريف آخر هو التّكرير، الكرّ الرّجوع، يقالكرّرت الشّيء تكريرا و تكرارا[2].

ب- التّكرار اصطلاحا:

وهو إعادة اللّفظ نفسه في سياق واحد ولمعنى واحد [3].

1/آراء العلماء في التّكرار في الفاصلة القرآنيّة:

التّكرار أسلوب من أساليب العرب التي جاء بها القرآن ليحقّق أهدافا معيّنة من شأنها إثراء المعنى، فالتّكرار ظاهرة بلاغيّة في نهج الرّوعة والجمال، ومن هؤلاء العلماء:

ابن قتيبة:

يرى أنّ الهدف من تكرار الأنباء والقصص هو تجديد الموعظة، وتنبيه الغافلين، فقد كانت وفود العرب ترد على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيقرؤهم شيئا من القرآن، وكان يبعث

---

[1]- عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، ط2، 1987، ص215/214

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص46

[3]- فضل عباس، القصص القرآني، إيحاؤه و نفحاته، دار الفرقان، عمان، ط1، 1987م، ص19

إلى القبائل المتفرّقة بالسّور المختلفة، أنّه لو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكرّرة لوقعت قصّة نوح إلى قوم، وقصّة لوط إلى قوم وقصّة موسى على قوم وقصّة عيسى إلى قوم، فأراد الله تعالى أن يشهر هذا القصص في أطراف الأرض، وقد كان هذا في صدر الإسلام في آفاق الأرض، اجتمعت القصص في كلّ مصر، وعند كلّ قوم [1]إنّ التّكرار يقع في القرآن على وجوه، فهناك التّكرار في القصّة الواحدة، وهناك التّكرار في الآية الواحدة، وهناك التّكرار في اللّفظ الواحد، ونحو ذلك.

_ الخطّابي:

قسّم الخطّابي التّكرار إلى نوعين: أحدهما ممدوح و يضع شرطين ليكون التّكرار ممدوحا هو أن تكون هناك حاجة إليه وأن تكون فيه زيادة، ويكون المكرّر من الأمور التي تعظم العناية بها، وأمّا المذموم وهو ما أمكننا الاستغناء عنه، وليس في القرآن شيء من هذا النوع[2]، والتّكرار في كلام الله تعالى ليس هو التّكرار المعهود والمذموم في كلام البشر، إذ هو تكرار محكم، ذو وظيفة يؤدّيها في القرآن الكريم.

_الزّركشي :

ذكر الزّركشي العديد من فوائد التّكرار منها :

- إنّ إبراز الكلام الواحد في أساليب مختلفة وفنون كثيرة، لا يخفي ما فيه من الفصاحة .
- تكرار القصّة في مواضع مختلفة يثبت عجز العرب عن مجاراة أسلوب القرآن والإتيان بمثله بأيّ نظم كان .

إنّ تكرار القصّة يزيد فيها شيئا، ألا ترى أنّه ذكر الحيّة في عصا موسى عليه السّلام، وذكر في موضع آخر ثعبانا، وفائدته أن ليس كلّ حيّة ثعبانا[3]. لأنّه لا تعارض بين الآيتين، فإنّ الحيّة

---

[1]- ينظر، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السّيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ/ 1973م، ص180 .

[2]- ينظر، الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص52

[3]- ينظر، الزركشي، البرهان، ج3، ص26-27

تطلق على الذّكر والأنثى معًا، وأمّا الثّعبان فهو الذّكر، كما قال ابن عبّاس، فقد ذكر البخاري في الصّحيح أنّ ابن عبّاس قال: الثّعبان الحيّة الذّكر منها. وذكر ابن حجر في الفتح قولا آخر في الثّعبان، وهو أنّه يطلق على الكبير من الحيّات ذكرًا كان أو أنثى.

الزّمخشري:

إنّ أهم ما يؤدّي به التّكرار هو ترتيب المكرّر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون أمثل في السّلوك وأبين للاعتقاد يقول الزّمخشري فائدته أن يجدّدوا عند استماع كلّ نبأ منها اتّعاظا وتنبيها، وإن كلاّ من تلك الأنباء مستحقّ لاعتبار يختصّ به، وأن ينبّهوا كي لا يغلبه السّرور والغفلة [1].

في حين هناك فئة التي ترى أنّ وجود التكرار في القرآن هو أن المقصود من كلّ كلمة تكرّر لفظها في القرآن، هو غير نفس تلك الكلمة في موضع آخر فإذا تكرّرت كلمة في القرآن الكريم مرّتين، فالكلمة واحدة، لكن المعنى والمقصود اثنان، وإذا تكرّرت كلمة أو آية في القرآن خمس مرّات، فالكلمة واحدة، ولكن المعاني والمقاصد خمسة، ولعلّ من أشهر من نفى التّكرار في القرآن الكريم :

الخطيب الاسكافي(ت420هـ):

أثبت بالدّليل أنّه لا تكرار في القرآن الكريم وضرب مثالا على ذلك قوله تعالى ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ(4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ(5)﴾[سورة النّبأ]فالنّاظر إلى هاتين الآيتين يعتقد أنّ فيها تكرارًا، ولكن عند التّأمّل الدّقيق يدرك أنّ الآية الأولى تختصّ بالعلم في الدّنيا، والثانية تختصّ بالعلم في الآخرة، فهو إذًا ليس تكرارًا [2] .

سيد قطب:

يقول في هذا الشّأن: (يرد القصص في القرآن الكريم في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها، هي التي تحدّد مساق القصّة، والحلقة التي تعرض

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص435

[2]- الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهة في كتاب الله العزيز، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1973، ص356 .

منها والصّورة التي تأتي عليها، والطّريقة التي تؤدّى بها، تنسيقًا للجوّ الرّوحي والفكري، والفنيّ الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدّي دورها الموضوعي وتحقّق غايتها النّفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب، ويحسب النّاس أنّ هناك تكرارًا في القصص القرآني، لأنّ القصّة الواحدة يتكرّر عرضها في سور شتّى، ولكن النّظرة الفاحصة تؤكّد أنّه ما من قصّة أو حلقة من قصّة قد تكرّرت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأدبي السّياق، وأنّه حيثما تكرّرت حلقة كان هنالك جديد تؤدّي بنفي حقيقة التّكرار[1].

فضل عبّاس:

ينفي فضل عبّاس الادّعاء بوجود تكرار في آيات وألفاظ من كتاب الله، ويذكر بعض الآيات التي زعم أنّ فيها تكرارًا:

قال تعالى في شأن تحويل القبلة ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144)**﴾[سورة البقرة] وبعد هذه الآية يقول ربّنا-سبحانه وتعالى- ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)**﴾ [سورة البقرة].

القارئ لهذه الآيات يجد أنّ الأمر بتولّيه الوجه شطر المسجد الحرام قد ذكر أكثر من مرّة، فيهب الكثيرون على ذلك للتّأكيد، ولكن حينما نمعن النّظر نجد أن الآيات الكريمة لم تذكر للتّأكيد فحسب، وإنّما كان لكلّ واحد منها غرضها التي تؤدّيه، وغايتها التي تقصد إليها، فنحن نعلم خطورة قضيّة القبلة، ومن حيث إنّها جاءت تلبية لرغبة النّبي صلى الله عليه وسلّم ومن حيث ما فيها من استقلال المسلمين في عبادتهم، ولقد كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أوّل نسخ في الإسلام، لذا وجدنا هذه العناية شأن هذا التّحويل، ومع

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص64

ذلك كان لكلّ آية مغزى خاص بها.

وهكذا نجد أنّ أمر التّكرار لا يستقيم مع غايات الآيات الكريمة فالأ الأوّل بالتّولية شطر المسجد جاء عقب قوله ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(144)**﴾ [سورة البقرة]وأمّا الأمر الثّاني فقد جاء بعد قوله تعالى ﴿ **أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ ومعنى هذه الجملة الكريمة أنّه حقّ ثابت لن ينسخ أبدا، أمّا الآية الثّالثة فالأمر فيها ظاهر، فلقد ذكر بعدها ﴿ **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ**﴾، وهكذا يتّضح أنّ أمر التّكرار لا يستقيم مع ما تهدف إليه هذه الآيات[1].

- في سورة «الكافرون»حيث قالوا بالتّكرار فيها، قال تعالى ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)**﴾[سورة الكافرون]أو ل السّورة نداء للكافرين ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ وآخر آية حكم ونتيجة ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾، وما بين هاتين الآيتين أربع آيات يمكن أن نقسّمها إلى مجموعتين:

أولا: قوله ﴿ **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ وقوله﴿ **وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتم** ﴾ فالآيتان تشيران إلى أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم لا يعبد ما يعبده الكافرون.

ثانيا: قوله ﴿ **وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ وهي تنفي عبادة المشركين لما يعبد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، والذين ذهبوا إلى التّكرار قالوا إنّه للتّأكيد، ولكن الجمهور من العلماء ذهبوا إلى عدم التّكرار في السورة الكريمة[2].

خلاصة القول:العلماء من مؤيّدين ومعارضين للتّكرار في الفاصلة القرآنيّة:

- إنّ ما عابوه من التّكرار وهو ما كان مستغنى عنه أي التّكرار المستقبح غير مستفاد به ليس في القرآن شيء منه، لأنّه يعدّ فضلا من القول.

---

[1]- ينظر، فضل عباس، إعجاز القرآن، ص210

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص212

- إتّفاق العلماء على ألقصاّ ة في القرآن الكريم قد تتكرّ ر من حيث كونها قصّة لا من حيث الألفاظ، فنجد أنّ القرآن يعرض ما يتناسب مع السّياق القرآني من هذه القصّة.

- إنّ المتدبّر لآيات العقيدة يجد أنهّا خالية من التّكرار، لأنّ كل موضع قرأت في العقيدة نجد فيه معنى وفائدة جديدة لا نجدها في الموضع الآخر، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي وهو يتحدّث عن أسماء يوم القيامة وما فيها من أهوال (... فليس المقصود بكثرة الأسامي، تكرير الأسامي والألقاب، بل الغرض تنبيه أولي الألباب، فتحت كلّ اسم من أسماء القيامة سرّ ، وفي كلّ نعت من نعوتها معنىً ، فاحرص على معرفة معانيها)[1].

ولعلّ من مظاهر الفاصلة القرآنية، أنهّا تقوم على عدّة ظواهر نرصد منها أربع مظاهر:

الأولية: حرف في الفاصلة يكون له بعده الصّوتي، وفحواه الدّلالي، حتىّ تتساوى المقاطع وتتناسب نهايات الفواصل وأبرز مظاهره:

أ-الألف المدّية: (ألف الإطلاق)

والتي ختمت بها فواصل جملة من الآيات من سورة الأحزاب ﴿ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10)**﴾، ﴿**وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66)**﴾ ﴿ **فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67)**﴾، فالكلمات (الظّنون، الرّسول، السّبيل) ألحقت بألف وكان حقّها الفتح مطلقا دون مدّ الفتحة حتى تكون ألفا، قال الزّركشي(فواصل هذه السّورة منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النّون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل فيها)[2]. دعوة إلى التّأمّل والتّفكّر لظاهرة صوتيّة وكأنّ ذلك معني بحدّ ذاته ومقصود إليه.

ب-هاء السّكت:

وهي زيادة هاء السّكت وإلحاقها في "هي" كما وردت في سورة **القارعة** في قوله

---

[1]- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت،دط، 1404هـ، ج4، ص549

[2]- الزركشي، البرهان، ج1، ص61.

تعالى﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11)**﴾ لتوافق الفاصلة الأولى الثّانية ويتجلّى هذا الملمح الصّوتي أكثر في سورة **الحاقة**عندما يشدّك الوضع الموسيقي الحزين، المنبعث من أقصى الصّدر وأواخر الحلق، فتنقطع الأنفاس، وتتأهّب العواطف واجمة متفكّرة متطلّعة، بنفسيّة المتفائل حينًا والمتشائم حينًا آخر، بين اليأس والرّجاء والأمل والفزع، يقول الحقّ -تبارك وتعالى- ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)** ﴾ فلو استعرضنا فواصل الآيات (كتابيه ، حسابيه ، كتابيه ، حسابيه ، ماليه ، سلطانيه)ها ألحقت بها هاء السّكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتّاء وبالتّالي اقتضى السّياق نطقها هاء للتّوافق.

ونبقى مع الهاء لكن هذه المرّة هاء أصليّة، ختمت بها فواصل سورة **المعارج** في قوله تعالى﴿ **يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14)** ﴾.

الثانية: حذف حرف ما عناية بالنّسق القرآني، ورعاية للبعدالصّوتي، كما في قوله تعالى ﴿**وَالْفَجْرِ(1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ(2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(4)**﴾ حذفت الياء من كلمة(يسري) لأنّ مقاطع الفواصل السّابقة واللاّحقة بالرّاء أمّا في موضع آخر من السّورة نفسها في قوله تعالى﴿ **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)**﴾، فقد حذفت الياء من الكلمات(أكرمني) (أهانني)لما في النّون منغنّة عند الوقوف عليها.

الثالثة: ما حقّه التّقديم، وتقديم ما حقّه التّأخير عناية بتركيب السّياق، وتنسيق الألفاظ ، وترتيب الفواصل، ويتجلّى ذلك في قوله تعالى في سورة طه ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى(67)**﴾ حيث أخّر الفاعل (موسى)وحقّه التّقديموفي ذلك قال أبو حيّان الأندلسي:

(تأخّر فاعل أوجس وهو موسى لكونه فاصلة)[1]، والأصل في الكلام أن يتّصل الفعل بفاعله ويؤخّر المفعول لكن أخّر الفاعل هذا وهو (موسى) كتة البلاغيّة السّابقة)[2] أمّا في قوله تعالى من سورة طه ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)﴾، فقد تقدّم هارون على موسى هنا رعايةً لفواصل آيات السّورة التي انتهت في أغلبها بالألف والألف المقصورة، وتقدّم موسى على هارون في سورة الأعراف في قوله تعالى﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ(122)﴾ وذلك (لكون موسى عليه السّلام هو المنسوب إليه العصا التي ظهر منها ما ظهر من الإعجاز)[3]، وأيضا لأجل الفواصل قدّم موسى وأخّر هارون .

ثالثا: وظيفة الفاصلة القرآنية :

يبقى القرآن المعجزة الخالدة على مرّ العصور فقد وصفه الإمام علي –رضي الله عنه – فقال(لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرّد)[4] ويكفي في بيان إعجازه هذا التّحدّي للإنس والجنّ ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)﴾[سورة الإسراء] فالقرآن معجز من كلّ نواحيه، ألفاظ جزلة، معان فائقة، أحكام باهرة.

---

[1] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ،ج6، 256 .

[2] - الزركشي، البرهان، ج1، ص60 - 61 .

[3] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص257 .

[4] - قال الترمذي :حدثنا عبد بن حميد حدثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزّيات عن أبي المختار الطائي عن بن أخي الحرث الأعور عن الحرث قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أنّ الناس قد خاضوا في الأحاديث قال وقد فعلوها قلت نعم قال أما إنيّ قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا أصحهما على كثرة الردّ ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجنّ إذا سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم الترّمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ، الجامع الصحيح سنن الترّمذي)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت. 14 باب ما جاء في فضل القرآن 2906.

حكى الأصمعيّ[1] سمع بنتا أعرابيّة في السّادسة تنشد:

أستغفر الله لذنبي كلّه قتلت إنسانا بغير حلّه

مثل غزال ناعم في دلّه انتصف اللّيل ولم أصلّه

فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت:ويحك أيعدّ هذا فصاحة مع قول الله تعالى:﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)**﴾[سورة القصص] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وبشارتين!

ولذلك لم تأت الفواصل عبثا في القرآن الكريم، بل جاءت لتؤدّي معنى تتمّ به الفائدة، وتتّصل بظواهر النّظم القرآني **الإيقاعيّة والدّلالية** وقد ذكر **الجاحظ(ت255هـ):** أنّ رجلا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ: «فإنزللتم من بعد ما جاءتكم البيّنات فاعلموا أن الله غفور رحيم»فقال أعرابيّ لا يكون وفي رواية أخرى أنّه قال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم، لا يذكر الغفران عند الزّلل لأنّه إغراء عليه)[2] هذا ما ذكره الأعرابيّ بطبعه وسليقته وسجيّته.إذن الفاصلة القرآنية لم تأت لغرض لفظيّ فحسب وإنّما جاءت لغرض معنويّ يحتّمه السّياق وتقتضيه الحكمة الإلهية.

وفي ردّ للدكتور فضل عباس[3] دائرة المعارف البريطانيّة التي ادّعت أنّ القرآن مجرّد إنشاء بطريقة عشوائيّة، واستدلّت على هذه الدّعوى بالفواصل القرآنيّة، مثل **"إنّ الله عليم"، "إنّ الله حكيم"، "إنّ الله يعلم ما لا تعلمون"**أنّ هذه الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها، وأنّها وضعت فقط لتتميم السّجع والقافية.

والفاصلة القرآنيّة لها وظيفتان، الأولى **معنوية** تقتضيها السّياق وهي الأساسيّة والغرض المعنوي للقرآن هو المعنى الذي تؤدّيه الفاصلة، فارتباط الفاصلة بالسّياق أمر أساسيّ إذ يرتبط

---

[1]- ينظر، مجلة كنوز الفرقان، يصدرها الاتحاد العام لجماعات القرّاء، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، ط1، العددان الأول والثاني، محرم وصفر 1369هـ، أكتوبر ونوفمبر 1949م، السنة الثانية، ص59 .

[2]-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص269.

[3]- ينظر، فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص82.

بالفكرة والهدف. وأحيانا لا يراعي القرآن الكريم الفاصلة بل قد تأتي مغايرة عن غيرها وهذا دليل على أنّ المقصود بالدّرجة الأولى هو المعنى.

وقد تكون الفاصلة والمعنى غير منته، فليست الفواصل هي دائما تامّة المعنى فقد تكون متعلّقة بما قبلها أو ما بعدها كما في قوله تعالى في سورة الرّحمن **(مدهامّتان)** فالآيات ليست وحدات مستقلّة المعنى قد تكون تامّة وقد تكون متعلّقة بما قبلها أو بعدها.والثّانية **لفظية**تتّصل بجمال الإيقاع فالفواصل وتشاكل مقاطعها جزء من الإيقاع في النّظم القرآني .

رابعا: الملامح الجمالية للفاصلة القرآنية :

اعتنى القرآن بالجرس والإيقاع اعتناءه بالمعنى، وهو لذلك يتخيّر الألفاظ تخيّرا يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتّسقة مع جوّ الآية وجوّ السّياق، بل جوّ السّورة كلّها في كثير من الأحيانهذا القرآن الذي ما أن سمع بعضه الوليد بن المغيرة أعدى عدوّ للإسلام حتى قال قولته المشهورة والمنصفة التي تشهد للقرآن شهادة حقّ وصدق **(**والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلى وما يعلى عليه، وما يقول هذا بشر**)**[1]، فإذا كانت حلاوته هي دلالاته ومعانيه، فما هي طلاوته؟ إنّها أصواته ذات الأثر الموسيقيّ الخاصّ الموحي إلى السّمع بتأثيرات مستقلّة تمام الاستقلال عن تأثيرات المعنى وعن مجرّد كون اللّفظ رقيقا وغير رقيق. فالإيقاع والتّلاؤم مع الموضوع **ملمح جمالي** في أداء الفاصلة لوظيفتها. تنبّه لذلك الرّافعي وأكّد قيمتها في جمال النّظم الموسيقيّ فهي **(**في مع آياتها في قرار الصّوت اتّفاقا عجيبا، يلائم نوع الصّوت الذي يساق عليه ...وتراها أكثر ما تنتهي بالنّون والميم، وهما الحرفان الطّبيعيّان في الموسيقى نفسها، أو بالمدّ، وهو كذلك طبيعيّ في القرآن**)**[2]لأنّ الفواصل في الآيات فيها تمهّل واستقرار، ويغلب عليها التّساوي في الوزن والتّوازن في الإيقاع.

ونظم القرآن ونغمه ينبعث من الحروف والكلمات والأسلوب، لذلك (انفرد القرآن بهذا الوجه للعجز، فتآلفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها، أو أبدل بغيره، أو أقحم معه

---

[1]- ابن هشام، عبدالملك بن أيّوبالسّيرة النّبوية (سيرة ابن هشام)، تحقيق: عمر عبدالسّلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط3، 1410هـ/ 1990م، ص302-303.

[2] - الرافعي، إعجاز القرآن، ص217 .

حرف آخر، لكان ذلك خللا بيّنا في نسق الوزن، وجرس النّغمة في حسّ السّمع وذوق اللّسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج، وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ولرأيت لذلك هجنة في السّمع)[1] حروف القرآن متآخية في كلمات ذات إيقاع موسيقيّ ونغم تهتزّ المشاعر منها اهتزازا وتسكن النّفوس مطمئنّة راضية ويختلج الوجدان متأثّرا ومنفعلا ويطرب القلب حين يدرك المعنى مصحوبا بإيقاع مؤثّر يرهف الحسّ ويرقّق الوجدان.

أمّا التلاؤم فيرتبط بالإيقاع الهادئ، والإيقاع الهادر الصّاخب ولكلّ منهما موضعهما الملائم لهما.

والإيقاع في القرآن الكريم مرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الصّوتي، ممّا جعل النّص القرآني يكتسي خاصّية دون سائر النّصوص الأخرى، فأصبح طيّعا للترّتيل(لا يملّ على طول التّلاوة، ومعلما تمجّه الآذان، وغضّا لا يخلق من كثرة الترّداد)[2] .

ومن ثمّ أكسبت الفاصلة القرآن الكريم إيقاعا متميّزا، كما أعطته جمالا إيقاعيًّا متميّزا ممّا جعلها تتقاطع أحيانا مع الوزن الشّعري، وقد تفطّن الدّارسون قديما وحديثا إلى أثر الفاصلة في إضفاء جوّ مهيب في الخطاب القرآني كالزّركشي حين يقول: (وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطّريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام)[3]. فارتفع بلفظه ومعناه.

---

[1] - الرافعي، إعجاز القرآن، ص217 .

[2] الرّماني، النّكت في إعجاز القرآن، ص89.

[3] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص84.

الفصل الأول

الدراسة الصوتية للفاصلة القرآنية

المبحث الأول: التلقي والقرآن وفئة المتلقين

المبحث الثاني: الفاصلة والسّجع

المبحث الثالث: الفاصلة والوقف

المبحث الأول: القرآن الكريم مصدر تلقي

يعنى هذا الفصل بدراسة وجه من وجوه الإعجاز القرآني وهو الإعجاز الصوتي ، فذاك الجمال الصوتي ، و التناسق الفني ، و الإيقاع الموسيقي ، هو أول شيء أحسته الأذن العربية يوم نزل القرآن و تلاه الرسول – صلى الله عليه و سلم- و لأن الصوت أول مستويات اللغة فقد كان أول ما يسترعي الأسماع ويستهوي النّفوس، ويأسر الألباب هذا الجمال الموسيقي الذي صيغ عليه القرآن الكريم إذ اتسقت فيه حركاته وسكناته، مدّاته وغنّاته اتّساقا رائعا لتشكّل معجزة إلى جانب ما يمتلكه القرآن من معجزات. فاتّسم الخطاب القرآني بنظام صوتي معجز.

أولا / التلقي والقرآن:

النص/الخطاب، الباثّ /والمتلقي[1] من أهم المصطلحات التي باتت تستوقف الدارس النقدي في عصرنا الحالي، فالنص لا وجود له إلا بعد أن يقرأ، والقارئ لا يهتم إلا إذا وُجد خطاب معين، ينقل من خلاله النص من حالة السديم إلى الحركة، أو من حالة الكينونة الغائبة إلى الحضور العياني.

اهتم النقاد قديما وحديثا بالأقطاب الأربعة،أيما اهتمام، لأنهم لاحظوا أن النص لا يحمل في طياته معنى ثابت مقرّر على القارئ اكتشافه وتحديده،لذلك ينبغي التركيز لا على النص وحده بوصفه المعطى الموضوعي، بل على القراءة باعتبارها نشاطا علميا، بما تفرزه من تفاعلات ناتجة عن التجاوب مع النص، وظهرت نظرية**"التلقي"** على إثر ذلك لتبحث في معطيات النص، ومؤهلات المتلقي.

ونظرية التلقي لم تأت من فراغ (ولم تسقط من السماء بل لها مكان في التاريخ)[2]، على أنه لا شيء لاحق دون آخر سابق، فقد أفادت النظرية في بلورتها ورسم معالمها من مختلف النظريات

---

[1] أمينة طيبي، النّص القرآني وأنواع المتلقّين، عود النّد، مجلّة ثقافية فصلية، العدد95.

[2] - محمود عباس عبدالواحد، قراءة النّص وجمالية التلقي، دار الفكر،ط1،1996، القاهرة، ص31.

القديمة والحديثة، العربية منها والغربية، على أن أكثر الملتفين حول نظرية التلقي لا يحيلون إلى أكثر المصادر القديمة، التي استقوا منها أفكارهم، أو تلك التي ألهمت قرائحهم.

أول من يشهد لهم التاريخ بفضل السبق في وضع اللبنات الأولى لهذه النظرية اليونان، بلاد الحضارة والجمال آنذاك، حيث أفادت الحياة الاجتماعية المزدهرة في خلق نوع من الحرية الفكرية، الجدل النوعي، فشاع الجدل ونشأت عن ذلك الحاجة إلى تعلّم الخطابة، وأساليب المحاجّة، واستمالة الجمهور، ووجد فريق من المثقّفين المجال واسعا لاستغلال مواهبهم، فانقلبوا معلّمي بيان)[1].

لقد عوّل السفسطائيون على دور الذات في خلق المعنى وتشكيله، لأن المعنى أمر نسبي غير مطلق أو ثابت، وهنا ماس فكرهم أصول النظرية النقدية الحديثة، وجمالية التلقي بالخصوص، التي يرى أصحابها أن المعنى ليس كاملاً في العمل الأدبي، بل ينتج عن حصيلة التفاعل بين العمل والمتلقي، فيصبح **"الظن"** حقيقة واقعة تقترب من مفهوم **"التأويل"**[2] ذلك الفعل الذاتي الحر، الذي ينطلق من انفتاح النص، واحتماليته الواسعة، التي تعطي القارئ أولوية أخرى لا تبتعد عن أهمية صاحب النص، لأن المتلقي هنا يصبح المبدع الثاني الذي يشفر رموز النص.

هذا ويبدو اهتمام اليونانيين بالمتلقي واضحا وجليا في أعمال أرسطو التي ترجمت إلى العربية في حدود القرن الرابع على أيدي الفلاسفة المسلمين، منهم الفارابي، ابن سينا، وابن رشد، فمن القراءة الأولى لكتابه فن الشعر يبدو الاهتمام بالمتلقي، من خلال وصفه للعناصر التي ينبغي أن يتوفر عليها العمل الأدبي، كجمال اللغة وتحسين الأسلوب، والقدرة على التصوير والإثارة..وأخرى كلها عوامل للتأثير في المتلقي.

ثم إن ترتيب الأجناس الشعرية يعود في حقيقته إلى قيمتها وطريقة محاكاتها من خلال أثرها الناتج عن عملية التلقي، ولعل أرسطو أدرك ذلك حين قسمها إلى **"تراجديا"** و**"كوميديا"**، فالأولى شكل من أشكال المحاكاة، وهي أسمى أجناس الأدب، تقوم على لغة متينة ممتعة، منمقة

---

[1]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم،بيروت، لبنان، ط1،1977، ص45.

[2]- ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، القاهرة، ط1 ،1997، ص23.

بأنواع التزيين الفني(في أحداث تثير الشفقة والخوف، وبذلك يحدث التطهير من مثل هذين الانفعالين)[1]، فالتراجيديا على هذا تكون بما تحدثه في نفس المتلقي من شفقة وخوف.

هذا ويخص أرسطو المتلقي بخبرة الأديب، ويرفض اللاّمعقول في الفن، إلا إذا كان صاحب العمل قادرا على تصوير النادر والمستحيل ممكنا لدى المتلقين، ويستطيع أن يبلغ بذلك إلى:**"الإدهاش"** الذي يحقق المتعة[2]، ويخلق انفعال بين المتلقي وشخصيات العمل الأدبي.

فكرة **" التوحد"** بين المتلقي والنص الأدبي التي نادى بها أرسطو هي نفسها التي دعا إليها رواد نظرية التلقي، فالتوحد يربط بين المتلقي بالعمل الأدبي حتى يصبح شخصية في العمل، فهي(دي إلى حالة خاصّة من الفهم الكامل)[3] وليس مجرد انفعال عاطفي.

هذا وقد وقف أرسطو عند التأويل، الذي يجعل من النص رموزا تسير بالقارئ إلى الأغوار النفسية لصاحب النص، فيؤول انطلاقا من الأصوات والصيغ والتراكيب الحالة الشعورية للناص.

وإذا عدنا إلى العرب نلفاهم قد تنالوا الكثير من القضايا التي أسس لها الدرس الحديث، بل إننا نجد لهم فضل السبق في الكثير من الأفكار على اختلاف التخصصات، الصوتية، النحوية، والدلالية، الطبية، الفلسفية وغيرها مما لا يسع المجال لحصرها.

ومن ذلك اشتغالهم بالتأويل (بوعي منهجي كامل لدى المفسرين المسلمين وعلماء الأصول، بالمفهوم نفسه لدى الغربيين على عهدنا الراهن)[4]، فالعرب في موروثهم النقدي، لم تغب عنهم مسألة انفتاح النصوص الأدبية وتقبلها لتعدد القراءات ومختلف التأويلات، وما تلك الدراسات المتراكمة والفحوصات المتعاقبة على شعر المعلقات، ودواوين الشعراء، أمثال المتنبي وأبي العلاء المعري، وحماسة أبي تمامّ قصد، ولا تحفظ ولا طلب[5].

جعل الله تعالى القرآن الكريم معجزة النبي صلى الله عليه و سلم حين نزل بلغة مثالية ، و قد اقتضت حكمته تعالى أن يكون إعجازه في لغة العرب دون سواها ، من المعجزات الأخرى التي

---

[1]- أرسطو، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، هلا للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص111.

[2]- نفسه 246-247.

[3]- شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، مارس 2001، الكويت، ص 346.

[4]- عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003 وهران، ص181.

[5]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص97-98.

خصها باقي الأنبياء ، مخاطبا فئة نموذجية هم العرب الذين كانوا على مستوى من العلم و الدراية بفنون الكلام و أساليبه و رتبه و أجناسه ، متحديا إياهم في ما برعوا فيه ، فعجزوا عن معارضته أو الإتيان بمثله ، و هم أهل البديهة و الارتجال بل و عجزوا حتى عن وصفه ، أو تصنيفه ، فأدركوا بسليقتهم و فطرتهم عظمته و سموه ، و أنه مختلف عما عهدوه من كلام البشر.

والله سبحانه وتعالى إنما ركز على لغة العرب، كأنما كان يتحدث إلى فئة نموذجية،سواء كانت مؤمنة أم كافرة، وهي الفكرة التي يؤكدها أصحاب نظرية التلقي حول النص الأدبي والمتلقي النموذجي.

فالقرآن الكريم سوّى بين المؤمنين والكافرين به، وفي تأبّيه على الإدراك والاستيعاب لديهم، وكذا وجود شيء غامض في الذات لدى كلا الجانبين جراء تلقي هذا النص الفريد، ثم يختلف الفريقان من حيث تبرير هذا التأثّر ويفرقان في ردة الفعل الذي يحدثه التأثير. وقد وجد النص من يرفع عنه الهمة ويخرجه من الظلمة-وأقصد عدم استيعابه عند عامة الناس-، فظهر مفسرون حملوا على عاتقهم تفسيره وتأويل آياته، قال عليه الصلاة والسلام: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجه»"[1].

لقد كان لكل من فئتي المؤمنين والكافرين موقف مباين للأخرى إزاء الخطاب حيث إن هذا التباين والانقسام لم يكن منحصرا في جانبه العقيدي والثقافي فحسب بل تعداه إلى مستوى الخطاب، منعكسا على لغته، مما يدل على وجود توتر متبادل بين الوحي ومستقبليه، فالوحي تنزل عليهم والمخاطبون تلقوه إما بالقبول أو الرفض أو السؤال.

فالقرآن إذن تقاطع لأنساق خطابية حاملة لقيم قد تبدو متشاكلة، لتشاكل غاياتها التي تتلخص في معاني الانقياد والاستسلام والخضوع، إلاّ أن خطاب النص القرآني أسس نظامه على فعل الإقصاء بعد الاحتواء وبيان زيف الأنساق الخطابية الأخرى. ولذلك فالنص القرآني لا يتأسس من فراغ، ولا ينبع من عدم، وإنما ينبني وجوده على أنقاض خطاب أو خطابات أخرى.

---

[1]-الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص64.

في هذا المساق تتسق هذه المقاربة في محاولة الوقوف على عناصر اللغة التي خاطب بها الله المتلقي النموذجي، لأنها تمثل جسر التواصل بين النص والمتلقي، فهي تأشيرة الدخول إليه، وهي مفتاح المتلقي، وما كان لباحث أن يرصد عناصر النص من دون المرور عن طريق اللغة، باستنطاق شفراتها الجزئية والكلية، واستبطان مختلف حمولاتها الجمالية والمضمونية.

ولغة القرآن كانت موجهة إلى ثلاثة فئات: النبي عليه الصلاة والسلام:المتلقي الأول، المؤمنون:المتقبلون، ثم الكافرون:المعارضون، فكيف اختلفت يا ترى؟ هذا وسنقف على بعض الملاحظات الصوتية مع كل فئة من خلال نموذج بسيط، لنقف على الإعجاز اللغوي الذي هيمن على النص القرآني.

1/ النبي –صلى الله عليه وسلم-

نزل جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم على الرسول – صلى الله عليه و سلم – نزولا صوتيا حيث قرأه عليه مباشرة و سمعه الرسول – صلى الله عليه و سلم – منه و أخذه عنه سماعا، و بذلك كان للقرآن الكريم أثره العميق في نفس كل من يسمع له ، قال تعالى : ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)**﴾[سورة الحشر]هذه الحقيقة في كيفية نزول القرآن الكريم على النبي – صلى الله عليه و سلم –تثبتها آيات أخرى كقوله تعالى :﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252)**﴾[سورة البقرة] و قوله سبحانه:﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6)**﴾[سورة الجاثية] وقوله أيضا:﴿ **ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58)**﴾[سورة آل عمران]. في هذه الآيات (نتلوها عليك،نتلوه عليك) أي نتلوه عليك بواسطة جبريل – عليه السلام- أو يتلوها جبريل – عليه السلام- عليك . وتجدر الإشارة أنّ القرآن الكريم وصف أصحاب الدّيانات السماوية الأخرى بأهل الكتاب، بينما أتباعه من المسلمين هم أصحاب القرآن ، وينطوي هذا التّصنيف على مسألة بالغة الأهمية، أنّ الكتب السابقة لم تنزل نزولا صوتيا بل نزلت مكتوبة وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في شأن التوراة﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)**﴾،وقال في التوراة والإنجيل﴿**قَالُوا لَوْ لَا**

ر َبِّهِ أَوَيَلَّمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى (133)﴾. فقد قال القرطبي في هذه الآية يريد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة[1] وخلافا للكتب السماوية نزل القرآن نزولا صوتيا ولم ينزل مدونا في كتاب ويؤكّد هذا زمرة من النصوص منها ما ورد في فتح الباري أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ الله عزّ وجلّ إذا تكلّم بالوحي سمع أهل السّماء للسّماء صلصلة كجرّ السّلسلة على الصفاء فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم قال: ويقولون يا جبريل ماذا قال ربكم قال: فيقول الحق قال فينادون الحق الحق[2]. يؤكد هذا الحديث أنّ الله تعالى يتكلّم بالوحي ويتلقى جبريل هذا الكلام صوتا شديدا فيتبع المنهج ذاته في تبليغ الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم (عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فيفصم عنيّ وقد وعيت ما قال وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلّمني فأعي ما يقول)[3] . وبهذا بلغ القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم صوتا مسموعا عن طريق ملك الوحي.

إذن فللمكانة الأولية الأساسية التي يحتلها الصوت في البناء اللغوي نزل القرآن الكريم نزولا صوتيا متلوا ، وقد اختار الله تعالى الصوت المباشر لتوصيل رسالته و تبليغها و إفهامها النبي عليه الصلاة والسلام ،فكان الحوار الأول الذي جرى بين ملك الوحي والنبي يحدد منذ البداية(الوضع النسبي للذات المحمدية في الخطاب القرآني،حيث توضع هذه الذات -منذ الوحي الأول- في مقام المخاطب المفرد، وسينزل الوحي في الواقع على ذات مخاطبة، تؤديه واسطة عن الذات المتكلمة تستعمل هنا مباشرة اللغة الإلهية لتأمر بالقراءة أمياً لا يتخيل نفسه قارئاً، وهو -لهذا- قد اضطرب وأجفل)[4]

---

[1]- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام البيان، دار الكتب العلمية، بيروت ،1993، دط،ج11، ص264

[2]- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، 1996م ، دط، ج15، ص422.

[3]- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري ،ج1، ص27-28

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1986، ص158.

وتجدر الإشارة أن النبي الكريم لم يخاطب الله سبحانه وتعالى، بل كان هو المُخاطب في كل مرّة، بل إن انعدام الطابع الشخصي للذات النبوية في الخطاب القرآني يتجلى بوضوح في كثير من الآيات، حيث لم يرد فيها ضمير معبرّ عنه إلا في صورة المفرد المُخاطب.

ونجد بذلك أن نبينا الكريم كان أكثر تواضعاً - في هذا الشأن- من موسى عليه السلام الذي تلقى **التوراة** في لقاء مباشر بينه وبين الله –تبارك وتعالى- حيث سمع كلام الله ذاته﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)**﴾سورة طه، أما بالنسبة لمحمد فالقرآن قول رسول سماوي وسيط بينه وبين الله[1].

وقد كان الحوار الأول الذي جرى بين ملك الوحي و النبي – صلى الله عليه و سلم- آيات من سورة العلق، حيث امتازت هذه السورة بقصر آياتها و بوقع أصواتها ، و هو الأمر الذي ميز كل السور المكية فالآيات المكية كانت تمتاز بقصرها وقوة وإيجاز ألفاظها مع بلاغة المعنى وتجانسها الصوتي لأن المقام كان لمحاججة المعاندين المنكرين خوفا أو كبرا ، بخلاف المدنية التي كانت تعتمد الإطالة لأنها جاءت للتشريع السماوي، وشرح مكارم الأخلاق، و تعاليم الدين الاسلامى هذه هي الآيات الأولى التي تلقاها النبي صلى الله عليه و سلم بعد غط شديد من جبريل عليه السلام ، ليستعد لتلقي الوحي الثقيل ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5)**﴾ ، و لذلك ناسب أن تكون الأصوات الأولى قوية ثقيلة ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)**﴾،و أن تنتهي الفواصل بأصوات قوية أيضا، فالقاف صوت لهوي شديد مستعل قوي مقلقل، و الميم متوسط مجهور تنطبق الشفتان عند نطقه، وتتناسب المقاطع مع حالة الرسول الكريم لما رأى الملك فقد أخذه رعب وخوف شديد فعبرت عندها المقاطع المغلقة من نوع(**ص ح ص**) .

والقارئ لسورة العلق يرى أن صوت القاف قد هيمن على آياتها ، مع أصوات أخرى كالراء و اللام ، و الميم ، و لعل ورود هذه الأصوات جاء عن قصد ، لأن خصوصية الصوت العربي

[1]- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط5، 1980 ، ص127

عكس المعنى و إبرازه الأمر الذي لا نجده في اللغات الأخرى، فالقاف مثلا صوت مجهور انفجاري، مستعل، يدل على(المفاجأة التي تحدث شيئا)[1] ، في هذا الصوت من الحرقة و القوة ما فيه ، و لفت الانتباه ، و تثبيت عزيمة النبي – صلى الله عليه و سلم – أمام هذا الأمر العجيب، مجليا قوة الحث في قوة الصوت ، و انفجار الوضع في مكة في انفجار القاف .

ومثله اللام ، صوت مجهور، مائع يحمل من الشدة بالتصاق اللسان بأصول الثنايا اتساقا محكما، و من الرخاوة بتسرب الهواء عبر جنباته، فجمع بذلك القوة و الضعف و هو صوت يوحى بالتماسك و الالتصاق، دعوة الله لنبيه.

أما الميم فصوت مجهور، مائع، يخرج الهواء أثناء النطق به من الأنف، لذلك فهو صوت خيشومي به غنة، يدل على"الانجماع"[2] يدل التماسك و الضم كضم الشفتين أثناء النطق به، و على المرونة و الليونة كليونة الشفتين، كأن الله سبحانه و تعالى يريد من نبيه التماسك أمام أمرين: **الأول** تلك الحادثة التي هو بين أيديها، **الثاني** أمام كفر أهل مكة بل و الناس جميعا، لاسيما أنه نبي الأمة.

و هكذا لو وقفنا مع كل الأصوات المتبقية كالباء و الزاي ، سنجدها أصوات توحي بالقوة و التماسك ، إضافة إلى بعض الأصوات التي هي أندى في السمع و أعمق في التأثير و أنها تستغرق أطول مسافة، تماشيا مع جغرافية الصحراء المترامية الأطراف.

يخاطب القرآن الكريم فئة المؤمنين بعبارة:**"يا أيها الذين آمنوا"**، وهي عبارة لو ركزنا فيها سنجدها تفيد الانفعال والتواصل من غير انقطاع، ولعله يريد بذلك ثباتهم وصبرهم وسط المجتمع الكبير الكافر.

إن الأداء الصوتي الصحيح الدقيق هو الوسيلة الوحيدة المثلى التي تضمن تماما توصيل الفكرة بمنتهى الدقة و الضبط و الأحكام، لذلك أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يتلو القرآن على الناس بلسانه الشريف، و كما هو معلوم كان للرسول عليه الصلاة و السلام صوتا خشوعا و هو ما ساعده بالتأثير في نفوس ممن كان يملى عليهم القرآن و هم فئة المؤمنين الذين خاطبهم القرآن

---

[1]- أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دار السؤال للطباعة والنشر، سوريا، ط3، 1406هـ/1985م، ص22

[2]- أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ، ص22.

الكريم بعبارة **"ياأيها الذين آمنوا"** فالإيمان- المقصود في القرآن- هو انعكاس في السلوك اليومي، و هو ممارسة حياتية مستمرة تتمثل في العمل الصالح، و الاستقامة، و لذلك استخدم القرآن مختلف فنون التعبير في تقديم صورة المؤمن، المتلقي الجيد له.

فالياء وردت مرتين في صورة أشباه الصوائت، و مرة صائتة، و هي صوت انطلاقي داخلي، يدل على البواطن، تمثيلا لنفوس المؤمنين، التي تخفى كل الآلام و الآهات، رافعة الهمة، لاسيما أنها اقترنت بصائت الألف، الذي يدل على الاستمرارية استمرارية محاربة النفس، و كظم التعب، و الاستمرارية في حمل الرسالة السماوية وهذه هي فعلا صفة المؤمنين.

و مثله الواو التي تدل على الظواهر، بسبب رؤية استدارة الشفتين، و ربما يعود ذلك إلى إظهار الولاء للرسول عليه الصلاة و السلام، و إظهار الإيمان من دون المشركين فهي صائت طويل يعكس طول الرسالة، و الملاحظ هنا أن الصوائت تراصت في هذه العبارة لتفيد رسالة ظاهرة و أخرى باطنة، ارتبطت بصوتين من أصوات البكاء هما: الميم و النون .

و الجدير بالذكر أن تلك العبارة لم توظف إلا بعد الهجرة إلى المدينة، حيث استقل المجتمع المؤمن، و برزت خصائصه و صفاته، و ظهر المؤمن من المنافق، أما قبل الهجرة فالعبارة اقتصرت على **"يا أيها النامل"**وهي عبارة قصيرة دون الأخرى، تؤكد مرة أخرى الفكرة السابقة، وهي أن الله خاطب أهل مكة بسور وآيات قصيرة سميت بالسور المكية، وخاطب أهل المدينة **"المؤمنون"** بسور وآيات طويلة .

2- تلقّي المؤمنين:

الدّين أفيون الغوّب، حس ّعفوي في كل ّ إنسان، ملازم له، يحاول من خلاله التخلي عن ضعفه واستفساراته، حتى الإنسان الأول عبد النار والمطر والسحاب وغيرها من الظواهر الكونية الأخرى لأنه كان يخافها، أما الإيمان فنابع من الفطرة التي جبل عليها، والتي تنطوي على بصيرة داخلية، تميز بين الحق والباطل، والخير والشر، خصهم الله بخطاب خاص، بل بسورة كاملة سماها**"المؤمنون".** ويمتاز أصحاب هذه الفئة بالتلقي الجيد للنص القرآني، وحسن استقبال الخطاب القرآني، لأنهم يحسنون استخدام حواسهم ومداركهم لتلقي أي معرفة خارجية، ولا

يعطلون طاقاتهم عن تلقي الخطاب المُوحى، بخلاف المعرضين الذين صرفوا قلوبهم، وصدوا أسماعهم، وأسدلوا الحجب بينهم وبين المعرفة المنزلة، والحقيقة الموحاة.

هذا إلى جانب حقيقة أخرى نكاد نقف عليها في سور القرآن الكريم، وهي أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين كثيراً بضمير الغائب، عكس الكفار الذين يخصم بضمائر المخاطب، وفي هذا حكمة أخرى.

يحرص القرآن الكريم ألا يجعل "الإيمان"اعتقادا غيبيا مجردا، أو إحساسا باطنيا محضاً، دون أن تكون له علاقة بالواقع الإنساني، أو انعكاس في السلوك اليومي ف**"الإيمان"** المقصود في القرآن الكريم ممارسة حياتية مستمرة تتمثل في العمل الصالح، والاستقامة، ولذلك نجده يستخدم مختلف فنون التعبير في تقديم صورة الإنسان" المؤمن"كالحكاية، الوصف الظاهري، التمثيل، الموقف الفكري من الطبيعة، استبطان النفس الإنسانية...واستخدام القرآن لهذه الأساليب ليس بهدف الوصف الواقعي، أو التعبير الفني، ولكن للدعوة إلى ضرورة الإيمان، ووضع نفسيات المؤمنين أمامهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وهذا الأداء المتنوع مقصود لمخاطبة مختلف النفسيات والعقليات، والنماذج البشرية.[1]

نزل القرآن بلغة محمد لغة قريش التي تعودها و جبل عليها، لغة الشعر الملقى في أسواق مكة، و بذلك الشكل خاطب الله سبحانه و تعالى نبيه الكريم، و سوى بين المؤمنين و الكافرين به، ليختلف الفريقان في ردة الفعل الذي يحدثه التأثير جراء تلقيه فهذا عمر بن الخطاب –وإن اختلفت الروايات- فإنها تجمع على أنه سمع أو قرأ آيات من القرآن فأدرك كمتلق واع أنّ هذه الكلمات لا تصدر عن بشر، وهذا الوليد بن المغيرة يجيب قريش : لقد عرفنا الشعر كلّه رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هوبالشّعر... فكان لكل من فئتي المؤمنين و الكافرين موقف مباين للأخرى إزاء الخطاب القرآني حيث أن هذا التباين و الانقسام لم يكن منحصرا في جانبه العقيدي و الثقافي وحسب بل تعداه إلى مستوى الخطاب المنعكس على لغته مما يدل على وجود توتر متبادل بين الوحي ومستقبليه، فالوحي تنزل عليهم و المخاطبون تلقوه إما بالقبول أو الرفض أو السؤال .

---

[1]- عبد الحكيم غلاب، صراع المذاهب والعقيدة في القرآن، دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان، ط1، 1989، ص94.

3- تلقي الكافرين:

الكفر عكس الإيمان، وهم الفئة التي عارضت الرسالة النبوية، على اختلاف أنواعها، فمنهم: المشركون، والملحدون، وأهل الكتاب"اليهود والنصارى"، وفئة أخرى ولدتها ملابسات الدين الجديد هي طائفة "المنافقين"، أي أن الكفر هو "اللإيمان" مصدره الطاغوت، ومصدر الإيمان هو الله[1]

فإذا كانت جماعات المعارضة، سواء في المجتمع المكي أو المدني مختلفة من حيث المبدأ فإنها اتخّذت وضعا مشابها، إزاء الوحي و التشكيك به، ووقفت موقفا مناهضا قائما على الجدل و الحجاج و المنازعة .

و قد خص الله الكافرين بسور في القرآن الكريم، وآيات كثر لعلّ أشهر سورة تلك الحاملة لاسمهم، حيث ميّز فيها بالجزم بين دين الرسول وبين الكفر بكلّ مظاهره و أشكاله ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)** ﴾.

المتأمّل لهذه الآيات المكيّة سيلاحظ أنّ النّمط الذي جرت عليه فهو نمط الشّعر الذي كان يلقى في أسواق مكة، فيقف على صورة صوتيّة رائعة، حيث جمع الله سبحانه و تعالى الأصوات المتنافرة في هذه الآيات الحاملة للصفّات الضدّية بين جهر/ وهمس شدّة / ورخاوة صوت الدّال بما فيه من جهر وشدّة، يوحي بشدّة اللّهجة وحتّما تلك التي يخاطب بها المولى عزّ وجلّ الخارجين عن رسالته، المليم بما تحمله من غنّة تظهر شيئا من الشّفقة عليهم، فهم في غفلة، لا يريدون النّجاة ولا يعرفون الحقيقة التي تنتظرهم، إذا هم ماتوا على الكفر وكذا وجود صوت النّون الذي ما ورد في كلمة إلا و أعطاها معنى البكاء .

لكن الزجر قوى و المعنى حادة ،فالموقف غير عادى هو يفصل بين فئتين تختلفان كل الاختلاف، و العنف يظهر مع صوت الهمزة، فهو كالحبسة في الصدر، الأمر الذي عكس حالة الغضب على أصحاب هذه الفئة ليكون الفصل في النهاية بالآية الأخيرة.

---

[1]- عبد الحكيم غلاب، صراع المذاهب والعقيدة في القرآن ، 208.

وقد تراوحت أصوات الفواصل بين النون و الميم و الدال و كلها أصوات قوية مجهورة و دلالة ذلك هي الإعلان الصريح المدوي و القوي لقطع أطماع الكفار بالتأثير على النبي أو المؤمنين ، فلا يمكنه أبدا أن تلتقي عقيدة التوحيد الصافية مع عقائد الوثنيين و أوهامهم

أما المقاطع فكلها مغلقة و كأنها تغلق الباب في وجه كل مساومة على التوحيد و تقطع الطريق أمام كل طمع في أي هوادة من الإسلام و أهله للكافرين .

وعليه فقد تكيف القرآن الكريم بحسب نوعية مخاطبيه، وحسب القضية المتحدث عنها، والسياق الذي دار فيه الخطاب، فالخطاب الصوتي في القرآن الكريم هو أول ما طرق الأذن العربية و أثار انتباهها فغير ذوقها الفني، كما أنه أضفى على التعبير القرآني جمالا و بلاغة لا يرقى إليها أي نص آخر.

المبحث الثّاني: الفاصلة والسّجع

قرئ القرآن قراءات مختلفة منذ نزوله في كتب القراءات، يرتل ترتيلا ، و يجود قارؤه و يترنم في قراءته و (الترتيل معرفة الوقوف و تجويد الحروف)[1]. إذن هذا الأثر العميق و القوة الجبارة لتأثير القرآن الكريم فرضته هذه الأحرف التي اجتمعت بشكل متجانس (

[1]- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 97.

فكأن البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه بخلاف ما أنت واجد من كلام البلغاء)[1]

فهو معجز في لفظه و معانيه ، و معجز في أسلوبه و بلاغته ، معجز في صوته .

يتميز القرآن الكريم بتنوع صوتي يشمل صورا و أشكالا شتى تتمثل في الإيقاع التنغيم ، الفاصلة، المناسبة الصوتية، و المحسنات الصوتية، و دراسة الفواصل تتصل بظواهر نصه الإيقاعية و الدلالية (لما فيها من معاني الأوضاع الموسيقية في خفة الوزن وصحة الاعتدال، وتمام التساوي، وحسن الملاءمة....)[2]، فالفاصلة صورة من صور التنوع الصوتي في الخطاب القرآني، وهي قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، لما لها من بعد و عمق و دلالة ، فهي قوام أسلوب القرآن الكريم ، و القالب الذي تفرغ فيه تراكيبه ، و رعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره ، ليس فقط رعاية للتناسق الصوتي فحسب ، بل رعاية المعنى ، فالصوت المفرد يوظف داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود .

وتعكس وفرة الدراسات القرآنية وتضخم تنظيراتها القديمة والحديثة للفاصلة القرآنية درجة وعيها بقيمة ووضوح هذا المكون الإيقاعي في القرآن الكريم، حيث يلتزم بالفاصلة في جميع آياته التزاما مطردا لا يختلف أبدا كأنها القافية في الشعر ، بل إن دور الفاصلة في النظم القرآني يفوق دور القافية في الشعر.[3]

و يسعى هذا البحث إلى إبراز قيمة الفاصلة الإيقاعية في حدود تداخلها بالسجع ، ومبناها على ملمح الوقف.

اعتبر علماء البلاغة و الدراسات القرآنية الفاصلة ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم ارتبطت بالخطاب القرآني، ومن هذا المنطلق تجادل دارسوا بلاغة إعجاز القرآن حول تسميتها سجعا و قافية، ولعل اشتباه الفاصلة بالقافية لم يكن قويا لأن القوافي مرتبطة بالشعر والقرآن لم يكن شعرا قط ، فطبيعة القرآن غير طبيعة الشعر ، فأين الشعر من القرآن ؟ .

نقل التّبريزي اختلاف الأخفش و أستاذه الخليل في تعريف القافية و الذي قال (هي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن . و قال الأخفش :هي آخر

---

[1]- الرافعي، إعجاز القرآن، ص 158.

[2]- المرجع نفسه ، ص 217.

[3] - أبو زيد أحمد ، التناسب البياني في القرآن ، ص394 .

كلمة في البيت أجمع ، وإنما سميت قافية لأنها تقفو الكلام، أي تجزئ في آخره . و منهم من يسمي البيت قافية، و منهم من يسمي القصيدة قافية، و منهم من يجعل حرف الروي قافية[1]

ومن يتأمل الفاصلة القرآنية ليجد الفارق كبيرا بينها و بين قوافي الشعر، يمكن تلخيص الفوارق بينها على النحو التالي:

- تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف، في آخر كل بيت من القصيدة أما الفاصلة فلا تلتزم شيئا من ذلك، إذ تراها تجري في عدد من آيات السورة على نمط و لكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر.

- في كثير من سور القرآن لا يلتزم شيء بعد الحرفان " الواو أو الياء" كما في سورة الحج فإذا قرأت هذه السورة مثلا وجدت فواصل الآيات لا تحمل شبها أي شبه بتقفية... و لسنا نجد شيئا مما التزمته الفـــواصل القرآنية ، يصـــلح أن يكون قافية ، فالواو و الميم في الشعر لا تقفو الياء ...[2]

يتضح أن القافية تشترك مع الفاصلة في الطبيعة الصوتية والموقع حيث تأتي في نهاية البيت الشعري سواء كانت كلمة أو كلمتين[3]، ولكن تختلف عنها في ما يدرج تحت عيوب القافية من اختلاف الحذو، والإشباع، والتوجيه[4]، وليس بعيب في الفاصلة .

إذن فثمة بون بين قوافي الشعر، وفواصل القرآن التي لا يجوز تسميتها قوافي إجماعا لأن القرآن ليس من الشعر في شيء، فهو غير مقيد بقيود الشعر و إنما له قيود خاصة به، ولا

---

[1]- الخطيب التبريزي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق:الحسّاني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1415هـ/1994م، ص220 .

[2] - ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن –دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني- عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م، ص275.

[3] - كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1 1420هـ/1999م، ص12- 13 .

[4]- هذه العيوب مجتمعة تدخل تحت عيب السناد : و هو كل عيب يقع في القافية ، كإرداف قافية و تجريد أخرى ، و اختلاف الحركات قبل الروي ، و سناد الإشباع : هو اختلاف حركة الدخيل ، مثل كسرة الهاء و فتحة العين في قولك "مجاهد و تباعد "و سناد الحذو : اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المطلق : مثل فتحت النون و كسرة الكاف في قولك : " سند و كد ، و سناد التوجيه : اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد ، كفتحة اللام و ضمها في قولك : " حلم و حلم " . ينظر، أحمد الهاشمي، ميزان الذهب، حققه وضبطه: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت، ص121.

توجد في غيره و إنما هو قرآن و لا يصح تسميته بغير هذا الاسم ، فهو مميز حتى في التسمية تشريفا له و اعتدادا به، وإن وافق صور الكلام العربي، فهو كتاب بديع لا عهد للآذان و لا للأذهان بسماع مثله، إنه القرآن خير بيان وأبلغ كلام، تلك إذن هي علاقة الفاصلة بالقافية ، فما علاقتهالسّجع ؟ .

إذا كان السجع يحد... بأنه تماثل الحروف في مقاطع الفصول[1]، و الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع[2]، فأي فرق بينهما عموما ؟، وأي تمايز صوتي بينهما ؟و ما هي خافية هذا التمييز على مستوى التسمية؟.

للإجابة عن هذه الأسئلة يتوجب علينا العودة إلى عرض آراء علماء الإعجاز بين مؤيدين تسمية الفاصلة سجعا، و بين المعارضين للتسمية.

انقسم العلماء في دعوى السجع بين مؤيد و معارض وأثيرت التساؤلات في العالم الإسلامي حول تحت أي مصطلح دقيق يجب أن نصنف هذي الآيات التي يشبه وزنها الشعر؟ ولم يكن هناك أي تردد في رفض استعمال قافية الشعر المعروف لأن القرآن ليس شعرا، فهل كان القرآن سجعا؟[3].وقد امتدّ الخلاف حول نفي السجع في القرآن وإثباته، منذ بداية الدعوة الإسلامية حين رمي الرسول – صلى الله عليه و سلم- بقول الشعر، أو السحر، أو الكهانة[4]،﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ

---

[1]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1402هـ/1982م، ص171.

[2]- الباقلاني، إعجاز القرآن، ص270.

[3]- ينظر، محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ، ص91.

[4]- جاء في سيرة ابن هشامابن هشام، عبد الملك بن أيّوب الحميري المعافري، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب العربي،، ط3، 1410هـ/ 1990م.ج1، ص302-303: "ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، و كان ذا سن فهيم ، و قد حضر الموسم ، فقال لهم : يامعشر قريش إنه قد حضر الموسم ، و إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا قيه رأيا واحدا ، و لا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، و يرد قولكم بعضه بعضا ، قالوا ، نقول : فأنت يا أبا عبد شمس فقل و أقم لنا رأيا نقل به ، قال ، بل أنتم قولوا أسمع ، قالوا : نقول كاهن ، قال : لا و الله ، ما هو بكاهن ، و لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن و لا سجعه ، قالوا : فنقول مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون و عرفناه فما هو بخنقه ، و لا تخالجه ، و لا وسوسته ، قالوا ، فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه و هجزه و قريضه و مقبوضه و مبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار و سحرهم ، فما هو بنفثهم و لا عقدهم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : و الله إن لقوله لحلاوة و إن أصله لعذق و إن فرعه لجناة ، و ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ....."

﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(42)﴾[سورة الحاقة]،فلم يكن القرآن في أسلوبه ولا في تراكيبه يشبه واحدا من أضرب الكلام العربي المتعارف عليه آنذاك ، فحار العرب في أمر نظمه (ولكنهم لم يؤمنوا بأن هذا الطراز الفريد من النظم من وحي السماء فنسبوه إلى البشر منكرين مصدره الإلهي)[1].

وبعد أن استقرت الدولة الإسلامية و امتد سلطانها – لاسيما بعد الفتوحات الإسلامية- ظهرت حاجة الأجيال إلى الفهم و الكشف عن أسرار هذا الكتاب المعجز، فنشطت الجهود لتتبع الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، مما أدى إلى ظهور عدد من المذاهب الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة، الذين أظهروا مسألة الخلاف بينهم حول إثبات السّجع في القرآن الكريم و نفيه.

أولا:النّافون للسجع:

تبلور هذا الموقف بداية عند**الرّماني** حين قال(...والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذا كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلت إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولُكْنة، لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة...)[2] .

إن الفواصل هي كل ما في آخر الآيات تماثلت حروفه أم لم تتماثل خلافا للشعر المتماثل القوافي ، و للسجع المتماثل الحروف، وفي بداية الدعوة الإسلامية اختلط الأمر على بعض قريش، حيث ربطوا القرآن بسجع الكهان، فارتبط هذا النفي عندهم بمفهوم خاص للسجع ، ولأن اسم السجع مستوحى من مصدر بشري و هو سجع الكهان، فلا يمكن أن يتحقق في القرآن الكريم، وهو تبعية المعاني للألفاظ ، و لذلك لجأ **الرماني** في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) إلى حجة تلك الأقوال المضحكة المعزوة إلى العرافين، فهو يقرر أن الفواصل بلاغة، أما الأسجاع فعيب، و يذهب بالقول أن استعمال السجع يفرض الفصاحة وهو مجهود ضائع، مثله مثل صياغة عقد لكلب من الكلاب، و يعرف السجع بأنه قالب شعري لمضمون لا قيمة له، ممثلا لذلك

---

[1]- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص272.

[2]- الرماني، النُّكت في إعجاز القرآن، ص97 .

بعبارة منسوبة لمسيلمة الكذاب وهي "يا ضفدع ، نقي ، كم تنقين إلا الماء تكدرين، و لا النهر تفارقين"[1]

ومن ثمّ يبر ّر **الرماني** فكرته في كون السجع المعاني تابعة له عن طريق شرحه للفظة (سجع) المشتق من سجع الحمام وهو أن الحمام يكرر أصواتا متشابهة ولكنها خالية من المعنى، والحقيقة أنه كلام فارغ من المعنى له قواف [2]

لقد ميز **الرماني** بين الفاصلة التي هي بلاغة، والسجع الذي هو عيب ولُكنة والسبب في ذلك أن الغرض من الخطاب إنمّا هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة، ومن هذا المنطلق ذم النبي – صلى الله عليه و سلم – سجع الكهان، لأن سجعهم يغلب عليه التكلف[3]، وارتبط السجع في عهد الرسول– صلى الله عليه و سلم- بأقوال العرافين و الكهان الذين كانوا يصطفون السجع و يتكلفونه لتأدية أغراضهم السحرية المتصلة بالأرواح و الجن كالتنبؤ بالغيب ، إبعاد الشر و غيره و هي بطبيعة الحال زائفة توصف بالضلال و الانحراف ، فالكهانة تنافي النبوة – على حد قول **الباقلاني**- وقد ذهب **أبو الهلال العسكري** في هذا الحديث على أن الرسول عليه الصلاة و السلام لم ينكر السجع بعامة بل أنكر سجع الكهان خاصة (لأن التكلف في سجعهم فاش)[4]، غير أنّ **ابن الأثير** يرى أن الرسول صلى الله عليه و سلم قد قصد الإنكار على طريقة الرجل في الاحتجاج، وأن معنى كلام الرسول عليه الصلاة و السلام (أحكما كحكم الكهان)[5] .

2- ينظر، المصدر نفسه، ص97-98

3- الرماني ، النُّكت في إعجاز القرآن ، ص98

1- تنازعت امرأتان من هذيل فضربت إحداهما الأخرى ، و تصادف أن كانت حاملا ، و قد أسقطت المرأة الجريح حملها ثم ماتت هي أيضا ، بعد ذلك ، و كان ميعاد ولادتها قد اقترب ، إذ أن الجنين و كان ذكرا قد أخذ ينبت له شعر ، و قد قام نزاع بين أولياء المرأتين ، حول ما إذا كان يجب دفع دية للجنين بالإضافة إلى دية المرأة ، ثم عرضت القضية على الرسول – عليه الصلاة و السلام- الذي ما إن أصدر حكمه بدفع دية للجنين ، حتى اعترض و لي الضاربة قائلا : " كيف أغرم دية من لا شرب و لا أكل ، و لا نطق و استهل ؟ فمثل ذلك يطل ، فأجا بالرسول بقوله(إن هذا الرجل من إخوان الكهان ، للسجع الذي نطق) ينظر، سنالتر ّمذي ، محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، دط، 1970، القاهرة، ص192.

4- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص261.

5- ابن الأثير، المثل السائر، ص275.

وعليه نفى القرآن الكريم عن النبي الكريم قول الشعراء و قول الكهان و إن يظهر نوع من الشبه الصوتي بين كل من الفاصلة و السجع و القافية.

وهذا الذي ذهب إليه **الرماني** أعاد صياغته **الباقلاني** في معرض حديثه ببيان رأي أصحابه الأشاعرة في نفي السجع عن القرآن الكريم ثم بين موقف المخالفين له و حجتهم في ذلك، والرد عليهم بأن الذي ذهب إليه المثبتون، زعم غير صحيح، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم و لو كان داخلا فيها لم يقع بذلك الإعجاز، ولو جاز أن قال: هو سجع معجز، لجاز أن يقولوا : شعر معجز، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب[1]

يرى الباقلاني أننا لو أجزنا إطلاق السجع على ما في القرآن الكريم من اتفاق الفواصل، و السجع له ضوابط معينة من حيث اتفاق أواخره و تعادل أجزائه و طولها أو قصرها، ولذلك كان منه الحسن و القبيح، ولزم أن في القرآن ما هو مذموم لعدم اتفاق فواصله أحيانا في الحروف و لعدم تعادل أجزائه طولا أو قصرا .

وفي رده على ما اعتبره أقوى ما يستدلون به عليه وهو اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام، ولمكان السجع قيل في موضع ﴿هَارُونَ وَمُوسَى(70)﴾ [سورة طه]، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل﴿مُوسَى وَهَارُونَ(48)﴾ [سورة الشعراء]...ويبنون الأمر في ذلك على تحديد معنى «السجع».قال أهل اللغة:هو موالاة الكلام على وزن واحد.وقال ابن دريد: «سجعت الحمامة» معناه: صوتهَا[2]،أن ما ذكروه المثبتون للسجع من تقديم موسى على هارون في موضع ، و تأخيره عنه في موضع آخر من أجل السجع فليس بصحيح، وإنما لإظهار الإعجاز.

ويؤيد **السيوطي** فكرة أن الأسلوب القرآني لا يليق به استعمال لفظة سجع (لأن أصله من سجع الطير، فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل)[3] إذن جعل **الباقلاني** ورود بعض الآيات على مثال السجع في القرآن الكريم من باب القليل الذي لا يقصد إليه ، فلا ينبغي

---

[1]- الباقلاني، إعجاز القرآن، ص58.

[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص57.

[3]- السيوطي ، الإتقان ج2، ص97.

أن نطلق عليه سجعا بالقياس على ورود القليل من الشعر في الكلام المنثور دون قصد، و لذلك لا نطلق عليه شعرا .

ويضيف بأنّ الشّكل في القرآن تابع للمضمون، أما في السجع فالمعنى يتبع الشكل، و قد نقض فكرته **ابن الأثير** حين ذكر أنه كي يكون السجع سجعا جيدا فلا بد أن يتبع الشكل المضمون لا العكس و إلا كان السجع (كغمد من ذهب على نصل من خشب)[1] ، أما **العسكري** فيرى أن السجع يحسن إذا لم يكن متكلفا[2].

كما نفى الإمام الزركشي السجع عن القرآن في قوله (ويمتنع استعمال القافية في كلام الله لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية أيضا عنه لأنها فيه و خاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن، لا تطلق الفاصلة في الشعر، لأنهّا صفة لكتاب الله، فلا تتعدّاه)[3] بل تجده يفرق بين السّجع والفاصلة .

وعليه فالأشاعرة تحكموا في نفيهم السّجع من القرآن إلى سبب بلاغي، لذلك كانت الفواصل بلاغة، والسجع عيبا لأن السجع يتبع المعنى. والعلة في ذلك أن قيود الوزن و القافية تحول بينه و بين أن يكون أداة لتبليغ رسالة سماوية إلى كافة الخلق، على اختلاف ألسنتهم و أفكارهم و طباعهم .

وذهب المتكلمون إلى أنه خارج عن أسلوب كلام العرب، فلا يقال له مرسل، ولا مسجوع، و شدّدوا في نفي السّجع عن القرآن، وذهب إلى هذا المذهب ابن خلدون (وأما القرآن وإن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين، وليس يسمى مرسلا مطلقا، ولامسجَّعا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها .ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها و يُثَنىَّ من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾[سورة الزمر23]، وقال﴿ **قَدْ**

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص276.

[2]- العسكري، الصناعتين ، ص26 .

[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص58-59.

﴿فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾[سورة الأنعام126/1]سمّى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعا، ولا الْتُزمَ فيها ما يُلْتَزَمُ السجع ولا هي أيضا قواف[1].

وتبقى الآراء متباينة حول فكرة السجع في القرآن، وبتسمية خواتم الآيات القرآنية فواصل بدلا من أسجاع.

ثانيا: القائلون بالسجع :

ذهب هؤلاء إلى القول بوجود السجع في القرآن الكريم و حجتهم في ذلك أن السجع ليس عيبا بذاته، فمنه ما يأتي تابعا للمعاني، والعكس، حتى يكون متكلفا ليتبعه المعنى، وردَّ **ابن سنان الخفاجي(ت466هـ)** على قول **الرماني** بقولهفأ(ما قول الرّماني- إنّ السجع عيب، والفواصل بلاغة- على الإطلاق فغلط، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى وكأنه غير مقصود، فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلّف، فذلك عيب والفواصل مثله ...وأظن أنّ الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام والمروي عن الكهنة وغيرهم...)[2] والقرآن لم يرد فيه إلا ما هو محمود الدال على الفصاحة و حسن البيان ، إنه القرآن خير كلام و أبلغ بيان .

و قد خلص بن سنان إلى سبب المفاضلة بين السجع و الفاصلة رغبة في تنزيه كلام الله تعالى من أن يوصف بالكلام المروي عن الكهنة لا مطلق السجع و لأن السجع شاع بين العرب قي الجاهلية و تداوله كل من الخطباء و الكهان و الرغبة في اختصاص أواخر الآيات بتسمية الفواصل ، (كان الذي كره الأسجاع بعينها ، و إن كلت دون الشعر في التكلف و الصنعة ، أن كهان العرب ... كانوا يتكهنون و يحكمون بالأسجاع .... قالوا : فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، و لبقيتها في صدور منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم)[3].

---

[1]-عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، دط، 1431هـ/2001م، ص781.

[2]- ابن سنان الخفاجي الحلبي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م، ص173-174.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص289-290

إن النهي منصب على سجع الكهان، لأنهم كانوا يعمدون إليه قصد التمويه، و التأثير في النفوس تأثير السحر، فيدحض الحق و يعلو الباطل لديهم .

و لأن مجيء كثير من الآيات على صورة السجع (فإنّا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه و عملنا بموجبه، لأنه إنما دل على قبح ما يقع من السجع بتعمل وتكلف، ونحن لم نستحسن ذلك النوع، ووافقْنا أيضا دليل من اختاره لأنه دل به على حسن ما ورد منه في كتاب الله تعالى، وكلام النبي – صلى الله عليه و سلم – والفصحاء من العرب.

وكان يحسن الكلام ويبين آثار الصناعة ويجري مجرى القوافي المحمودة. و الذي يكون بهذه الصفات هو الذي حمدناه و اخترناه، و ذكرنا أنه يكون سهلا غير مستكره و لا متكلف)[1]، فإثبات السجع في القرآن إنما هو تبيان فضل الكلام في البيان والفصاحة.

إنّ التعبير المسجوع في القرآن لا تفرضه طبيعة النسق القرآني فحسب بدليل قوله تعالى ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(2)**﴾ [سورة التّكاثر]، فإن جواز الانتقال من نسق مسجوع إلى نسق آخر في فاصلة تقف عند النون دون الالتفات إلى الصيغة الأولى للقرآن هو ظاهر بل إن هذا اللفظ **(المقابر)** يفرض نفسه فرضا بيانيا قاطعا، دون حاجة إلى النظر في الفاصلة، و ذلك أن هذا الإنسان الطاغي المتكاثر بأمواله و سلطانه ولذاته المتناسي يناسبه لفظ المقابر بلاغيا ولغويا، إذن هذا التكاثر في كل شيء يوافقه بدقة متناهية جمع القبور لتصبح مقابر، وعليه ليست هذه الصيغة البلاغية في استعمال المقابر، مجرد ملاءمة صوتية للتكاثر (وقد يحس أهل هذه الصنعة ونحن معهم فيها نسق الإيقاع، وانسجام النغم، ولكن ليس هذا كل شيء)[2] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن وظيفة السجع عند العرب لفظية تأتي لتناسق أواخر الكلمات في الفقرات وتلاؤمها، وأما وظيفة الفاصلة القرآنية فليس كذلك بل هي وظيفة لفظية معنوية في آن واحد (فلا تفريط في الألفاظ على سبيل المعاني، ولا اشتطاط بالمعاني من أجل الألفاظ ....لذلك ارتفع مستوى الفاصلة في القرآن بلاغيا و دلاليا عن مستوى السجع فنيا وإن وافقه صوتيا)[3]،

---

[1]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص171.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني، 257.

[3] محمد حسين علي الصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.، ص146.

فالتناسق و التلاؤم في الفاصلة يحدث تأثيرا في النفس عند سماعها بما تحمله من إيحاءات و معان .

وخلاصة القول أن القرآن من جنس منثور الكلام في لفظه و عباراته، وهو ما ذهب إليه **جماعة** من علماء البلاغة و الأدب إلى أن أسلوب القرآن و إن سما إلى ذروة الإعجاز لا يخرج عن جنس منثور الكلام.و لكنه مباين لكلام الخلق في نظمه و أسلوبه، فهو من المنثور الجامع لأرقى فنونه، ففيه سجع يقتضيه المقام و ترسل يبلغ غاية المرام، وهو في كليهما معجز خارج عن طوق البشر.

ولذلك، فقد تواضع أئمة علوم القرآن، وعلماء اللغة على أن نهاية الآية تسمى فاصلة، ونهاية بيت الشعر تسمى قافية، ونهاية جملة النثر تسمى سجعا، فليس القرآن شعرا وإن اشتمل على خصائص الشعر، وليس نثرا وإن اكتنز بأساليب النثر، ينسب السيوطي للجاحظ قوله (سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كتابهم على الجملة والتفصيل:سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية)[1].إنّ القرآن الكريم نزل على أساليب الفصيح من كلام العرب والسجع نوع من أنواع هذه الأساليب عندهم، فالقول بالسجع في القرآن تقرير للفاصلة، والقول بالفاصلة ليس إنكارا للسّجع.

[1]- السيوطي، الإتقان، ج1، ص114.

المبحث الثالث: الفاصلة والوقف:

يعدّ الوقف ضابطا إيقاعيا خاصة في إيقاع الفاصلة، إذ لا فاصلة بدون وقف فهو يلازمها ويبرزها، وبه لا يختل الإيقاع القائم عليها. فبالوقف تظهر الفواصل وتبرز وتقوى وتصعد، حتى إنّه قد يكون الوقف ملمحا للفاصلة لا ينفك عنها و لا تكاد تنفك عنه[1]. وقد اختصت به اللغات السامية كالعربية، غير أن القرآن الكريم أولى له عناية كبيرة، لاسيما وأن مبنى الفواصل القرآنية على الوقف.

وتبدو الدعوة إلى أهمية الأداء الصّوتي في القرآن الكريم جلية من خلال قوله تعالى﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4)﴾، فقارئ القرآن يرتل ترتيلا ،و يجود و يترنمّ في قراءته، والأداء الصوتي في القرآن يضفي على المعنى جمالا، و يكسب اللفظ نغما، و قد روي عن الإمام علي – كرم الله وجهه- أنه قال (الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)[2].

و انطلاقا من تعاريف الفاصلة نقف على تقاطع الفاصلة مع الوقف، فهي موضع الوقف الذي يستريح به القارئ المرتل للقرآن الكريم لانقطاع نفسه. ويعتبر الوقف موضوعا مهما لقارئ القرآن، وهو شرط وجود الفاصلة، فلا فاصلة بدون الوقف، بل إن هذه التسمية مرتبطة بالوقف، وقد كان **الزركشي** يعتبر مبنى الفواصل على الوقف وأن (المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره)[3] ويرى **الفارسي**أنّ (الفواصل بمنزلة القوافي في أنها مواضع وقوف، كما أن أواخر البيوت كذلك) [4] .ولعل ما نستشفه من هذه الأقوال هو أنّ (باب الوقف، عظيم القدر، جليل الخطر، لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل)[5].

---

[1]- مبارك حنون، في بنية الوقف وبنية اللغة، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 1997م، ص562 .

[2]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص230.

[3]- الزركشي، البرهان ،ج1، ص61.

[4]- الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، أحمد عيسى حسن المعصراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م، ج1، ص288

[5]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص230 .

وفي علاقة الفاصلة بالوقف نقف على تقسيم الفواصل على أساس الوقف، وعن الحروف الموقوف عليها حيث نقل الزركشي عن الجعبري أن لمعرفة الفواصل طريقان : توقيفي وقياسي:

1: التوقيفي:

روى أبو داود عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: كان يقطع قراءته آية آية، وقرأت (بسم الله الرحمن الرحيم) إلى (الذين) تقف على كل آية .فمعنى يقطع قراءته آية آية، أي يقف على كل آية، و إنما كانت قراءته صلى الله عليه و سلم كذلك لعلم رؤوس الآي، قال : وهم فيه من سماه وقف السنة، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدا فهو مشروع لنا، و إن كان لغيره فلا، فما وقف عليه مرة و وصله أخرى احتمل الوقف ...

2- القياسي:

وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص المناسب، ولا معذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، و الوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه[1].

و لعل الغاية من الوقف على الفاصلة هو اجتناب تكرير اللفظة الواحدة في القرآن تكريرا من غير فصل[2].

والأصل فيه ما أخرجه النحاس عن قول ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها و حرامها، و ما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون القرآن أنتم اليوم ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه[3].

قال النحاس : فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف، كما يتعلمون القرآن . وقال ابن الأنباري :من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف و الابتداء فيه ، و قال النكزاوي: باب

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص129-130

[2]- ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص368.

[3]- ينظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص230

الوقف عظيم القدر، جليل الخطر، لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن و لا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا لمعرفة الفواصل[1].

المطلب الأول: مفهوم الوقف وأقسامه وأحكامه

أ/ الوقف لغة

جاء في المصباح المنير: (وقفت الدّابّة تقف وقفا ووقوفا، سكنت، ووقفتها أنا، يتعدى ولا يتعدى، ووقفت الدار وقفا، حبستها في سبيل الله، وشيء موقوف، و وقف أيضا تسمية بالمصدر والجمع أوقاف...ووقفت الرجل عن الشيء وقفا: منعته عنه...وأوقفت عن الكلام بالألف أقلعت عنه)[2]

وذكر **الخليل** في كتابه العين: (قَفْ مصدر وقفك الدّابة، ووَقَفْتُ الكلمة وقفا، وهذا مجاوز، فإذا كان لازما فقلت: وُقُوفًا، فإذا وقّفت الرّجل على كلمة قلت وَقّفْتُهُ توقيفاً)[3]

وقال **ابن فارس**: (الواو والقاف والفاء أصل واحد يدلّ على تمكّث في شيء ثمّ يقاس عليه. منه: وقفت أقف وقوفا. ووقفت وقفي،...وحكى الشيباني: كلمتهم ثم أوقفت عنهم، أي سكتّ . قال: وكلّ شيء أمسكت عنه فإنّك تقول: أوقفت، وموقف الإنسان وغيره: حيث يقف.)[4] .

وعليه، فمصطلح الوقف يحمل معان لغوية متعددة منها الكف، والحبس، والمنع، والسكون، والترك، والقطع وفي القراءة قطع الكلمة عما بعدها[5]

ب/ الوقف اصطلاحا:

فهو عبارة عن قطع الصوت عند آخر الكلمة زمنا ما فيتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، يقول **ابن الجزري** (لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، و لم يجز

---

[1]- المصدر والصفحة نفسهما.

[2]- الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، دط، 1987م، ص256

[3]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص1063.

[4]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص135.

[5] ينظر، الجرجاني، علي بن محمد السّيد الشّريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت، ص274.

التنفس بين كلمتين حالة الوصل ، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس و الاستراحة)[1]. والوقف عند **السيوطي** عبارة عن (قطع الصوت عند الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسما)[2]. وقد عبر الزركشي عنه بقوله (فن جليل، وبه يعرف كيف أداء القرآن...وبه تتبين معانيلآيات، ويؤمَن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات)[3].

الوقف، و**القطع**، و**السكت**، عبارات أطلقها المتقدمون غالبا على الوقف ولا يريدون غير الوقف، أما المتأخرونفرّقوا فقالوا[4]:

القطع: عبارة عن قطع القراءة رأسا، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها، وهو الذي يستعاد بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية، لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع.

الوقف : عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا تنفس فيه عادة ، بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأواسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة و لا فيما اتصل رسما .

السكت : عبارة عن قطع الصوت زمنا، وهو دون زمن الوقف عادة، من غير تنفس واختلاف ألفاظ الأئمة في التأدية عنه مما يدل على طوله و قصره .

ثانيا:الوقف على الفواصل القرآنية :

يعتبر الوقف على رؤوس الآيات سنة متبعة، استنادا لقول أم سلمة – رضي الله عنها-[5] لما سئلت عن قراءة الرسول الكريم فقالت:كان يقطع قراءته آية آية

---

[1]- ابن الجزري شمس الدّين محمد بن محمد الدّمشقي، النشر في القراءات العشر، صحّحه محمد علي الضباع، دط، دت، ج1، ص225.

[2]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص244.

[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص342.

[4]- انظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص244

[5]- انظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص350.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)) (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3))(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾[سورة الفاتحة]. فقراءة النبي صلى الله عليه و سلم التي تلقاها عن جبريل عليه السلام كانت بالوقف على رؤوس الآي .

وقد عرض السيوطي في كتابه الإتقان لأقوال العلماء في معرفة الوقف و الابتداء يقول السيوطي: (مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا صاغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، كقوله تعالى ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11)﴾[سورة الصافات]مع قوله ﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9)﴾[سورة الصافات] و﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10)﴾[سورة الصافات]و قوله ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11)﴾[سورة القمر] مع ﴿ فَذُوقُوا (12)﴾ [سورة القمر] و﴿ بِسَحَرٍ(34)﴾[سورة القمر] و ﴿ مُسْتَقِرٌّ(38)﴾[سورة القمر])[1]

فالوقف بالسكون يكون عادة على المرفوع والمجرور و المنصوب غير المنون،كما ورد في صحيح البخاري عن معاوية بن قرة المزني عن عبد الله بن مغفل المزني قال:(رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح فرجع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل وقال: لو لا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي صلى الله عليه و سلم فقلت لمعاوية : كيف كان ترجيعه؟ قال: آآآ ثلاث مرات)[2]، وقد قصد النبي صلى الله عليه و سلم التطريب أحيانا الذي يرتبط بالحالة النفسية من فرح بفتح أو نصر .... فوجود التطريب بسورة الفتح ذات الفواصل المبنية على حرف المد الناشئ من الوقف على منصوب المنون، ذلك التطريب أو الترجيح الذي كان كافيا أن يجتمع له الناس بمجرد سماعه. .

ويكاد يجمع العلماء على أن الوقف على الفواصل في معظمه على السكون (والوقف عند العرب أنواع: الوقف في حال الترنم و غير الترنم. ومن أحوال عدم ترنم الوقف على السكون،

---

[1] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص623.

[2] - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، دار الفكر، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة، اسطنبول، 1401هـ/1981م، ج5، ص92.

والوقف على إشباع الحركة، والوقف بنقل الحركة، والوقف بما هو عليه الترنم)[1]؛ إلا أنّ الوقف – وإن كان في معظمه في الفواصل على السكون – قد يكون فيها أيضا عن طريق مد الحركة كما في قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8)**﴾[سورة النبأ]. ويرى الدكتور إبراهيم أنيس (أنّ حرف المد فوق أنه يتطلب زمنا أطول للنطق به من الحرف الصحيح الساكن يعد من حيث الأثر السمعي لدى المحدثين من علماء الأصوات أكثر وضوحا في السمع حين يقارن بالحرف الصحيح الساكن)[2].

عموما فإنّ الوقف على السكون يكون في نهاية الفواصل عند اختلاف حركاتها الإعرابية.

ثالثا الغاية من الوقف:

لعل الاهتمام بخصائص الصوت و وظيفته من طرف علماء القراءات و التجويد كان سببه ضبط الملفوظ من مقروء المرسوم لأن الضبط هو (إسماع الكلام كما يحق سماعه ثم فهم معناه الذي أريد به، ثم حفظه ببذل مجهوده، والثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه إلى غيره)[3]، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بالنطق الصحيح و الأداء السليم، والأكيد أن الجودة في القراءة مطلوب لضمان النطق السليم للقرآن المنزّل المتلوّ ، حتى لا يشوب لفظه فساد، و لا قصده أي تحريف، ولا انحراف في النطق، ولا غموض في الدلالة .

إنّ **الغاية** من دراسة الوقف هو تصحيح القراءة، وإخراج الحروف الصحيحة. فالقرآن الكريم قد وضع كل صوت لغوي في مكانه، الذي لا يمكن أن يحل محله أي صوت آخر دون أن يخل بنظام هذا الكتاب المعجز الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)**﴾، وقد بنى علماء القراءات قواعدهم في ضبط الملفوظ من مقروء المرسوم، هدفهم في ذلك بلوغ المعنى بصورة صحيحة والغاية هي تصحيح القراءة، و إخراج الحروف على الصفة النطقية المأخوذة بإتقان، وبالنقل المباشر المتواتر، وقد اعتنى علماء القراءة

---

[1]- القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1374هـ/1955م، ج2، ص311-313.

[2]- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952م، ص329.

[3]- الجرجاني، التعريفات ، ص116.

بالأصوات، أداء وسماعا، وأفردوا لها أبوابا في دراستهم[1]، كما درسوا صفات الحروف، انطلاقا من معرفة مخارجها، فاعتبرها ابن الجزري سبع عشرة صفة، و عدها مكي ابن أبي طالب أربعا و أربعين صفة .

إنّ الجهاز الصوتي عند الإنسان أودعه الله خصائص التميز و المرونة و إمكانية التكييف مع مطلق ما يعرض للسمع من أصوات، أوما يلفظ به الإنسان من كلمات و عبارات . يقول **الجاحظ** (والصوت هو آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع، و به يوجد التأليف)[2] فالغاية من الوقوف على آخر الكلمات هو اكتمال المعنى، وتحسين الحرف واللفظ والسياق في السمع، والبعد بالجهاز الصوتي عن أي رهق قد يحدثه التوالي في إخراج الأصوات و تلاحقها و تلاقي الأصوات .

وهو ما أقرّه **تمام حسان** (ومن هنا اختار الاستعمال أن ينشئ ظاهرة الوقف، دفعا للتنافر، ودلالة على موقع انتهاء الدفعة الكلامية ، وهو موقع يرتبط بتمام المعنى جزئيا أو كليا)[3]، ومن ثم تم ضبط الرسم القرآني النشاز لما لها من أثر سيئ على النطق و المعنى في مواقع الوقف ضبطا صوتيا منسجما مع المعنى، متلائما مع الدلالة .

كالقلقلة تشكلها حروف (قطب جد) و هي شديدة مجهورة، يرى الدكتور الحاج صالح بأنها اضطرارية قسرية، و ليست اختيارية انطلاقا من قول سيبويه (فلا تستطيع أن تقف إلا مع التصويت لشدة ضغط الحرف)[4]، لأن الصوت ليس حرفا جديدا متحركا، بل صوت أو نفخ وجيز ناتج عن إطلاق الهواء بعد الوقف، وذلك عند انتهاء عملية النطق بالحرف الساكن، و التي تفضي إلى استرخاء العضو الناطق[5].

---

[1]- تمثلت دراستهم في معرفة المخارج فاعتبرها ابن الجزري سبع عشر مخرجا ، وقد وافق في ذلك الخليل بن أحمد، ومكي بن أبي طالب، أما الشاطبي فرأيه على رأي سيبويه الذي اعتبرها ستة عشرة فقط، بينما نحا نحو قطرب كل من الجرجاني، و المبرد في جعلها أربعة عشرة مخرجا، و اعتبرها المعاصرون تسعة و عشرين مخرجا بعد حروف الهجاء .

[2]- الجاحظ، البيانو التبيين، ج1، ص 79

[3]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م، ص 271.

[4]- سيبويه، الكتاب، ج2، ص284

[5]- ينظر، الحاج صالح عبد الرحمن، مسائل في مصطلحات التجويد لفضيلة الشيخ جلال المغني و الإجابة عنها، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر العدد5، ص16

ويقدّم ابن جني شرحا للحرف الساكن المشرب أو المهموس إذا وقف عليه، ولم يتطاول الناطق إلى النطق بحرف آخر من بعده بقوله (لبثت عليه ولم تسرع الانتقال عنه، فقدرت بتلك اللُّبثة على إتباع ذلك الصوت إياه، فأما إذا تأهبت للنطق بما بعده و تهيأت له فقد نشمت فيه، حال ذلك بينك و بين الوقفة التي يتمكن فيها من إتباع التصويت فيستهلك إدراجه إياه طرفا من الصوت الذي كان الوقف يقره عليه ويسوغك إمداده إياه به)[1].

لقد ارتبطت المباحث الصوتية في علم التجويد بالوقف أيما ارتباط، خاصة فيما يتعلق بصفات المخارج، وهيئات الحروف عند النطق بها، ووضع العلماء شروطا للقراءة الصحيحة، المنقولة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، و يؤكد سيبويه ضبط النقل بالتلقي، وعدم جواز مخالفة المأثور المتواتر، إذ يقول(إلا أن القراءة لا تخالف لأن القراءة السنة)[2].

والوقف على رؤوس الآي، أو الفاصلة القرآنية ما هو إلا حذف صوتي في أواخر الكلمات على أن لا يكون الكلام متعلقا بما بعده، فحيثما كان المعنى متماسكا متناسقا لا يجوز الوقف على الفاصلة لأنه يؤدي إلى فساد المعنى، لقوله تعالى (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5)**﴾[سورة الماعون] فالأصل عدم الوقف عند (للمصلين) بل وصلها بما بعدها، لتعلقه بما قبلها، وذلك لأنه من تمام القول غير منفصل عنه .

فقد يعمد القرآن الكريم، إلى حذف بعض الحروف من الفواصل ، ليتحقق التناسق بين باقي فواصل السورة الواحدة نحو قوله تعالى ﴿ **وَالْفَجْرِ(1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ(2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ(5)**﴾ إذ حذف حرف العلة (الياء) من الفعل المضارع (يسري)، حتى يتوافق و الفواصل التي تتقدمها والتي تلتها، فإذن مبنى الفواصل على الوقف، وبقاء الياء يفوت هذا التناسق[3].

وهذا وجه من وجوه الوقف في كلام العرب، و لأن الفاصلة القرآنية هي مظهر من مظاهر الوقف في القرآن الكريم، الذي يعتبر موردا أساسا للأداء القرآني، فهي تؤدي جمالا في الأداء، وزيادة في التطريب، وتأثيرا في النفوس.

---

[1] - ابن جني، الخصائص،ص83.

[2] - سيبويه ، الكتاب،ج1، ص14.

[3] - ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص73.

و قد فسر الطبري قوله تعالى ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(4)**﴾[سورة الفجر]، بقوله (و اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الشام والعراق(ْ ر ِ) بغير الياء، وقرأ ذلك جماعة من القراء بإثبات الياء، وحذف الياء في ذلك أعجب إلينا، ليوفق بين رؤوس الآي إذ كانت بالراء)[1].

والواقع أن العربية تقف على الساكن باعتباره الأصل في الوقف، فهي بذلك تغلق المقطع الذي يوقف عليه ولا تتركه مفتوحا، فإن التحليل للمقاطع الصوتية التي يتكون منها السياق في عباراته التي يوقف عليها عند الوقف الضروري أو الوقف الاختياري يتماشى مع ميل العرب بغلق المقاطع المنطوقة، بالإسكان أو الإدغام، وهو أيضا ما يفسر كراهيتهم للحركات المتوالية، مما أشار له ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب (فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة، وهي الفتحة والواو والياء وحركة الواو والياء، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة، وهو الألف، و سوغها أيضا انفتاح ما قبلها)[2]

أقسام الوقف :

اختلف العلماء في تحديد أنواع الوقف و اصطلحوا له أسماء، فقال ابن الأنباري[3]: الوقف على ثلاثة أوجه : تام و حسن و قبيح . **فالتام :** الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به، كقوله تعالى﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**﴾[سورة البقرة] وقوله تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(6)**﴾ [سورة البقرة].

و الحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه، و لا يحسن الابتداء بما بعده، كقوله تعالى ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ لأن الابتداء بـ ﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾لا يحسن لكونه صفة لما قبله .

و القبيح : هو الذي ليس بتام ولا حسن، كالوقف على ﴿ **بِسْمِ** ﴾ من قوله﴿ **بِسْمِ اللَّهِ** ﴾، قال ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا المنعوت دون نعته ، و لا الرافع دون

---

[1] الطبر ّ ي، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري –جامع البيان عن تأويل آي القرآن- دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1412هـ/1992م، ج12، ص564

[2] - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص37.

[3] - ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دط 1390هـ/1971م، ص149- 150.

مرفوعه وعكسه، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه، ولا المؤكد دون توكيده، ولا المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البدل دون مبدله، ولا إنّ أوكان أو ظنّ و أخواتها دون اسمها، ولا اسمها دون خبرها، ولا المستثنى منه دون الاستثناء، ولا الموصول دون صلته اسميا أو حرفيا، ولا الفعل دون مصدره، ولا الحرف دون متعلقه ولا شرط دون جزائه .

و قسّم الزركشي[1] الوقف استنادا لجمهور القراء إلى أربعة أقسام : تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك .

أما بعضهم فقسموه إلى ثلاثة وأسقطوا الحسن، وغيرهم أثبتوا اثنين وأسقطوا الكافي و الحسن .

فالتام : هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده كقوله تعالى﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(5)**﴾[سورة البقرة]، وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآي كقوله﴿ **وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(46)**﴾ [سورة البقرة]، ثم يبتدئ بقوله﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(47)**﴾[سورة البقرة] وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة، كقوله﴿ **وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً(34)**﴾[سورة النمل]، هنا التمام لأنّه انقضى كلام بلقيس، ثم قال تعالى﴿ **وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ(34)**﴾[سورة النمل]، وهو رأس آية .

وقد يوجد بعدها كقوله تعالى﴿ **مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ(138)**﴾[سورة الصافات] ﴿**مُصْبِحِينَ** ﴾رأس الآية﴿ **وَبِاللَّيْلِ**﴾ التمام لأنه معطوف على المعنى، أي و بالصبح و بالليل .

و آخر كل قصة وما قبل أولها وآخر كل سورة تام، والأحزاب، والأنصاف، والأرباع والأثمان، والأسباع، والأتساع، والأعشار، والأخماس، وقبل ياء النداء، وفعل الأمر، و القسم ولامه دون القول، و**(الله)** بعد رأس كل آية، والشرط ما لم يتقدم جوابه، و**(كان الله)** و**(ذلك)** و**(لو لا)** غالبهن تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو ما في معناه[2].

---

[1]- ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص350.

[2]- ينظر، توضيح ذلك مفصلا في منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1393هـ/ 1973م، ص 14- 15.

والكافي : منقطع في اللفظ متعلق في المعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضا مما بعده، نحو ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ (23)**﴾ [سورة النساء] هنا الوقف ثم يبتدئ بما بعد ذلك، وهكذاالقي المعطوفات، وكل ّ رأس آية بعدها (**لام ،كي**) و(**إلا ّ**) بمعنى (**لكن**) و(**نّ**) المكسورة المشد ّدة، والاستفهام و(**بل**) و(**ألا**) المخففة، و(**السين**) و(**سوف**) على التهد ّد، و(**نعم**) و(**بئس**) و(**كيلا**)، وعاليهن كاف، ما لم يتقدمهن قول أو قسم، وقيل (**أن**) المفتوحة المخففة في خمسة لا غير و ﴿**أَلَّا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ (222)**﴾ ﴿**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ (184)**﴾، ﴿ **وَأَنْ تَعْفُوا (237)**﴾، (**وأن تصدّقوا**) و﴿**وَأَنْ تَصْبِرُوا (25)**﴾[سورة النساء]و﴿ **وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ (60)**﴾ [سورة النور] .

والحسن :هو الذي يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلّقه به في اللّفظ والمعنى، نحو﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)**) (**الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3)**﴾[سورة الفاتحة]، والوقف عليه حسن، لأن المراد مفهوم، والابتداء بقوله﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ ﴿ **الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ و﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)**﴾[سورة الفاتحة]، لا يحسن، لأن ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح، لأنه تابع .

و القبيح : هو الذي لا يفهم منه المراد نحو﴿**الْحَمْدُ** ﴾ فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصفة، ولا على البدل دون المبدل منه، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، نحو ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ (4)**﴾[سورة الحاقة]، ولا على المجرور دون الجار .

وأقبح من هذا الوقف على قوله﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا (17)**﴾[سورة المائدة]﴿**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ (29)**﴾[سورة الأنبياء]، والابتداء بقوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ(17)**﴾[سورة المائدة]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ (73)**﴾[سورة المائدة]، ﴿**إِنِّي إِلَٰهٌ(29)**﴾[سورة الأنبياء] لأنّ المعنى يستحيل بهذا في الابتداء ومن تَعمَّده وقَصَدَ معناه فقد كفر .

وأقبح من هذا وأشنع الوقف على النّفي دون حروف الإيجاب﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ (19)**﴾[سورة محمد]، ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)**﴾[سورة الإسراء] وكذا﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) وَالَّذِينَ كَفَرُوا (10)**﴾[سورة المائدة]، ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا (2)**﴾[سورة محمد]فإن اضطر ّ لأجل التّنفس جاز ذلك، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج .

ويرى بعض القراء أن الآية إن تعلقت بما قبلها لفظيا كان **الوقف كافيا** نحو ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ (7)**﴾[سورة الفاتحة]، وإن كان معنويا فالوقف على ما قبلها **حسن كاف**، نحو ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)**﴾[سورة الفاتحة]، وإن لم يكن لا لفظيا ولا معنويا فتام، كقوله تعالى﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(274)**﴾[سورة البقرة]، بعده﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا (275)**﴾[سورة البقرة]، وإن كانت الآية مضادة لما قبلها كقوله ﴿ **أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ(6) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ**﴾ [سورة غافر]فالوقف عليه قبيح .

وقد ذهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة إلى أنّ تقدير الموقوف عليه من القرآن التام، والناقص، والحسن، والقبيح، وتسميته بذلك بدعة، ومتعمّد الوقف على نحو مبتدع، قال: لأنّ القرآن معجز، وهو كالقطعة الواحدة فكلّه قرآن وبعضه قرآن وكلّه تام حسن وبعضه تام [1] .

وقال ابن الجزري[2]:أكثر ما ذكر النّاس في أقسام الوقف غير منضبط، ولا منحصر وأقرب ما قلته في ضبطه: إنّ الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري، لأن الكلام إما أن يتم أولا ، فإن تمّ كان اختياريا، وكونه تاما لا يخلو:إما ألا يكون له تعلق بما بعده البتّة، أي: لا من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى، فهو الوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق، يوقف عليه و يبتدأ بما بعده، ثم مثله بما تقدم في التام .

قال: وقد يكون الوقف تاما في تفسير و إعراب و قراءة، وغير تام على آخر نحو

﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ (7)**﴾ [سورة آل عمران]، تام: إن كان ما بعده مستأنفا غير تام: إن كان معطوفا .

ونحو فواتح السور: الوقف عليها تام إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه، أي **(ألم)** هذه، أو هذه **(ألم)**، أو مفعولا ب**(قل)** مقدرا، غير تام إن كان ما بعدها هو خبر.

ونحو: ﴿ **مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (125)**﴾ [سورة البقرة]، تام على قراءة **:(و اتخذوا)** بكسر الخاء كاف على قراءة الفتح .

1- بنظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1،ص354

2- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص225

ونحو:﴿ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1)﴾ [سورة إبراهيم]، تام على قراءة من رفع الاسم الكريم بعدها، حسن على قراءة من خفض .

وقد يتفاضل التام، نحو﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)﴾ا [سورة الفاتحة]، كلاهما تام، إلا أن الأول أتم من الثاني، لاشتراك الثاني فيما بعده في معنى الخطاب، بخلاف الأول، وهذا هو الذي سماه بعضهم : **شبيها بالتام .**

و منه ما يتأكد استحسانه لبيان المعنى المقصود به، هو الذي السجاوندي باللازم و إن كان له تعلق، فلا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى فقط، وهو المسمى بالكافي للاكتفاء به واستغنائه عما بعده، واستغناء ما بعده عنه، كقوله:﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(3)﴾[سورة البقرة]، وقوله:﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[سورة البقرة]، وقوله : ﴿ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[سورة البقرة].

ويتفاضل في الكفاية كتفاضل التام، نحو:﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، كاف، ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ أكفى منه، ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(10)﴾[سورة البقرة]، أكفى منها .

وقد يكون الوقف كافيا على تفسير وإعراب وقراءة، غير كاف على آخر، نحو قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[سورة البقرة/ 102]، كاف إن جعلت (**ما**) بعده نافية، حسن إن فسرت موصولة .

﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(4)﴾ [سورة البقرة]، كاف إن أعرب ما بعده مبتدأ، خبره ﴿عَلَىٰ هُدًى ﴾[سورة البقرة]، حسن إن جعل خبر:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[سورة البقرة/3]، أو خبر ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ﴾ [سورة البقرة/4]

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ(139)﴾ [سورة البقرة]، كاف على قراءة ﴿ أَمْ تَقُولُونَ﴾[سورة البقرة]، بالخطاب، حسن على قراءة الغيب .

﴿ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾كاف على قراءة من رفع ﴿ فَيَغْفِرُ﴾و﴿ وَيُعَذِّبُ ﴾[سورة البقرة/284]، حسن على قراءة من جزم[1] .

1- قرأ ابن كثير و نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: **جزما**، وقرأ عاصم وابن عامر : **رفعا**، ينظر، ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط1، دت، ص195.

وإن كان التعلق من جهة اللفظ : فهو المسمى بالحسن، لأنه في نفسه حسن مفيد ، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده، للتعلق اللفظي إلا أن يكون رأس آية فإنه يجوز في اختيار أكثر أهل الأداء، لمجيئه عن النبي صلى الله عليه و سلم في حديث أم سلمة، وقد يكون الوقف حسنا على تقدير، وكافيا أو تاما على آخر، نحو ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾[سورة البقرة]، حسن إن جعل ما بعده نعتا، كاف إن جعل خبر مقدر على القطع ، تام إن جعل مبتدأ خبره ﴿أُولَئِكَ﴾[سورة البقرة/ 5].

وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا، وهو المسمى بالقبيح، لا يجوز تعمد الوقف عليه، إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه ، لعدم الفائدة أو لفساد المعنى نحو ﴿طَ الَّذِينَ ﴾[سورة الفاتحة/7].

و قد يكون بعضه أقبح من بعض، نحو ﴿ فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾[سورة النساء/11]، لإيهامه أنها مع البنت شركاء في النصف.

و أقبح منه نحو ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ [سورة البقرة/26]،﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4)﴾ [سورة الماعون/4]، ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾[سورة النساء/43]. فهذا حكم الوقف اختياريا و اضطراريا.

ثالثا : أوجه الوقف في القرآن الكريم :

تتعدد أوجه الوقف في كلا م العرب، غير أن المستعمل منها عند أئمة القراء تسعة[1]وهي: السكون، الروم، الإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق، وفيما يلي نوجزها :

السكون: السكون ضد الحركة يقال سكن الشيء يسكن سكونا إذا ذهبت حركته وسكن الرجل استكان، وقيل معنى سكت ، وسكنت الريح، وسكن المطر وسكن الغضب[2].

وهو الأصل في الوقف على الكلمة المحركة وصلا، لأن معنى الوقف الترك و القطع، ولأنه ضد الابتداء، فكما لا يبتدئ بساكن لا يوقف على متحرك، وهو اختيار كثير من القراء .

1- ينظر، ابن الجزري، النشر، ج1، ص463، والسيوطي، الإتقان، ج1، ص248 .

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة (سكن)، ج13، ص211.

رَامَ الشَّيْءَ يَرُومُهُ رَوْمًا ومَرَامًا: طَلَبَهُ. ومنه رَوْمُ الحركة في الوقف على المرفوع والمجرور، قال سيبويه: أما الذين راموا الحركة فإنّه دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه سكانٌ إلى كلّ حال وأن يُعلموا أنّ حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كلّ حال، وذلك أراد الذين أَشَمُّوا إلاّ أنّ هؤلاء أشدّ توكيداً، قال الجوهري: رَوْمُ الحركة الذي ذكره سيبويه حركة مُخْتَلَسَةٌ مُخْتَفَاةٌ لضرب من التّخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنّها تسمع، وهِيْئَةُ الحركة وإن كانت مختلسة مثل همزة بين بين[1] وهو عند القرّاء عبارة عن النّطق ببعض الحركة، وقيل: هو تضعيف الصّوت بالحركة حتى يذهب معظمها، ويختصّ بالمرفوع والمجزوم، والمضموم والمكسور، بخلاف المفتوح، لأنّ الفتحة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التّبعيض .

الإشْمامُ: التّنْفيم، شَمَمْتُه، أَشُمُّه، وشَمَمْتُه أَشُمُّه شَمًّا وشَمِيمًا... والإشْمامُ: ضَمُّ الحرف السّاكن بحركة خفيّة لا يُعتدُّ بها ولا تكسر وزنا، ألا ترى أنّ سيبويه حين أنشد: أَنَامُ لا يُؤَرِّقْنِي الكَرِي ... مجزوم القاف قال بعدو بعض العرب يُشِمُّها الرّفع كأنّه قال: متى أنام غير مُؤَرَّقٍ ؟

التّهذيب: الإشمام أن يُشَمَّ الحرف السّاكن حرفا كقولك في الضّمة هذا العمل وتسكت، فتجد في فيك إشماما للاّم لم يبلغ أن يكون واواً، ولا تحريكا يعتدُّ به، ولكن شَمَّةٌ من ضمة خفيفة، ويجوز ذلك في الكسر والفتح أيضا. الجوهري: إشمام الحرف أن تُشِمَّه بالضّمة أو الكسرة، وهو أقل من روم الحركة لأنّه لا يُسمع وإنّما يتبين بحركة الشّفة، قال: ولا يُعتدُّ بها حركة لضعفها، والحرف الذي فيه الإشمام ساكن كالسّاكن مثل قول الشاعر:

متى أنام لا يُؤَرِّقْنِي الكَرِي

ليلاً، ولا أسمع أجراس المطي

قال سيبويه: بعض العرب تُشِمُّ القاف شيئا من الضمة، ولو اعتددت بحركة الإشمام لانكسر البيت، وصار تقطيعُ يُؤَرِّقْنِي الكَرِي، متفاعلن، ولا يكون ذلك إلا في الكامل. والشَّمُّ: النُّوُّ[2].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، مادة (روم)، ج12، ص258.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ش م م)، ج12، ص326.

وهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وقيل: أن تجعل شفتيك على صورتها، إذا لفظت بالضّمة، ثمّ إنّ الوقف بالرّوم والإشمام بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه، ليظهر للسّامع أو النّاظر كيفيّة تلك الحركة الموقوف عليهاثمّ إنالّوقف بالرّوم والإشمام ورد عن أبي عمرو والكوفيين نصًّا، ولم يأت عن باقي القرّاء فيه شيء، واستحبّه أهل الأداء في قراءتهم أيضا .

الإبدال: وبِدْلٌ ولغتان،... والبديل: الخَلَفُ والبَدَلُ الشّيء: غيره... والأصل في الإبدال: جعل الشّيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاءً في تالله[1].

ويكون الإبدال في الاسم المنصوب المنوّن بالوقف عليه بالألف بدلا من التّنوين، وفي الاسم المفرد المؤنّث بالتّاء، يوقف عليه بالهاء بدلا منها .

النّقل: تحويل الشّيء من موضع إلى موضع، نَقَلَهُ، يَنْقُلُهُ، نَقْلاً، فَانْتَقَلَ والتّنقّل: التّحوّل. وهمزة النّقل التي تنقل غير المتعدّي إلى المتعدّي كقولك: قام وأَقَمْتُه[2]

ويتحقق فيما آخره همزة بعد ساكن، فإنه يوقف عليه عند همزة بنقل حركتها إليه، فيحرك بها، ثم تحذف هي نحو:﴿ دِفْءٌ ﴾[سورة النحل/5]،﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾[/40]، وما آخره ياء أو واو أصليتين، سواء كانتا حرف مد أم لين نحو ﴿الْمُسِيءُ﴾[غافر/58]،﴿أَنْ تَبُوءَ ﴾[المائدة/29]،﴿قَوْمَ سَوْءٍ﴾[الأنبياء/77].

الإدغام: يَدْغَمُهَا وأَدْغَمَهَا إذا غَشِيَهَا وقهرها... والادغام: إدخال حرف في حرف، والإدغام: إدخال اللّجام في فَلْواه الدّواب... قال الأزهري: وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا[3].

ويكون فيما آخره همزة بعد ياء أو واو زائدتين، فإنّه يوقف عليه – عند همزة – أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمزة من جنس ما قبلها، نحو: ﴿ النَّسِيءُ﴾[التوبة/37]، و﴿بَرِيءٌ ﴾[التوبة /3]، و﴿ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة/228]، تصبح:النّسيء/ نسي/، وقروء/قرو/

---

[1]- المصدر نفسه، مادة (بدل)، ج11، ص48.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقل)، ج11، ص674.

[3]- المصدر نفسه، مادة (دغم)، ج12، ص203.

ح **الحذف:** الشّيء يحذِفُه حذْفًا: قطعه من طرفه،...وفي الحديث:حذف السّلام في الصّلاة سنّة، هو تخفيفه وترك الإطالة فيه[1]ويكون في الياءات، الزّائد[2]عند من يثبتها وصلا ويحذفها وقفا.

الإثبات:ثبت الشّيء، يثبت، ثباتا وثبوتا، فهو ثابت... ويقال: ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتا، فهو ثابت إذا أقام به،وتثبّت في الأمر والرّأي، واستثبت:أناة فيه ولم يعجل[3]، ويكون في الياءات المحذوفات، وصلا عند من يثبتها وقفا، نحو **(هاد، وال، واق، باق) .**

الإلحاق: لحق:اللّحْق:اللُّحوق والإدراك: لحِقَ الشّيء وألحقه، وكذلك لحِقَ به وأَلْحَقَ لحَاقًا بالفتح، أي أدركه[4]وهو ما يلحق آخر الكلمة من هاءات السّكت عند من يلحقها في: **(عم، فيم، بم، لم، مم)**والنّون المشدّدة من جمع الإناث نحو:**هنّ ، ومثلهن)** والنّون المفتوحة نحو **(العالمين، الذين، المفلحون)**لمشدّد المبنيّ نحو:﴿ **أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ**﴾ [النمل/31]، و﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[ص/75]، و**(بمصرخي)** [إبراهيم/22]، و﴿**لَدَيَّ** ﴾[النمل/10] .

المبحث الرّابع:القيمة الصّوتية للفاصلة القرآنية:

يبنى هذا المبحث على ما تمّ من الزّيادة والحذف والإمالة في الفواصل القرآنية.

يقول سيّد قطب(أنّ النّسق القرآني قد جمع بين مزايا الشّعر والنّثر جميعا، فقد أعفى التّعبير من قيود القافية الموحّدة والتّفعيلات التّامة، فنال بذلك حرّية التّعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامّة، وأخفى الوقت ذاته من خصائص الشّعر الموسيقى الدّاخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التّفاعيل، والتّقفية التي تغني عن القوافي، وضمّ ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا فجمع النّثر والنّظم جميعا)[5].

---

[1]- المصدر نفسه، مادة(حذف)، ج9، ص39.

[2]- ياءات الزوائد هي التي ترسم و هي مئة و إحدى وعشرون، منها :خمسة وثلاثون في حشو الآي، والباقي في رؤوس الآي، فنافع وأبو عمرو وحمزةوالكسائي و أبو جعفر يثبتونها في الوصل دون الوقف، و ابن كثير و يعقوب يثبتان في الحالين، وابن عامر وعاصم و خلف يحذفون في الحالين .

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثبت)، ج2، ص19.

[4]-المصدر نفسه، مادة(لحق)، ج10، ص327.

[5]-سيّد قطب، التّصوير الفنيّ ، ص102-103.

وقالإنّ (في القرآن إيقاعا موسيقيّا متعدّد الأنواع، يتناسقالجمع ّ ، ويؤدّي وظيفة أساسيّة في البيان)[1].

تتعدد الصور الصوتية في القرآن الكريم من إيقاع، وفاصلة، وحسن التأليف، والمناسبة الصّوتية، والتّنغيم، والمحسّنات الصّوتية، والفاصلة صورة أو شكل من أشكال التّنوع الصّوتي في القرآن، قائمة على عدّة مظاهر تتّضح بتتبّع إيقاعها في القرآن الكريم، نرصد منها مايلي :

أوّلا:

زيادة حرف في الفاصلة بعدًا صوتيًّا، وفحوى دلاليًّا، وأثرًا بيانيًّا، فتؤدّي الفاصلة دورها في إثارة العقل، وتحريك المشاعر، حيث يتلاحم الإيقاع بالإيقاع، نحو قوله تعالى:﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10)**﴾، ﴿ **وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66)**﴾، ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67)**﴾ [سورة الأحزاب] فقد ختمت فواصل جملة من الآيات بألف الإطلاق، وكان حقّها الفتح مطلقا، دون مدّ الفتحة حتىّ تكون ألفا، فإلحاق الألف في(الظُّنُونَا والسَّبِيلَ) تعتبر ظاهرة صوتيّة تدعو إلى التّفكّر والتّدبّر لأنفواصل هذه السّورة منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النّون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل)[2]، ويرىالفرّاء(ت822هـ)نّ هذه الآيات الثّلاث يوقف.

ثانيا:

إلحاق هاء السّكت ب **"هي"**لتوافق الفاصلة الأولى الثّانية، نحو قوله تعالى﴿**مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ (10) (11)**﴾[سورة القارعة]، وإلحاقها بها في سورة الحاقة في فواصل عديدة كقوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20)**﴾[سورة الحاقة]، فالقارئ لهذه الآيات بخواتيم فواصلها المتجانسة يدركأنّ (الهاء عَدَلَتْ مقاطع الفواصل في هذه السّورة، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في البلاغة)[3]فزّ القارئ من الأعماق بهذا النّغم الموسيقي الشّجيّ المنبعث من الصّدر

---

[1]- المرجع نفسه، ص101-102.

[2]- الزركشي، البرهان، ج1، ص66

[3]- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وأواخر الحلق، فقد ألحقت هذه الآيات بهاء السّكت رعاية لفواصل أقصى الآيات المختومة بالتّاء القصيرة (**حِيَرَهْ، مَا بِيَهْ، سُلْطَانِيَهْ**) اقتضى السّياق نطقها هاءً للتّوافق .

وقد أشار أحد المحدثين إلى أثر زيادة الهاء فقال (إنّ إضافة الهاء إلى هذه الفواصل في هذه الآيات أكسبها حسن الصّنعة ولطف التّركيب قدرًا كبيرًا لا يخصّ على أهل البيان الرّفيع)[1]، إضافة إلى أنّ هاء السّكت تجاوزت المحافظة على الحركة وبيانها إلى(وظيفة صوتيّة نغميّة في الكلمات الأخرى حين تتآلف مع ذلك الوقع الذي يتصل مع رؤوس الآيات على طول السّورة والذي يساهم في تشكيل الجوّ الذي ترسمه معاني كلماتها)[2] .

ثمّ إنّ إثبات هاء السّكت له أثره في التّناسق الصّوتي بين الفواصل عندما نجد فواصل تنتهي بالتّاء التي تتحوّل إلى هاء عند الوقف وهي (**خافيه، كتابيه، حسابيه، راضية، عالية، دانية، الخالية، كتابية، حسابية، القاضية، ماليه، سلطانيه**) [الحاقة/18-29]. تكون الفواصل عند الوقف بالهاء إذ زيد على ياء المتكلّم هاء السّكت في(**كتابي، حسابي، مالي، سلطاني**) فصارت(**كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه**)[3]وغيّرت التّاء القصيرة فحذفت حركتها وتنوينها ذلك لأنّ مبنى الفواصل على الوقف[4]تحوّلت إلى هاء ساكنة على هذه الصّورة (**خافيه، راضيه، عاليه، دانيه، الخاليه، القاضيه**) .

عليها بالألف (لأنّها مثبتة فيهن، وهي مع آيات بالألف ..... وأهل الحجاز يقفون بالألف، وقولهم أحبّ إلينا لإتّباع الكتاب)[5] .

---

[1] إبراهيم السّامرائي، من وحي القرآن ، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، ط1، 1401هـ/ 1981م، ص100.

[2] - غانم قدوري الحمد، رسم المصحف –دراسة لغوية تاريخية- اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ط1، 1402هـ/1982م، ص277.

[3] - ينظر، الزركشي، البرهان، ج1، ص344.

[4] - ينظر ،المصدر نفسه،ج1،ص69،وينظر،السيوطي الاتقان ،ج1،ص623.

[5] - الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد، معاني القرآن، تحقيق:أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النّجار، عالم الكتب، الأردن، ط3، 1403هـ/ 1983م، ص350.

بينما علّل **الأخفش(ت215هـ)** زيادة الألف بقوله (والعرب تلحق الواو والياء والألف في أواخر القوافي فشبّهوا رؤوس الآي بذلك)[1] أمّا زيادة الألف عند **النّحّاس(ت338هـ)** فلأن (العرب تثبت هذه الألف في القوافي وتثبتها في الفواصل ليتّفق الكلام)[2].

ويرى **ابن جني** أنّ زيادة الألف في **(الظّنونا)** جاءت على إشباع الفتحة للوقف على رؤوس الآي يقول: فأمّا قوله تعالى: ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا(67)**﴾[سورة الأحزاب]، و﴿**قواريرا**﴾[الإنسان/15]، و﴿ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10)**﴾[سورة الأحزاب] فإنّما زيدت هذه الألفات في أواخر هذه الأسماء التي لا تنوين فيها لإشباع الفتحات وتشبيه رؤوس الآي بقوافي الأبيات)[3].

ثالثا:

- **تقديم العامل على المعمول** نحو ﴿ **أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40)**﴾[سورة سبأ]، يقول أبو حيان الأندلسي: (**إيّاكم**) مفعول (**يعبدون**)ولما تقدّم انفصل، وإنّما قدّم لأنّه أبلغ في الخطاب، ولو كان (**يعبدونكم**)فاصلة، فلو أتى بالضّمير منفصلا كان التركيب: يعبدونكم، ولم تكن فاصلة[4]، ومن ذلك قوله ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(3)**﴾[سورة البقرة]يقول الزركشي: أخّر الفعل عن المفعول وقدّمه فيما قبلها في قوله تعالى ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ** ﴾ [سورة البقرة] لتوافق رؤوس الآي[5].

- **تقديم المعمول على معمول** آخر أصله التّقديم نحو(**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)**﴾[سورة طه]، إذا أعربنا الكبرى مفعول نري وهو من الوجوه الجائزة[6].

---

[1]- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ/ 1991م، ج2، ص442، و يرى سيبويه أن العرب تلحق الواو والياء في القوافي فيما لا يدخله ياء ولا واو في الكلام،وأجرو الألف مجراهما لأنهما شريكتهما في القوافي،سيبويه ،الكتاب،ج4،ص169.

[2]-النّحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ،ج3، ص305

[3]- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2، ص315.

[4]- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص 273 .

[5]- الزركشي، البرهان، ج1، ص63 .

[6]- ينظر، السيوطي، الإتقان، ج2، ص99.

- **تقديم المعمول على الفاعل**، نحو﴿**وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ(41)** ﴾ [سورة القمر]يقول الزّركشي فأخّر الفاعل لأجل الفاصلة[1]وفي المقابل تقدّم الضّمير على ما يفسّره وهو موسى.

- **تقديم خبر كان على اسمها** نحو ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)**﴾[سورة الإخلاص]يقول أبو حيّان الأندلسي: توسّط الخبر، وإن كان الأصل التّأخّر لأنّ تأخّر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك[2].

- **تقديم خبر إنّ على اسمها** وذلك في قوله تعالى: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي**﴾ [سورة الكهف]، يقول تمّام حسانعلى أحد التّأويليين أي لكن ربيّ هو الله إذ أصبح ضمير الفعل غير فاصلة لتقدّمهعلى اسم لكن وخبرها لكليهما كما تقدّم الخبر على الاسم بتقدّم هذا الضّمير إلا أن نعدّ هذا الضّمير ضمير شأن فلا يكون في الآية شاهد على الترخّص في الرّتبة[3].

- **تقديم جملة الحال على صاحبها:** ويدخل في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ** ﴾[هود/38]، حيث تقدّمت الجملة الحالية(**يَصْنَعُ الْفُلْكَ**)على عاملها وهو ما ترفضه قواعد النّحو العربي.

رابعًا:

- الحذف مراعاة لإيقاع الفاصلة :

يعتبر الحذف من شجاعة العربيّة كما ذكر ابن جنيّ [4]، ويكون الحذف في القرآن الكريم لأسباب متعدّدة لعلّ منها رعاية الفاصلة نحو قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16)**﴾[سورة القمر]، فحذفت ياء المتكلّم الواقعة مضاف إليه، وقد لاحظ ابن خالويه[5]أنّ أكثر

---

[1]الزّركشي، البرهان، ج1، ص63.

[2]أبو حيّان الأندلسي ،تفسير بحر المحيط، ج8ص، 530-531.

[3]-تمّام حسان، البيان في روائع القرآن، ج1، ص234.

[4]- ابن جني، الخصائص، ص544.

[5]- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع،تحقيق وشرح عبلد العال سالم مكرم،دار الشروق بيروت ،لبنان والقاهرة مصر،ط1399،3هـ-1989م،ص169.

أكثر القرّاء يحذفونها في قوله تعالى: ﴿ فَكِيدُونِي﴾[هود/55]، ﴿فَكِيدُونِ﴾[المرسلات/39] لأنّها فاصلة في آخر الآية.

-حذف المفعول : نحو﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5)**﴾[سورة اللّيل]. قال ابنعبّاس: اتّقى الله، وقال مجاهد: اتّقى البخل، وقال قتادة: اتّقى ما نهى عنه.

وكيف ما كان التّأويل فثمّة مفعول به مقدّر فحسب، وقوله :﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)**﴾[سورة الضحى]قول الفرّاء في هذه الآية: (يريد وما قلاك، فألقيت الكاف كما يقول: قد أعطيتك، وأحسنت ومعناه:أحسنت إليك فتكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى، ولأنّ رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك فيه[1] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)**﴾ [سورة الضحى]، يراد به (فأغناك) و(فآواك) فجرى على طرح الكاف لمشاكلة رؤوس الآي، ولأنّ المعنى معروف[2].

ويدخل في ذلك حذف متعلّق بأفعال التّفضيل نحو ﴿ **يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)**﴾[سورة طه] قال أبو حيّان: (الظّاهر أنّ (أخفى) تفضيل أي أخفى من السّرّ [3]، والأمر نفسه يقال عن ﴿ **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)**﴾ [سورة الأعلى].

- حذف الفاعل ونيابة المفعول: نحو﴿ **وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19)**﴾[سورة الليل] قال أبو حيّان: وجاء (تجزى)مبنيا للمفعول لكونه فاصلة، وكان أصله نجزيه إيّاها أو نجزيها إيّاه[4].

- حذف الفعل: كما في قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)**﴾ [سورة الأعلى]قدّر فهدى وأضلّ فأسقط وأضلّ ليوافق رؤوس الآي[5].

---

[1]- أبو حيان الأندلسي،تفسير البحر المحيط،ج8،ص478.

[2]- الفراء معاني القرآن،ج3،ص273-274.

[3]- الفراء معاني القرآن،ج3،ص274.

[4]- أبو حيان الأندلسي،تفسير البحر المحيط،ج6،ص214.

[5]- المصدر نفسه،ج8،ص479.

يتقدّ خرق بعض القواعد لغاية إيقاعيّة، كقاعدة الاختصاص عند النّحاة وهي اختصاص بعض الأفعال بطائفة من الحروف كاختصاص الجوازم بالفعل المضارع وغيره

1/ إيقاع حرف مكان غيره: نحو﴿ **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5)**﴾[سورة الزلزلة]، قال أبو حيّان:وتعدّي أوحى باللاّ م لا بـ(إلى) وإن كان المشهور تعديتها بـ(إلى) لمراعاة الفواصل[1] إنّ الإيقاع استدعى تجاهل الاختصاص التركيبي للفعل أوحى الذي يتعدّى بالحرف إلى تعويضه باللاّ م.

2/ إيقاع الظاهر موضع المضمر:نحو ﴿ **وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)**﴾ [سورة الأعراف]، قال العكبري في إعراب الآية:والتّقدير منهم، وإن شئت قلت إنّه وضع الظّاهر موضع المضمر، أي لا نضيع أجرهم[2]في كلّ حالة تقع مقولة موقع أخرى لغرض مراعاة إيقاع الفاصلة.

يمكن أن نقف على هذا الخرق التركيبي من أجل رعاية الإيقاع بأشكاله المتنوّعة خاصّة الإيقاع اللّفظي وإيقاع الفاصلة من خلال ما ذكره الزّركشي عن مواضع الخروج عن نظم الكلام مراعاة للإيقاع:أنّ منه

-**صرف ما أصله ألاّ ينصرف** كقوله تعالى: ﴿**قَوَارِيرَا(15) قَوَارِيرَ**﴾[الإنسان/15- 16] صرف الأوّل لأنّ آخر الآية، وآخر الثّاني بالألف فحسن فعله منونًا ليقلب تنوينه ألفا فيتناسب مع بقيّة الآي كقوله: ﴿ **سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4)**﴾[سورة الإنسان]إنّ (سلاسلا) نظم إلى (وأغلالا وسعيرا)صرف ونوّن للتّناسب، وبقي (قواريرا)الثّاني، فإنّه وإن لم يكن الآية جاز صرفه، لأنّه لما نوّن (قواريرا)الأوّل ناسب أن ينوّن (قواريرا) الثّاني ليتناسبا، ولأجل هذا لم ينوّن (قواريرا)الثّاني إلا من ينوّن (قواريرا)الأوّل [3] .

---

[1]- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين ابن أحمد، إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، ط1، 1413هـ/ 1992م، ج2،ص467،وانظر،الفراء ،معاني القرآن،ج3،ص256.

[2]- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن، ص259

[3]- الزركشي، البرهان، ج1، ص97 .

4/ الجمع بين المجرورات مراعاة لإيقاع الفاصلة :

يقول الزركشي في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69)**﴾ [سورة الاسراء] قد توالت المجرورات بالأحرف الثّلاثة، وهي اللاّ م في (لكم) والباء في (به) و على في (علينا) وكان الأحسن الفصل .

وجوابه أنّ تأخّر (تبيعا) ترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الرّ وابط وكذلك الآيات التي تتّصل بقوله (ثمّ لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) فواصلها كلّها منصوبة منوّ نة، فلم يكن بدّ من تأخير قوله: (تبيعا) كون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتىّ تتناسق على صورة واحدة[1] .

5/ الفصل بين ما لا يقبل الفصل بينهما مراعاة لإيقاع الفاصلة:

_**الفصل بين الموصوف وصفته،** وذلك نحو ﴿ **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5)**﴾ [سورة الأعلى]، ويكون ذلك إذا أعرب (أحوى) صفة المرعى، قال أبو حيّان: وقيل (أحوى) حال من المرعى...وحسن تأخير (أحوى) لأجل الفواصل [2] .

_**الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه،** وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)**﴾ [سورة طه] يقول أبو حيّان: والظّاهر عطف (وأجل مسمّى) على (كلمة) وأخّر المعطوف عن المعطوف عليه، وفصل بينهما بجواب (لولا) لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي[3].

وعليه يتّضح الاحتفاء بالإيقاع الذي يمارس تأثيرا على النّحو، هذا التّأثير الذي يتجاوز حدود خرق قاعدة إلى الإسهام في بناء الجملة .

- خرق الصرف مراعاة لإيقاع الفاصلة :

في سبيل تحقيق إيقاع الفاصلة يتم خرق القواعد الصرفية و تحدي معاييرها ، و من ذلك :

1- تغيير بنية الكلمة مراعاة لإيقاع الفاصلة :

و يكون ذلك بالحذف أو بالزيادة أو بهما معا :

---

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص92-93

[2]- أبو حيان الأندلسي، تفسير بحر المحيط ج8 ، ص354

[3]- أبو حيان الأندلسي، تفسير بحر المحيط،ج6، ص268

أ/ الحذف : حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(4)﴾الفجر4 يقول أبو حيان : و الجمهور (يسر) بحذف الياء و صلا و وقفا ، و ابن كثير : بإثباتهما فيهما ، و نافع و ابن عمرو: بخلاف عنه بياء في الوصل و بحذفها في الوقف[1].

و قال النحاس : و الأصل "يسري" حذفت الياء في الخط لأنها رأس آية ، و من أثبتها في الادراج جاء بها على الأصل و حذفها في الوقف إتباعا للمصحف الذي لا يحل خلافه ، و حسن ذلك لأن كل ما يوقف عليه يسقط إعرابه[2].

و قال الفراء : حذفها أحب إلي لمشاكلتها رؤوس الآيات [3].

فهذا الاسقاط للام فعل (سرى) جاء لغرض إيقاعي محض و ذلك لتوافق رؤوس الآي نحو ﴿ وَالْفَجْرِ(1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ(2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(3)﴾الفجر1-3 [4].

و قد يقتضي الإيقاع التصرف المعكوس ، و ذلك بزيادة في بنية الكلمة و مخالفة الأصول ، كزيادة حرف المد نحو (الظنونا) و (الرسولا) و (السبيلا) الأحزاب10-66-67، و منه إبقاءه مع الجازم نحو ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى(77)﴾طه77 ، (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى(6)﴾الأعلى6 ،على القول بأنه نهي[5] .

قال أبو حيان : و كتب (الظنونا) و (الرسولا) و(السبيلا) في المصحف بالألف فحذفها همزة ، و أبوعمرو وقفا و وصلا ، و ابن كثير و الكسائي و حفص بحذفها وصلا خاصة و باقي السبعة ، بإثباتها في الحالين و اختار أبو عبيد و الحذاق أن يوقف على هذه الكلمة بالألف ، و لا يوصل فيحذف أو يثبت ، لأن حذفها مخالف لما اجتمعت عليه مصاحف الأمصار ، و لأن اثباتها الوصل معدوم في لسان العرب نظمهم و نثرهم ، لا في اضطرار و لا غيره ، أما إثباتها في الوقف ففيه اتباع الرسم و موافقته لبعض مذاهب العرب لأنهم يثبتون هذه الألف في قوافي

---

[1]- المصدر نفسه، ج8، ص463

[2]- النحاس، إعراب القرآن، ج6 ، ص694 .

[3]- الفراء، معاني القرآن، ج3، ص260

[4]- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين ابن أحمد، إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، ط1، 1413هـ/ 1992م، ج2، ص477

[5]- ينظر، السيوطي الإتقان ،ج2،ص99.

أشعارهم ، و في تصاريفها ، و الفواصل في الكلام كالمضارع ، قال أبو علي : هي رؤوس الآي تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع كما كانت لاقوافي مقاطع ....[1] .

و قال أبو حيان في (و لا تخشى) و أما على قراءة الجزم فخرج على أن الألف جيء بها لأجل أواخر الآي فاصلة[2] ، و قال في (سنقرؤك فلا تنسى)الأعلى6 و أثبتت الألف في (فلا تنسى) و إن كان مجزوما ب(لا) التي للنهي لتعديل رؤوس الآي[3] .

و قد يقتضي الإيقاع الزيادة و النقصان كما في قوله تعالى : ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ(1) وَطُورِ سِينِينَ (2)**﴾التين1-2 حيث تحول اسم سيناء إلى سنين لمناسبة الفاصلة ، و تحقيق الإيقاع قال ابن خالويه : و كأن ابن عمرو يحتج بأن سنين و سيناء واحد و إنما زادوا النون لرؤوس الآي [4].

و الظاهر أن الاحتفاء بالإيقاع الفاصلة تطلب تغيير بنية الكلمة بالزيادة و النقصان أو هما معا .

- تعطيل التطابق مراعاة لإيقاع الفاصلة :

و المقصود به أن مراعاة الإيقاع قد تقتضي ترخيصا صرفيا يعطل بموجبه التطابق بين طرفين ، الأصل فيهما أن يتطابقا، و ذلك على مستوى العدد أو الجنس ، و من ذلك إفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(54)**﴾القمر54 ، قال الفراء: معناه أنهار[5] أنهار[5] ، و يرى الزركشي أنها وحدت لأنها رأس آية فقابل بالتوحيد رؤوس الآي[6]، ما دامت الفواصل المجاورة قد جاءت على النحو التالي (...البصر...مذكر...الزبر...مستطر) .

و يدخل في هذا الصنف أيضا قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)**﴾[الكهف/51] ، نقل الزركشي عن ابن سيده قوله : أي أعضادا و إنما أفرد ليعدل رؤوس الآي بالإفراد و العضد المعين[7] ، و قد يقتضي الإيقاع العكس ، أي جمع ما أصله أن يفرد كقوله

---

[1]- أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ج7،ص211

[2]- المصدر نفسه،ج6،ص245

[3]- المصدر نفسه،ج8،ص453

[4]- ابن خالويه، إعراب القراءات السبع و عللها ،ج2،ص505

[5]- الفراء، معاني القرآن،ج3، ص111

[6]- ينظر، الزركشي، البرهان،ج1، ص94

[7] - ينظر، الزركشي، البرهان،ج1،ص95

تعالى :﴿ **لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31)** ﴾إبراهيم31 ، قال الزركشي : فإن المراد و لا خلة بدليل الآية الأخرى ، و يقصد قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)** ﴾البقرة254 ، لكن جمعه لأجل مناسبة رؤوس الآي .

- **تثنية ما أصله أن يفرد** ، كقوله تعالى :﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)** ﴾الرحمن46 ، يقول السيوطي :قال الفراء: أراد جنة ، كقوله تعالى :﴿ **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)** ﴾النازعات41 ، فثنى لأجل الفاصلة ، قال : و القوافي تحتمل من الزيادة و النقصان ما لا يحتمله سائر الكلام ، و نظير ذلك قول الفراء في قوله تعالى :﴿ **إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12)** ﴾الشمس12 ، فإنهما رجلان قدار و آخر معه و لم يقل أشقياها للفاصلة .

و قد أنكر ذلك ابن قتيبة و أغلظ فيه ، و قال : إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همز أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي فمعاذ الله ، فكيف هذا و هو يصفهما بصفات الاثنين .

قال :﴿ **ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)** ﴾الرحمن48 ، ثم قال : "فيهما" و أما ابن الصائغ فإنه نقل عن الفراء أنه أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة ، ثم قال : و هذا غير بعيد قال : و إنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ [1] ، **إفراد ما أصله أن يثنى، الاستغناء بالإفراد عن التثنية** نحو ﴿ **فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)** ﴾طه117 ، فبعدما أعاد الضمير على آدم و حواء في (فلايخرجنكما) أسند الشقاء إليه وحده بعد اشتراكه مع زوجه في الإخراج من حيث كان هو المخاطب أولا... ، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونهما مع المحافظة على الفاصلة[2] ، و يقتضي مراعاة الفاصلة ليس فقط على مستوى العدد، بل على مستوى الجنس أيضا، كما في قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54)** ﴾المدثر54 ، أي إن القرآن تذكير، وإنما

---

[1] السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن،ج2،ص100

[2] أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ج6ص263

عدل إليها للفاصلة[1]، إذ ختمت الفواصل المجاورة بالراء و التاء (مستنفرة ،قسورة،منتشرة،الآخرة) .

و قد يتسع المجال في سبيل تحقيق الإيقاع ليتجاوز الحالات المذكورة إلى :

- **العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى مراعاة لإيقاع الفاصلة :**

و يندرج ضمنه العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال ، و العدول عن صيغة صرفية إلى أخرى ، و إقامة الواحدة مقام الأخرى، و هذا النوع الأخير كثير في القرآن الكريم يصعب حصره .

* **العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال :** نحو ﴿ **فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(87)**﴾البقرة87 ، حيث لم يسو بينهما فيقول : و فريقا قتلتم ، كما سوي بينهما في سورة الأحزاب فقال : ﴿ **فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26)**﴾الأحزاب26و ذلك لأجل أنها هنا رأس آية[2]، و باقي رؤوس الآي المجاورة وردت على النحو التالي (معرضون، تشهدونتعملون، ينصرون،تقتلون،يؤمنون،الكافرين،مهين،ظالمون..)

- **وقوع مفعول موقع فاعل** ، كقوله ﴿ **حِجَابًا مَسْتُورًا (45)**﴾الاسراء45 ، قال الأخفش: أي ساترا ، و مفعول يكون بمعنى فاعل كما يقال : مشؤوم و ميمون ، أي شائم ويامن، لأن الحجاب هو الذي يستر[3]، و قد جاءت على مفعول لتناسب الفواصل المجاورة (غفورا،مستورا،نفورا،مسحورا)، و في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61)**﴾مريم61 ، قال ابن قتيبة : أي آتيا ، مفعول في معنى فاعل ، و لا شك أن ذلك ليناسب الفواصل المجاورة(بكيا، غيا، شيئا ، مأتيا، عشيا ، تقيا، نسيا) .

- **وقوع فاعل موقع مفعول** نحو ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7)**﴾القارعة7 أي مرضية ، ﴿**خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(6)**﴾الطارق6 ، أي مدفوق ، يقول الفراء: أهل الحجاز

---

[1] الزركشي ، البرهان، ج1،ص96

[2] - المصدر نفسه ،ج1، ص98

[3] - نقلا عن :النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص242

أفعل لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت ، كقول العرب : هذا سركا تم ، و هم ناصب ، و ليل نائم ، و عيشة راضية و أعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هن معهن[1] ، و الفواصل في سورة القارعة توافق (راضية ، هاوية، ماهية، حامية) .

وقوع فعيل موقع مفعول نحو : ﴿ **وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55)**﴾[الفرقان/55] قال أبوحيان : و الظهير و المظاهر كالمعين و المعاون ... و فعيل بمعنى مفاعل كثير[2]، و يبدو أن ذلك يناسب الفواصل المجاورة (قديرا ، ظهيرا ، نذيرا ، سبيلا ، خبيرا) .

- **وقوع فاعل موقع المصدر** نحو ﴿ **لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2)**﴾الواقعة2 أي تكذيب إذ الكاذبة ها هنا مصدر مثل : العاقبة و العافية[3] ، و جاءت على فاعلة مناسبة للفواصل المجاورة (الواقعة ، كاذبة، خافضة) .

- **وقوع مفعول موقع المصدر** نحو ﴿**بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ(6)**﴾[القلم/6]، قال أبو حيان :و المفتون بمعنى الفتنة، أي بأيكم هي الفتنة و الفساد الذي سموه منونا[4] ، وقد ساعد على ذلك مجاورتها للفواصل التالية (يسطرون،يمعنون، ممنون، يبصرون،المفتون).

- **إيثار بعض الصيغ على صيغ أخرى مراعاة لإيقاع الفاصلة:**

- تذكير اسم الجنس أو تأنيثه للإيقاع كتذكير النخل في قوله تعالى :﴿**أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(20)**﴾القمر20و ذلك ليناسب الفواصل (مذكر، نذر، مستمر،منقعر) بينما تم تأنيثه في قوله ﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7)**﴾الحاقة7 ليناظر بين الفواصل المجاورة (الحاقة ، القارعة ، الطاغية ،عاتية ، خاوية ، باقية ....) و نظيره قوله في سورة القمر ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ(53)**﴾ حيث تم تذكير اسمي الجنس (صغير و كبير) لإحداث التجانس الإيقاعي بين الفواصل المتجاورة (بالبصر، مذكر، الزبر،

---

[1] - الفراء، معاني القرآن، ج3، ص255

[2] أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ،ج6، ص465

[3] الفراء، معاني القرآن،ج3، ص121

[4] - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص303

مستطر،نهر...)بينما قال في موضع آخر تنتهي فواصلهبالألف :﴿ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ الكهف49 ،فلو ذكر لقال "أحصاها" فتضيع الفاصلة .

- إيثار بعض صيغ المبالغة على البعض الآخر نحو : تفضيل فعال على فعيل ، و ذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)﴾ص5 حيث استعملت بدل (عجيب) (عجاب) و هي صيغة مبالغة لمناسبة الفاصلة ، يقول الفراء: و قرأ أبو عبد الرحمن السامي (لَشَيْءٌ عُجَابٌ) و العرب تقول : هذا رجل كريم و كرام و كرام و المعنى كله واحد مثله قوله تعالى ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22)﴾نوح22 ، معناه كبيرا فشدد خاصة و أن الفواصل جاءت على النحو التالي : كذاب ، عجاب ، يراد، عذاب ، الوهاب، الأسباب ، الأحزاب.

- إيثار توظيف صيغة للمصدر مخالفة لفعل الإشتقاق ، و ذلك مثل قوله تعالى :﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28)﴾النبأ28 ، فمصدر كذب كما هو معلوم "التكذيب" و ليس (كذابا) على وزن فعال ، و لكن الفراء يقول عنها : هي لغة يمانية فصيحة ، يقولون : كذبت به كذابا ، و خرقت القميص خراقا و كل فعلت فمصدره فعال في لغتهم مشدد[1]، و لا شك أن اختيار هذه الصيغة دون غيرها يناسب إيقاعيا الفواصل المجاورة (حسابا،كذابا،كتابا،عذابا) .

- **إجراء غير العاقل مجرى العاقل مراعاة إيقاع الفاصلة :**

و ذلك نحو قوله تعالى ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)﴾يوسف4 ، في سياق حديث يوسف-عليه السلام- عن سجود أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر بدل "ساجدات" يقول الفراء: إن هذه النون و الواو إنما تكونان في جمع ذكران الجن و الإنس و ما أشبههم ، فيقال الناس ساجدون ، و الملائكة و الجن ساجدون، فإذا عدوت هذا صار المؤنث و المذكر إلى التأنيث، فيقال : الكباش قد ذبحن و ذبحت و مذبحات ، و لا يجوز مذبوحون ، و إنما جاز في الشمس و القمر و الكواكب بالنون و الياء لأنهم وصفوا بأفاعيل الآدميين[2]، أي السجود ، لذلك

---

[1] - الفراء، معاني القرآن،ج3،ص299

[2] - الفراء، معاني القرآن،ج2،ص34-35

قال أبو حيان : و جمعهم جمع من يعقل ، لصدور السجود له ، و هو صفة من يعقل ، و هذا سائغ في كلام العرب و هو أن يعطي الشيء حكم الشيء للإشتراك في وصف ما ، و إن كان ذلك الوصف أصله أن يخص أحدهما [1]، و قد وافق ذلك تناسب الفواصل المجاورة التي وردت بالياء و النون تارة و بالواو و النون تارة أخرى (مبين ، تعقلون، الغافلين، ساجدين ، مبين...) ، و كذلك قوله تعالى : ﴿ **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(33)**﴾الأنبياء33 ، و لأن السباحة من أفعال الآدميين فقيلت بالنون[2] ، فجمعت جمع العاقل ، و حسن ذلك كونه جاء فاصلة رأس آية [3]، و الفواصل المجاورة كذلك (يهتدون ، معرضون، يسبحون،ترجعون،...).

يتحدى الإيقاع المستويات اللسانية الذي ينازع التركيب في بنية النص القرآني بما فيه المستوى الصوتي الذي يحول قواعده إلى قواعد إيقاعية تعمل جميعها على التناسب و هو :

-إمالة ما أصله ألا يمال مراعاة لإيقاع الفاصلة:

إذا كانت الإمالة تخضع لمجموعة من القواعد إلا أن مراعاة الإيقاع يقتضي أحيانا خرق تلك القواعد و المواصفات ، و ذلك نحو إمالة ألف ﴿ **وَالضُّحَى(1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(2)**﴾الضحى1-2 ، رغم أن اللف الأولى و الثانية أصلهما واو فنقول : ضحا ، يضحو ، سجا ، يسجو[4] ، و قد تمت الإمالة ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدهما ، و الإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء و الغرض الأصلي منها هو التناسب و عبر عنه بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة[5] .

يقول ابن الجزري : " و قيل في إمالة **(الضُّحَى) الضحى1 ،(الْقُوَى)النجم5 ،(ضُحَاهَا)النازعات29-46 ،(تَلَاهَا)الشمس2** ، إنها بسبب إمالة رؤوس الآي قبل و بعد فكانت من الإمالة للإمالة[6] ، و أرجع ابن الجزري أسباب وجود لإمالة إلى أصلين هما المناسبة و الإشعار ، فأما المناسبة فقسم واحد و هو فيما أميل لسبب موجود في للفظ و فيما أميل لإمالة غيره فأرادوا أن

---

[1] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5،ص281

[2] الفراء، معاني القرآن، ج2،ص201

[3] أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط، ج6،ص288

[4] ينظر، النحاس ، إعراب القرآن، ج6،ص722-724

[5] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1،ص98

[6] ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر، ج2، ص34

يكون عمل اللسان و مجاورة بالنطق بالحرف الممال و بسبب الإمالة من وجه واحد و على نمط واحد .

و أما الإشعار فثلاثة أقسام : أحدهما :

1-الإشعار بالأصل : و ذلك إذا كانت الألف الممالة منقلبة عن ياء أو عن واو مكسورة ، و الثاني :

2-الإشعار بما يعرض في الكلمة : في بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسبما تقتضيه التصاريف دون الأصل ...، الثالث :

3-الإشعار بالشبه المشعر بالأصل : و ذلك كإمالة ألف التأنيث و الملحق بها و المشبه أيضا[1] .

و يضيف الزركشي : و قد يمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره ، كألف "تلا" في قوله تعالى :﴿ **وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2)**﴾الشمس2 ، فأميلت ألف "تلاها" ليشاكل اللفظ بها اللفظ الذي بعدها ، مما ألفع غير ياء ، نحو (جلاها و يغشاها) فإن قيل : هلا جعلت إمالة "تلاها" لمناسبة ما قبلها ، أعني (ضحاها) ؟ قيل لأن ألف (ضحاها) عن واو و إنما أميل لمناسبة ما بعده .[2]

و الأمر لا يقتصر على هذه الأمثلة المحدودة بل يتعداها إلى آى طه ، و النجم قال القيسي : (و مما أمليت ألفه على التشبيه بالألف التي أصلها الياء قوله (**دحاها ، و طحاها ، وتلاها ، و سجى)** على التوالي النازعات30 ، لبشمس2-6 ، الضحى2 ، أربعة أفعال أصل الفها الواو .... و حسنت إمالتها ، لأن بعدها و قبلها ، ما أصل ألفه الياء فأتبعت لفظ ما قبلها و ما بعدها ، من الألفات الممالات اللواتي أصلها الياء[3] .

---

[1] المصدر نفسه،ج2، ص35

[2] الزركشي، البرهان، ج1،ص98

[3]- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق:محي الدّين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1404هـ/1984م ،ج1، ص189-190

و قال أيضا في جملة أسباب إمالة **"العلى"** في طه4 و أيضا فإن الواحد و هو **"العلياء"** يمال ألف التأنيث فجرى الجمع في الإمالة على ذلك ، و إن لم تكن فيه ألف التأنيث للإتباع [1] ، فالإمالة جاءت لمطلب إيقاعي أو ما سماه القيسي الإتباع ، و قال الشاطبي :

ومما أمالاه أواخر آى مـــا بطه و آى النجم كي تتعد لا

وفي الشمس و الأعلى و في الليل والضحى و في اقرأ و في النازعات تميلا

ومن تحتها ثم القيامة ، ثم في الـ معارج يا منهال أملحت منهلا

وقد اتفق حمزة و الكسائي على إمالته على الأصول المتقدمة ، رؤوس الآي من إحدى عشرة سورة طه و النجم و سبأ و القيامة و النازعات و عبس و و الشمس و الضحى ، و الليل و العلق (أراد الألفات التي هي أواخر الآيات ، مما جميعه لام الكلمة ، سواء المنقلبة فيها عن الياء ، و المنقلبة عن الواو ، و قال الفارسي معقبا على إمالة أبي عمرو : " إنما أمال الألفات في رؤوس الآى ، لأن الفواصل بمنزلة القوافي في أنها مواضع وقوف ، كما في أواخر البيوت كذلك ، وقد فصلوا بين الوصل و الوقف ، فأمالوا إذا وقفوا ، و لم يميلوا إذا وصلوا .... و أما تسويته بين ضحاها و طحاها فليشاكل بينها في اللفظ ، لأن الفواصل كالقوافي ، فاستحب الملائمة بين بعض الفواصل و بعض ، كما استحبوا ذلك في القوافي ، و أمال طحاها و نحوها لذلك و لأن الإمالة في نحو طحا و غزا سائغة [2] .

و عليه يتضح أن الإيقاع أصل من أصول الإمالة ، فهو مبحث إيقاعي أساسا .

- إثبات هاء السكت مراعاة لإيقاع الفاصلة:

لحقت هاء السكت في مواضع من القرآن لغاية ايقاعية و هي الحفاظ على تجانس الفواصل ، و ذلك في **(ماليه)** ، **(سلطانيه)** الحاقة 28-29 ، و **(ماهيه) القارعة10** ، قال الزركشي في الشاهد الاخير : و كذلك لحاق هاء السكت في قوله **(ماهيه)** في سورة القارعة هده الهاء عدلت مقاطع الفواصل في هذه السورة و كان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في الفصاحة [3] .

---

[1]- المصدر نفسه ،ج1،ص190

[2]- الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع ، ج1، ص288

[3]- الزركشي، البرهان ج1،ص91

و زيادة على لحاقها لتناسب الفواصل فهاء السكت تقوم بإبراز الحركة ، يقول القيسي : إنما يؤتى بها في الوقف ، لبيان الحركة التي هي في ياء الاضافة[1] .

وقد ذكر بن خالويه موضحا : "لأن الهاء إنما يأتى بها للسكت ليتبين بها حركة ما قبلها"[2] .

إن إضافة هذه الهاء ليس خرقا صوتيا إنما هو حالة من حالات الوقف و قد جاء لغرض صوتي و هو الحفاظ على الحركة من السقوط و إبرازها ، كما وافق رؤوس الآي .

- انتقاء الألفاظ المعجمية مراعاة لأيقاع الفاصلة :

تقتضي الفاصلة أحيانا مخالفة الأصول المعجمية ، و ذلك باختيار أغرب الألفاظ و أبعدها او توظيف أحد المشتركين في موضع و الآخر في موضع ثان و ذلك حفاظا للايقاع و صيانة لحضوره ، و من نماذج ذلك :

- غيثار أغرب اللفظتين أو الألفاظ مراعاة للفاصلة نحو ﴿ **قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)**﴾النجم 22 ، و لم يقل جائرة ، أو غيرها [3] ، و قوله تعالى ﴿ **لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4)**﴾الهمزة4 و لم يقل جهنم أو النار ، و قال في المدثر ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(26)**﴾ و في سأل ﴿ **إِنَّهَا لَظَى (15)**﴾المعارج15 ، و في القارعة ﴿ **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9)**﴾القارعة9 ، لمراعاة فواصل كل سورة [4].

- اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو ﴿ **وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)**﴾ابراهيم52 ، ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128)**﴾طه128 ، و لا شك أن ذلك أيضا لمراعاة الفاصلة .

اختيار القراءة و الاحتجاج لها من منطلق مراعاة إيقاع الفاصلة :

و يمكن أن نستدل على ذلك من نموذجين و هما :

---

[1]- القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ،ج1، ص307-308،وينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص567

[2]- ابن خالويه، إعراب القراءات السبع و عللها ،ج1، ص79

[3]- عن ابن حيان، قال ابن عباس وقتادة : ضيزى : جائرة ، وسفيان : منقوصة وابن زيد :مخالفة، ومجاهد ومقاتل: عوجاء، والحسن: غير معتدلة، وابن سيرين غير مستوية ، و كلها أقوال متقاربة في المعنى.

[4]- ينظر، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج2،ص100

1- الاكتفاء بوجه من الوجوه الجائزة التي قرأ بها القراء لمطلب إيقاعي ، و ذلك كقوله تعالى ﴿ **فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14)**﴾الجن14 ، و لم يجئ رشدا في السبع و كذا ﴿ **وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10)**﴾الكهف10 ، لأن الفواصل في السورتين محركة الوسط و قد جاء في سورة الأعراف ﴿ **وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ** ﴾الأعراف146 ، و نظير ذلك قراءة ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)**﴾المسد1 بفتح الهاء و سكونها و لم يقرأ ﴿ **سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3)**﴾المسد3 ، إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة [1].

فهذا الاختيار المجمع عليه من قبل القراء للفتح جاء للفاصلة قال ابن الجزري : (فيحتمل عندي أن يكون الاتفاق على فتح الحرفين الأولين لمناسبة رؤوس الآي و موازنتها .

لما قبل و لما بعد نحو : (**عجبا ، عددا، أحدا**) [2] ، رغم أنه تم اختيار الضم في مواضع أخرى من القرآن الكريم خاصة (النساء6، الأعراف146، الكهف66) عند بعض القراء[3] ، ومن ثم فإن إجماع القراء على الفتح هو لأن رؤوس الآي في سيلقها على الفتح .

- **تقديم ما حقه أن يتأخر مراعاة لإيقاع الفاصلة :**

تقديم ما هو متأخر في الزمان و إن كان الأولى تأخيره نحو ﴿ **فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (25)**﴾النجم25 ، لأن فواصل سورة النجم جاءت في معظمها مختومة بالألف فاقتضى الحفاظ على الإيقاع القرآني المتتابع أن تقدم (الآخرة) و إن كانت زمنيا متأخرة بينما نجد الترتيب الزمني يحترم من قبل القرآن في قوله مثلا ﴿ **لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ** ﴾القصص70 ، حيث لم تقع (و الآخرة) و (الأولى) في موقع الفاصلة .

- تأخير ما هو أفضل مكانة نحو ﴿ **بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (70)**﴾طه70 لأن الفواصل المجاورة ، بل فواصل السورة بكاملها ضمت بالألف فتأخر (موسى) رغم فضله نبيا على أخيه (هارون) .

---

[1]- ينظر، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص99 .

[2]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص312

[3] - ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط1، دت، ص293

- تقديم الضمير على ما يفسره نحو ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67)**﴾طه67 ، يقول الزركشي : لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله و يؤخر المفعول لكن آخر الفاعل و هو موسى لأجل رعاية الفاصلة [1]

ثالثا: حذف الياء و لعل أول من أشار إلى حذف الياء في الفواصل و القوافي حين قال (و جميع ما لا يحذف في الكلام ، و ما يختار فيه أن لا يحذف ، يحذف في الفواصل و القوافي)[2] ، و استشهد للحذف في الفواصل بقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4)**﴾الفجر/4 ، و ﴿ **يَوْمَ التَّنَادِ (32)**﴾ **غافر/32** ، و﴿**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)**﴾الرعد/9 .

والأمر لا يقتصر على هذه النماذج المحدودة بل يتعداها إلى آي طه والنجم قال القيسي (ومما أميلت ألفه على التشبيه بالألف، التي أصلها الياء قوله(دحاها،وطحاها، وتلاها، وسجى)

و استشهد للقوافي بقول زهير :

و أراك تغري ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يغر

ونسب **الخليل** إلى العرب حذف الياء فقال (والعرب ربما حذفوا الياء من قولهم "لا أدر" في موضع "لا أدري" يكتفون بالكسرة فيها لقول الله عز و جل ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4)**﴾الفجر/4 ، و الأصل "يسري")[3] .

لقد حذفت الياء من (سر ي) موافقة للفاصلة فيما يبدو، و رعاية للبعد الصوتي و عناية بالنسق القرآني ، كذلك في (**أكرمن) و (أهانن) و (دين)** لما في النون من غنة عند الوقوف عليها ، و ذكر ابن الجزري أن عدد الياءات الزوائد المحذوفة من رؤوس الآي في غير النداء هو 86 ياء ، في حين اختلف القراء في إثبات الياءات المحذوفات في رؤوس الآي فكانوا يحذفون في الوصل و الوقف ، إلا **عيسى ابن عمر** ، فكان يحذفها في الوقف و يثبتها في الوصل [4] .

و الياءات المحذوفة في الفواصل على اربعة أقسام :

---

[1]- سيبويه، الكتاب ،ج1، ص62 .

[2]- المصدر نفسه، ج4، ص122.

3- الأزهري،تهذيب اللغة،ج2،ص54 .

1-ينظر، الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء، 1ج،/257

1- الياء التي هي ضمير مسبوقة بنون الوقاية في الفعل ، نحو قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)**﴾الشعراء 78-81 ، إذ حذفت الياء لأن الآيات بالنون [1] .

إن الوقف على رؤوس الآيات و طلب التناسب فيها ، أدى إلى عدم إثبات الياء ،د في حين ما لم يرد فاصلة أثبتت الياء نحو **(خلقني ، يطعمني ، يميتني)** الشعراء78-81 ، إذا فالحذف إنما و صدى لسقوط في النطق[2].

2- الياء التي هي ضمير متصلة بالأسماء و هي مضاف إليه ، نحو قوله تعالى ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16)**﴾القمر/16 ، إذا حذفت الياء من **(و نذر)** و الاصل **(نذري)** لأن الفواصل جاءت كلها متماثلة على حرف الراء .

3- الياء التي هي لام الكلمة في المنقوص المعرف بأل نحو قوله تعالى ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)**﴾الرعد/9 ، حيث حذفت الياء من **(المتعال)** مع كونه معرفا بأل لأنه رأس آية[3]، و (لقد جاء **"المتعال"** في الآية و هو منقوص حذفت ياءه لتشاكل سائر الفواصل في الآيات)[4].

4- الياء التي هي لام الفعل المضارع الناقص المرفوع فقد ورد في قوله تعالى ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4)**﴾الفجر/4، و جاء الحذف لقصد الإنسجام و التوافق بين فواصل السورة السابقة لهذه الفاصلة و اللاحقة لها و هي **(و الفجر، عشر، و الوتر، يسر، حجر)**الفجر1-5 .

وحرصا على أن يأخذ المبحث حظه من الدراسة، اقتصر البحث على الوجوه الشائعة التي يظهر أثرها في تغيير حركة الفاصلة أو تغيير بنيتها فتجاوز الأضرب المخالفة لقاعدة الوقف بالسكون على المتحرك **كالروم** الذي هو الإشارة إلى الحركة بصوت ضعيف أو اختلاسها تنبيها على حركة الأصل، **والإشمام** الذي هو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، فهذين الضربين غير واضحين في الوقف .

2- ينظر،الفراء،معاني القرآن297/3

[2]- ينظر، غانم قدوري الحمد، رسم المصحف ، ص289.

[3]- ينظر، النحاس، إعراب القرآن، ص469.

[4]- ينظر،المصدر نفسه،والصفحة نفسها.

وكذا الوقف **بنقل الحركة**، و **تضعيف الحرف**، و**المنقوص المنون** بإثبات الياء في نحو (هاد ، وواق ، ووال) المنسوب إلى ابن كثير من القراء السبعة، لكون ذلك لغة لبعض العرب لم تلتزم بها اللغة الفصحى التي تميل إلى حذف الياء، و لأن ذلك يؤدي إلى عدم التوافق في الانسجام بين الفواصل القرآنية بخلاف الحذف الذي أجمع عليه القراء .

الوقف بالسكون:وهو الأصل في الوقف لأن: الوقف بالسكون على آخر الكلام أسلوب عدولي عن الإعراب، له ما للأصل الإعرابي من تقعيد، وله ما له من اطراد[1].

والقاعدة العامة في اللغة العربية هي الوقف بالسكون، أي أنّها تكره الوقف على المقطع المفتوح[2]، ولذلك تسقط الحركات القصيرة غالبا في آخر الكلمات عند الوقف[3].

والسكون هو أن تحذف صوتا أو أكثر من أجل الوصول إلى الساكن ، فقد تحذف الحركة وحدها كقوله تعالى ﴿ **وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ (3)**﴾[سورة التّين] وقد تحذف الحركة والتّنوين معا نحو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (173)**﴾[سورة البقرة] وقد يحذف الحرف والحركة المجانسة له كحذف الياء في قوله تعالى ﴿**لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ (6)**﴾[سورة الكافرون]، يقول إبراهيم أنيس (يكفي أن نستمع لبعض آيات من سورة الطارق وسورة الفجر وسورة القدر لندرك أنّ نظام الفواصل فيها قد احتمل التقاء ساكنين في رؤوس تلك الآيات، والفجر وليال عشر)[4]، ويضيف إبراهيم أنيس في هذا الصدد أنّ (نظام الفواصل القرآنية يتطلب الوقوف على رؤوس الآيات بالسكون لتبرز موسيقاها وتستريح الأذان إلى سماعها كما تستريح إلى القوافي الشعرية ولا تكاد تتضح موسيقى الفواصل إلا بالوقوف على رؤوس الآيات، هكذا كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان يقرأ معظم أصحابه الأولين ، فإذا قرأ قارئ سورة الرحمن أحسست بجمال الوقوف على رؤوس الآيات حين يقف عليها جميعا بالسكون، إذ لم تختم معظم الآيات في هذه السورة بالألف و النون دون هدف أو غاية، بل كان هذا تحقيقا للجمال الموسيقي في الفواصل،

---

[1]- ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص369.

[2]- ينظر، عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص85 وغانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 1425هـ/ 2004م، ص256-257.

[3]- ينظر، غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، ص275.

[4]- إبراهيم أنيس، من أسرار العربية،مكتبة الأنجلو المصرية،ط6،1978م، ص234، وينظر، غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص258.

فكأنما كانت رؤوس الآيات قوافي شعرية تطمئن لها الآذان و تجد النفوس متعة في ترددها و توقع هذا التردد)[1] .

ويضرب إبراهيم أنيس لهذه الفكرة مثلا سورة المسد عندما نقرأ فواصلها بغير الوقوف على رؤوس الآيات القرآنية ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)**﴾المسد1-5 ، و عند الوقوف على فواصلها كما يأتي (**و تب، كسب، لهب، الحطب، مسد)**، و ضرب مثلا آخر هو سورة الكوثر ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(3)**﴾الكوثر1-3 .

و قال (بل إن جزم الفعل "**و انحر**" في سورة الكوثر ليؤكد لنا أن الوقوف بالسكون على رؤوس الآيات تتطلبه القراءة القرآنية لأنه يحقق الانسجام الموسيقي)[2]

و قد وضع الزركشي قاعدة (مبنى الفواصل على الوقوف) فقال:(إن مبنى الفواصل[3] على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون، ومنه قوله تعالى ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11)**﴾[سورة الصافات]مع تقدم قوله تعالى﴿**عَذَابٌ وَاصِبٌ (9)**﴾[سورة الصافات]،و﴿ **شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10)**﴾[سورة الصافات]، وكذا﴿ **بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(11)**﴾[سورة القمر]، و﴿ **قَدْ قُدِرَ(12)**﴾[سورة القمر]، وكذا ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(11)**﴾[سورة الرعد]، مع ﴿ **وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ(12)**﴾[سورة الرعد].

إذن الوقف على السكون يشكل معظم الفواصل، حيث بلغ عدد فواصل الوقف على الروي الساكن (5197)من مجموع فواصل القرآن البالغة (6236) وهي نسبة عالية ،ويقول إبراهيم أنيس (ولا نستطيع أن نتصور أن موسيقى الفواصل يتم لها جمالها بغير الوقف على السكون، إذ قد تختلف الحركة الإعرابية في رؤوس الآيات المتوالية اختلافا بعيد المدى)[4].

---

[1]- إبراهيم أنيس، من أسرار العربية،ص227.

[2]- إبراهيم أنيس، على هدى الفواصل القرآنية، ص109

[3]- ينظر، محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص296.

[4]- إبراهيم أنيس، على هدى الفواصل القرآنية، ص109.

ويرى بعضهم أن الوقف على الفواصل قد يوجد بلا سكون[1]، ويكون في الفواصل المطلقة بإطلاق الحركة ومدها، نحو قوله تعالى﴿ **وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ(15)**﴾[سورة الإنسان]، ويكون العدول إلى السكون، عند اختلاف الحركات الإعرابية في آخر الفواصل[2].

و لا يكاد الوقف القرآني يتجه إلى غير الوقف بالسكون إلا في حالات قليلة منها[3]:

1- الوقف على النون المنصوبة بالألف مثل ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3)**﴾ وقد بلغت نسبة الوقف بالألف في آيات القرآن في حدود 12 من مجموع الآيات 76، هاء السكت سبق الحديث عنها مع الحذف.

أما ما كان ساكن الآخر، فالوقف عليه بسكونه من غير أن يحدث في نهاية الكلمة تغييرا صوتيا من أي نوع كان، كما ورد في سورة التكوير، حيث وقعت الفاصلة فعلا ماضيا، اتصلت به تاء التأنيث الساكنة في أربعة عشرة فاصلة نحو(**كورت، انكدرت، سيرت ، عطلت ، حشرت ، سجرت ، زوجت ، سئلت ، قتلت ، نشرت ، كشطت ، سعرت ، أزلفت ، أحضرت**)[التكوير1-14].

كما جاءت في خمس فواصل من سورة الانفطار نحو (**انفطرت ، انتثرت، فجرت، بعثرت ، و أخرت**)الانفطار1-5 ، مثلها في سورة الانشقاق في (**انشقت ، و حقت ، مدت ، و تخلت، وحقت**)الانشقاق1-5 ، و كذا الوقف على الفعل المجزوم في قوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(10)**﴾الضحى/9،10 ، و من ذلك أيضا ما ورد في فواصل سورة محمد ، و التي ينتهي أغلبها بضمير الغائبين المتصل

(**هم**) أو ضمير المخاطبين المتصل (**كم**) و قد بلغت ستة و ثلاثين فاصلة منها (**أعمالهم ، بالهم ، أمثالهم ، أعمالهم ، أقدامكم**).

---

[1]- علي الجندي، صور البديع، فن الأسجاع (بلاغة، نقد، أدب)، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1370هـ/1951م ج1 ، ص196.

[2]- ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[3]- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، 135.

و من الوقف من غير تغيير الوقوف على **(ها)** ضمير المؤنثة الغائبة في قوله تعالى ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5)**﴾الزلزلة1-5 [1] .

و **مجمل القول:**

- قسم العلماء الوقف إلى أربعة أقسام: الوقف التام، الوقف الكافي، الوقف الحسن و الوقف القبيح.

- و أكثر ما يكون في الفواصل الوقف التام .

- أن الوقف على الفواصل سنة بإجماع العلماء، ما عدا فواصل معينة، اختلفوا فيها .

- الوقف بالسكون هو الأصل، لأنه قطع الحركة، و يكون بحذف الحركة، أو حذف الحركة و التنوين معا .

- الوقف على الفواصل يحقق أغراضا منها :

1 . بيان معاني القرآن الكريم .

2 . إبراز موسيقى الفواصل القرآنية.

3 . يتطلبه الترتيل القرآني و لا يتم حسن الترتيل إلا به .

4 . تدبر القارئ ما يقرأ، و إفهام السامع .

2- يظر ، محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ص136، و إبراهيم أنيس، على هدى الفواصل القرآنية، ص109

الفصل الثاني

الدلالة الصوتية

المبحث الأول: مفهوم الدّلالة الصوتية ومظاهرها

المبحث الثاني: صوتيات الدلالة في القرآن الكريم

المبحث الثالث: دلالة الفاصلة القرآنية

تمهيد:

يعدّ الدرس اللغوي على المستوى الدّلالي غاية بقية الدراسات من صوتية وصرفية ونحوية، لأنّ (الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها فقط من خلال فهم المعنى)[1]ولعلّ هذا المستوى أكثر صعوبة وأعظم مشقة، وتحديده ليس بالأمر الهينّ .

المبحث الأول: مفهوم الدلالة الصوتية

للصّوت أثر يكبر في تحديد المعنى، وكلما نُطقت الأصوات نُطقًا صحيحا ساعدت على معرفة المعنى المقصود بدون لبس ولا غموض، سواء كانت هذه الأصوات صوامت أو صوائت. والدلالة الصوتية هي التي تُستمد من طبيعة الأصوات المكونة للكلمة فتؤدي إلى إظهار المعنى.

وقد تتحقق الدلالة الصوتية من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء ولعلّ من مظاهر هذه الدلالة الصوتية النبر"stress"وما نسميه بالنغمة الكلامية "intonation"[2].

وتكون الدلالة الصوتية إمّا ذات دلالة صوتية مطردة، وإما ذات دلالة صوتية غير مطردة. فأما **الدلالة الصوتية المطردة** فهي ما كانت لها دلالة تخضع لنظام معين أو قواعد مضبوطة، فهي التي تعتمد على تغيير مواقع الفونيمات، أي باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ حتى يحدث تعديل أو تغيير في معاني الألفاظ لأنّ كل فونيم مقابل استبدالي لآخر، فتغيره أو استبداله بغيره لا بد أن يعقبه اختلاف في المعنى وقد يكون هذا الاستبدال استبدال حرف بحرف، أو حركة بحركة في الكلمة الواحدة.

وأما **الدلالة الصوتية غير المطردة**فهي تلك الدّلالة التي لا تخضع لنظام معين أو قاعدة مضبوطة، ومن صورها الأصوات الثانوية أو ما يطلق عليها الأصوات فوق التركيبية النّبر والتنغيم وغيرها من الملامح الصوتية التي لا تدخل في تأليف البنية الصوتية للكلمة ولكنها تظهر في الأداء.

---

[1] - صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية- عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري-، منشورات الاختلاف ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1429 هـ/2008 م ، ص 55 .

[2] - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الآنجلو المصرية، ط5، 1984، ص46،47.

ويعدّ **ابن جني** رائدا في دراسته للدلالة الصوتية قبل أن يتوسع فيها علم اللسانيات الحديث حيث خصص لها حيزا كبيرا من الدراسة في كتابه الخصائص وقد عقد فيه خمسة فصول وما اشتهر به كتابه الخصائص هو إبراز لظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ و هو ما سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) سجل فيه أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلاليا لتقاربهما فونولوجيا وتلك خاصية من خصائص اللغة العربية .

كما قدم ابن جني تطبيقات أخرى مست ألفاظا وجد بين حروفها اشتراكا في الصفات الفونولوجية، فأفضى ذلك إلى تقاربهما في الدلالة من ذلك المقابلة بين

(ج ل ف) و(ج ر م) فقالوا :(جلف وجرم) فهذا للقشر، وهذا للقطع، وهما متقاربان معنى، متقاربان لفظا[1].

إن التأليف الصوري للّفظ يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يقابله، وإن كان ذلك صعبا تطبيقه على كل عناصر النظام اللغوي إلا أن ذلك يبقى طرحا جريئا من قبل ابن جني له قيمته العلمية و سبقه المعرفي في عصره .

وتعدّ الدلالة **الصوتية** (اللفظية)عند ابن جني أقوى من الدّلالتين **الصناعية** (الصرفية) و**المعنوية** (النحوية) ولعل سبب هذه القوة يعود إلى معرفتها التي تتوقف على الأصوات المكونة للكلمة(ألا ترى إلى قام دلالة لفظه على مصدره)حيث أنّ الوحدات الصوتية لقام تدلّ على القيام، أي أنّنا وقفنا علىالحدث من خلال لفظ الفعل، وهكذا كلّ فعل بأصواته يؤدّي معنى الحدث.

[1]- ينظر، ابن جني، الخصائص، ص405.

1 – الدلالة اللفظية:

وهي الدلالة المعجمية و دلالة البنية المورفولوجية على الحدث، وقد عدّها ابن جني على رأس الدلالات الثلاثة لأنها (دلالة أساسية تعد جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها و أبنيتها الصرفية)[1].

2 – الدلالة الصناعية:

وهي دلالة بنية (اللفظ المورفولوجية) على الزمن، وهي تلي الدلالة اللفظية لأن اللفظ يحمل صورة الحدث الدلالي المستغرق لحيز زماني فكانت الدلالة الصناعية مع أنها دلالة غير لفظية وإنما يستلزمها اللفظ في حكم الدلالة اللفظية، التي هي صورة تلازم الفعل، فأين كان هو مشاهدا معلوما كان الزمن المقترن به معلوما بالمشاهدة أيضا، من مسموع اللفظ، (إنّما كانت الدّلالة الصّناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنّها صورة يحملها اللفظ)[2]وينظر ابن جني في هذا المجال إلى المصدر على أنه مجال مفتوح على الأزمنة الثلاثة فيقول(وكذلك الضرب و القتل : نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما، ونفس الصيغة تفيد فيهما صلاحهما للأزمنة الثلاثة على ما نقوله في المصادر)[3].

3- الدلالة المعنوية :

يحدد الفعل سمات فاعله الذاتية والانتقائية، الأساسية والعرضية، وذلك من جهة دلالته، ويعرف ذلك بطريق الاستدلال فيتحدد جنس الفاعل، وعدده، وحاله، ليس من الصيغة الفونولوجية للفعل بل من مؤثرات خارجة عن الفعل، ففعل (قعد) يدل على حادث مقترن بزمن ماض، وقد يتعرض مجاله الزمني إلى الاتساع ليشمل زمن الحاضر أو المضارع المستقبل في سياق لغوي يحمل خصائص تركيبية و دلالية و مقامية معينة، أما دلالته على (الفاعل) فهي دلالة إلزام، يقول ابن جني (ألا تراك حين تسمع **(ضرب)** قد عرفت حدثه وزمانه، ثم تنظر فيما بعد، فتقول : هذا فعل و لا بد له من فاعل، فليت شعري من هو ؟ و ما هو ؟ فتبحث حينئذ إلى أن تعلم

---

[1]- فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية- تأصيلية- نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط2، 1417هـ/1996م، ص20

[2]- ابن جني، الخصائص، ص697.

[3]- المصدر نفسه، ص699.

الفاعل من هو وما حاله، من موضع آخر لا من وضع مسموع ضرب، ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كل مذكر يصح منه الفعل مجملا غير مفصّل)[1].

وتبقى دراسة ابن جني أوفى دراسة مقارنة بمن سبقوه، حيث قسم الدلالة إلى أنواع ثلاثة –كما سبقت الإشارة- اللفظية والصناعية والمعنوية، وكل واحد **معها** (مراعى ً مؤ ْثَر إلا أنّه في القوة والضعف على ثلاثة مراتب)[2] وهذا التّقسيم يتقارب مع ما توصّل إليه علماء اللغة المحدثون، فاللفظية عندهم هي الدلالة **الصوتية**، والصناعية تعرف لديهم بالدلالة **الصرفية** وهي التي تختص ببنية الكلمة في حين الدّلالة المعنوية تكون أقرب إلى الدلالة **النحوية.**

وقد تجاوز ابن جني مرحلة البناء و التأسيس إلى مرحلة التأصيل والنظرية، حين تصدّى للدلالة الصّوتية من خلال كتابه الخصائص، فقد تفطن لهذا النوع من الدّلالة وتناولها بالبحث والدّراسة في عدّة أبواب من كتابه مثل **(باب في الدّلالة اللفظية والصناعية والمعنوية)** و**(باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)** و**(باب في الاشتقاق الأكبر)** و**(باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني).**

ويمكن تقسيم الدّلالة الصّوتية عند ابن جني إلى قسمين:

1/ الدلالة الصوتية الطبيعية :

والمقصود بها تلك الدلالة الطبيعية بين الدال والمدلول التي ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية محاكاة وتقليد أصوات الطبيعة في نشأة اللغة وأصلها، وهي نظرية بنيت على أساس وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ و معناه كحكاية الأصوات، مثل القهقهة (حكاية صوت الضحك)، واكتشف العلماء في طائفة من الألفاظ العربية صلة بينها وبين معانيها، وذهبوا على أن العربي بطبيعته كان يربط بين الصوت والمعنى، فيختار لكل لفظ حرفا ذا صفة تشاكل معناه وتناسبه من حيث القوة و الضعف و من ذلك كلمتا **"القضم"** و **"الخضم"** فكلاهما للأكل، ولكنهما اختلفتا في حرف

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ص698.

[2]- المصدر نفسه، ص697.

واحد واختيرت القاف القوية الشديدة للقضم لأنّ من معانيه أكل الصلب اليابس، واختيرت الخاء الرخوة للخضم لأن من معانيه أكل الشيء الرطب، كالقثاء فناسبه الخاء[1].

إن المتأمل في نظرية المحاكاة الطبيعية يراها ترتبط ارتباطا وثيقا بها ذهب إليه ابن جني في أنها محاكاة لصدى المسموعات من عوارض الطبيعة كالريح و الرعد و الماء و أشباه الكائنات الحيوانية[2]، إذ يقول(أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، حنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد)[3].

وقد ذهب مذهبه المتقدمون من العلماء كالخليل و سيبويه، وفي ذلك يقول (اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، و قد نبه عليه الخليل و سيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول و الاعتراف بصحته، قال الخليل :كأنهم توهموافي صوت الجندب استطالة ومدّ فقالوا:"صر"، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : "صرصر")[4]، وعليه يتضح أن فكرة التقابل بين الألفاظ وما تدل عليه من الأحداث هي من ابتكار الخليل و تلميذه سيبويه، غير أنّ ابن جني و من خلال حسّه المرهف، استطاع أن يكشف العلاقة الطبيعية بين الدال و المدلول فيقول (ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه و منهاج ما مثّلاه)[5] فإن كان للخليل وسيبويه فضل السبق في وضع أسس نظرية العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول ، فإنّ ابن جني تسلم المشعل منهما وأكمل البناء بإحكام، فقد جمع قدرا كاف من الأمثلة التي تحاكي بأصواتها مجتمعة أصوات الطبيعة وأحداثها، وتنوّعها، وتوصّل إلى أنّ العرب تشتق من الأصوات كاشتقاقهم حاحيت، وعاعيت، وهاهيت إذا قلت خاء، وعاء، وهاء وهي أصوات الزّجر للحيوان وقولهم : بسملت، وهيللت ، وحوقلت، كل ذلك وأشباهه إنمّا يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات والأمر أوسع[6].

---

[1]- السيوطي ،محمد جلال الدّين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق : محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت،ج1، ص50

[2]- ينظر، عبد السلام المدّي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ص166

[3]- ابن جني، الخصائص، ص76.

[4]- المصدر نفسه، ص407.

[5]- ابن جني، الخصائص، ص407.

[6]- ابن جني، الخصائص، ص415-416.

وتوصل ابن جني إلى أنّ الكثير من هذه اللغة يحاكي بأصواته موجودات الطبيعة و قد عرفت هذه النظرية فيما بعد بنظرية المحاكاة الصّوتية (ONOMOTOPEIA). وتابعت هذه النظرية ظهورها في العصور الحديثة، فتبنى العالم **وتني** ما ذهب إليه ابن جني، إذ رأى (أنّ اللغة نشأت عن طريق محاكاة الإنسان للأصوات الطبيعية التي كان يسمعها حوله)[1].

2/ الدلالة الصوتية التحليلية:

والمقصود بها تلك الدّلالة الصوتية التي تتحقق جراء الإحلال بين الصوامت و الصوائت المختلفة أو ما يعرف بالفونيمات التركيبية، أو تستنبط من خلال مختلف الأداءات الصوتية التي اصطلح عليها بالفونيمات الثانوية باعتبارها ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع معاني الكلام مثلما تشارك فيه الأصوات التركيبية، وذلك مثل النبر و التنغيم و الوقف

3/دلالة الأصوات التركيبية :

يطلق العلماء على الأصوات الصامتة و الأصوات الصائتة الصوت المقطعي الأولي أو الصوت التركيبي و يحوي ما يسمى (بالسواكن و العلل و هي تعد جزئيات صوتية تستخدم في تركيب الحدث الكلامي)[2]، وتنقسم دلالة الأصوات غير التركيبية إلى قسمين:

أ- الدلالة الصوتية للصوامت:

يعتبر ابن جني أن اللغة نشأت محاكاة لأصوات الطبيعة، فلم يكتف ابن جني بحكاية الأصوات المسموعة بل انتقل إلى دراسة الدلالة الصوتية للحرف ومن ثم للحركة، حيث لاحظ أنّ دقّة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار فكأن اختيار الصوت كان مقصودا ليؤدي المعنى المغاير لما يؤديه الصوت الآخر، ومن أمثلة ذلك **(خضم ، قضم)** ، **(صعد ، سعد)** ، **(سد،صد)** ، **(قسم،قصم)** ....

---

[1]- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط2، ص63.

[2]- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1418هـ/1997م، ص219.

يقول في **قضم** و **خضم** (ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف)[1]ولعلّ ابن جني في ذلك قد تجاوز دراسة حكاية الأصوات الطبيعية إلى جانب آخر وهو (إبراز القيمة البيانية للحرف العربي معتمدا في ذلك على مخرجه و صفاته)[2].

فقد اعتمد المعنى على صوت الحرف، فدلالة الفعلين (قضم ، وخضم) مستوحاة من خصائص الصوت، ولأن القاف والخاء يقتربان في المخرج، فالقاف صوت قوي لهوي انفجاري مهموس، والخاء صوت من أقصى الحنك احتكاكي مهموس[3]، فالقاف شديد انفجاري و الخاء رخو احتكاكي إذن فالشدة و الرخاوة هما اللتان حددتا المعنى لدى ابن جني فيقول (فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث)[4]، وعليه فالصلة وثيقة بين القاف الشديدة و الصوت الناشئ عند أكل اليابس، وبين الخاء الرخوة والصوت الناشئ عند أكل الرطب.

كما يعرض ابن جني الفرق في المعنى بين (صعد) و (سعد) فيقول (ومن ذلك قولهم صعد وسعد فجعلوا الصاد – لأنها أقوى في أثر مشاهَد يُرَى، وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك. وجعلوا السين – لضعفها- يظهر و لا يشاهَد حسّا إلا أنّه مع ذلك فيه صعود الجَدّ ، لا صعود الجسم، ألا تراهم يقولون سعيد الجَدّ وهو عالي الجَدّ ، وقد ارتفع أمره، وعلا قدره، فجعلوا الصاد لقوّتها، مع ما يشاهَد من الأفعال المعالجَة المتجشَّمة ، وجعلوا السّين لضعفها، فيما تعرفه النّفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية)[5].

غير أن ابن جني في هذا الموضع لم يبين سبب قوة الصاد و ضعف السين كما فعل في المثال السابق بين (القاف) و (الخاء)لعلّ الصّاد إنّما كانت أقوى من السين لما فيها من إطباق واستعلاء تفتقر إليهما السين، وعلى هذا النحو يعلل الوسيلة و الوصيلة فيقول :(والصاد –كما

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ص 88.

[2]- بوزيد ساسي هادف، الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة حوليات التراث، العدد التاسع، 2009، جامعة مستغانم، الجزائر، ص121.

[3]- ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص74-75.

[4]- ابن جني، الخصائص، ص411.

[5]- ابن جني، الخصائص ، ص413.

ترى- أقوى صوتا من السين، لما فيها من الاستعلاء ..فجعلوا الصّاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسّين لضعفها للمعنى الأضعف)[1] وكذلك في سدّ وصدّ، فدلالة الكلمات في هذه الأمثلة مستوحاة من حرفي الصاد والسين وقد اعتمدت عليهما ولأن (الصاد صوت رخو مهموس، يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق)[2]، فالصاد والسين يتفقان في صفتي الهمس و الرخاوة، غير أنّ الصّاد مطبق والسين منفتح، و الإطباق أشدّ من الانفتاح .

وهكذا استطاع ابن جني بتحليله لما عرضه من أمثلة مما تقارب صوتا ومعنى أن يستجلي وظيفة القيم الخلافية ودلالتها الصوتية في تنويع المعنى الواحد، وأن يتحسّس دلالة صوتية طبيعية تتسرب من الحرف، تنجم من اختلاف الأصوات كصفات الرخاوة والشدة، والهمس والجهر، والإطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال .....

(هذه الصفات أكسبت الحروف قيما تعبيرية و كان العربي قد أدرك ذلك بحسه اللغوي فوظف هذه القيم التعبيرية في محاكاة أصوات الأحداث والمعاني التي تعبر عنها واختار الحرف الأقوى (فيزيولوجيا) ليدل على الحدث الأقوى، وفي ذلك ما يؤكد العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول)[3].

و قد اهتم ابن جني باستقصاء التقارب الصوتي في الألفاظ ذوات المعاني المتقاربة يقول (هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلا مسهوا عليه)[4] ، فقد كشف ابن جني عن أوجه التشابه الصوتي بين هذه الألفاظ على النحو التالي :

أولا :

اتفاق الحرف اتفاقا كليا أو جزئيا ، أما **الاتفاق الكلي** فيقصد به أن تكون الحروف التي تشكل الكلمة متفقة دون النظر إلى ترتيبها، ويتجلى ذلك في باب (الاشتقاق الأكبر) الذي يقوم على نظام التقليبات بأوجهها المختلفة للأصل الواحد نحو : (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل)

---

[1]- المصدر نفسه، ص412.

[2]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص68-69.

[3]- بوزيد ساسي هادف، الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، ص 124.

[4]- ابن جني، الخصائص، ص403.

(م ل ك)[1] وحسب مفهوم الاشتقاق الكبير فإن تقاليب الأصل الواحد يحكمها معنى واحد، وهو أكثر ضروب التصاقب اتساعا لأنه قائم في تقاليب كل ما تآلفت حروفه من الأصول الثلاثية .

أما **الاتفاق الجزئي** فهو أن يشترك اللفظان بأكثر حروفهما لا بجميعها وذلك واضح فيما تداخل من الأصول الثلاثية فيما بينها، والثلاثية والرباعية والخماسية، فيما تقارب من الأصول الثلاثية[2] معنى ولفظا فتداخل (**ضيّاط وضيطار، رخو ورخوذ** _ فالضياط :المتمايل في مشيته، وقيل: الضخم الجنبين ، والضياط : التاجر، والضيطار: العظيم ، وقيل: الضخم اللئيم، والضيطار:التاجر)، فهما متفقان فاء وعينا ، ومختلفان لاما والرخو:الضعيف، و**الرخود**: المتثنى، والتثني عائد إلى معنى الضعف(فهما -كما ترى-شديدا التداخل لفظا، وكذلك هما معنى ً ، وإنّما تركيب(**رخو**) من رخ، وتركيب (**رخود**) من ر خ د، و واو(**رخوذة**)، وهو فعْو َل ْ كعلود و عسود، والفاء والعين من (رخود) متفقتان، لكن لاماهما مختلفتان.

واعتمد ابن جني على حسه اللغوي و خبرته بالحرف العربي صوتا ومخرجا و صفة ليكشف عن هذه الأصول المتقاربة نحو(**أزّ هزّ**) و (**عسف** و **أسف**) و (**حلف**و **حنف**)، يقول في تفسير تقارب (أزّ) و (هزّ) : (ومن ذلك قول الله سبحانه ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83)**﴾[سورة مريم]، أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ ، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك)[3]فالهزّ والأزّ متقاربان في المعنى، وهما أيضا متقاربان في اللّفظ لمجرد اشتراكهما في بعض الحروف .

و يختم ابن جني حديثه عن تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني بتأكيد فكرة أن المضارعة التي أدت إلى التصاقب منشؤها التوحد المخرجي للحرفين المتصاقبين وهذا ينبني عليه أن حروف المخرج الواحد (المؤتلفة) تدل على معان واحدة، أي تتفق في المعنى العام ويعني هذا أن تحديد المعنى العام

---

[1]- ينظر، المصدر نفسه، ص395.

[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص403

[3]- ابن جني، الخصائص ، ص403.

للّفظ يرتبط بتحديد مخارج حروفه[1] فالألفاظ التي تنتمي حروفها إلى مخارج واحدة تشترك في معنى عام واحد .

و**مجمل القول** أنّ للحرف دلالة صوتية طبيعية تمنحه قيمة تعبيرية، وهذه القيمة التعبيرية ذات بعدين معنويين فالأوّل عام يكتسبه الحرف من المخرج الذي يحدده، والثاني خاص يتشكل من الصّفات التي يتحلى بها من همس وجهر، وإطباق وانفتاح ، واستعلاء واستفال، وشدة ورخاوة .

ب-اللاّلة الصوّتية للصّوائت:

تؤثر الحركات الطويلة منها و القصيرة في تحديد المعنى وتنويعه، فهي ذات وظيفة فونيمية أقرب إلى وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات، فالحركات لها دلالة صوتية، إذ الحركة صوت في الكلمة و جزء لا يتجزأ منها، فإذا كان اختلاف الصوامت بين كلمتين يؤدي إلى اختلاف الدلالة بينهما، فإن اختلاف الحركات بين كلمتين يؤدي النتيجة نفسها .

وقد فطن ابن جني إلى دور الحركات في تغيير المعنى على خلاف القدماء الذين أغفلوا دور الحركات واهتموا بالصوامت (الحروف) كما أنّهم أفاضوا في الحديث عن الصوائت الطويلة دون القصيرة لوضوح رموز الطويلة في الكتابة يقول ابن جني في باب الدلالة اللّفظية (قولهم للسلم مرقاة "بكسر الميم" والدرجة مَرقاة "بفتح الميم" فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي، وكسر الميم مما ينقل و يعتمد عليه و به كالمطرقة، والمئزر والمنجل ... وفتحه ميم مرقاة تدل على أنه مستقر في موضعه كالمنارة و المثابة)[2].

فابن جني قد عالج المقابل الاستبدالي، مبينا وظيفته الدلالية، فالإحلال بين الصوائت (الحركات) لا يختلف كثيرا في التأثير في المعاني وتغييرها عن الإحلال بين الصوامت (الحروف)، ويؤكد **تمام حسان** على دور الحركات، مبرزا وظيفتها فيقول (أنها تتمثل في اعتبارها مناطا لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة فالفرق بين قَتل وقُتل وقَتيل وقتول "

---

[1]- ينظر، بوزيد هادف، الدلالة الصوتية عند ابن جني ، ص113.

[2]- ابن جني، الخصائص، ص699.

وهلم جرا من مشتقات (ق ت ل) فرق يأتي في تنوع حروف العلة لا الحروف الصحيحة ومن هنا تتحمّل حروف العلّة بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعية الكمية(الشديد والمدّ) أخطر الوظائف في تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية)[1]. فالحركات هي وحدات صوتية لها وظيفة معينة في التركيب الصوتي لأنها جزء أساسي منه .

وعليه فإنّ العلاقة بين الحركات ودلالة الكلمات علاقة طبيعية، فالكسرة لقوّتها إذا ما قيست بالفتحة اختيرت للدّلالة الأقوى، فقالوا (**مرقاة**)بالكسر للسّلم و(**مَرقاة**) بالفتح لدرجة منه، ولا شكّ أنّ الكلّ أقوى من الجزء، وهكذا تبدو الحركة قيمة استبدالية ذات وظيفة دلالية طبيعية .

فقد تخرج بعض التراكيب اللغوية عن المألوف، بل عن الحدود التي رسمتها الأعراف والتقاليد اللغوية من أجل أن تظهر جمالية على المستوى الصّوتي. فتظهر بذلك أهمية العنصر الصوتي و تغيير الحركة في تحديد الدلالة نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)**﴾[سورة فاطر] ،فجاءت الضمة على العلماء وهي وحدة صوتية لتحديد الفاعل الذي يقوم بفعل الخشية، والفتحة وحدة صوتية لتحديد من تقع عليه الخشية .

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص72.

المبحث الثّاني:صوتيات الدّلالة في القرآن الكريم

قد يتعذّر حصر مظاهر الدّلالة الصّوتية في القرآن بجميع الأبعاد، وقد يطول الوقوف عند استقصائها، لأنّ من فضيلة القرآن الصّوتية أن استوعب جميع مظاهر الدّلالة في مجالاتها الواسعة، ونقف من مظاهر الدّلالة الصّوتية :

1 - النبر:

تباينت الآراء حول موضوع النبر، وتعددت طرق تحديده ومواضعه في المفردات والتراكيب، ومصطلح النبر في المفهوم العام يدل على الإبراز، أما في الدراسة اللسانية بعامة والصوتية بخاصة يعني إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق بها، فهو عبارة عن وضوح نسبي يتميز به صوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط[1].

إذن فالنبر هو أحد التّلوينات الصوتية التركيبية، يوحي عموم مفهومه بالظهور، وقد تداخل مفهومه بمصطلح الهمز من حيث المفهوم و النطق و الكمية الصوتية .

وقد اختلف القدماء والمحدثون في تحديد مفهوم النبر، حيث وصف ابن سينا طريقة نطق الهمز بقوله (حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير)[2]، فالهمز المقصود هنا هو النبر باعتبار أنّ الدّارسين القدامى لم يفرقوا بينهما .

أما الخليل فاعتبر الهمزة صائتا هوائيا مخرجه الجوف، فلا تقع في مدرج من مدارج اللّسان أو الحلق أو اللهاة فقال(الهمزة في الهواء فلم يكن لها حَيّز تنسب إليه إلا الجوف)[3] .

أما علماء اللغة و القراءات القرآنية فالنبر عندهم يدل على ضغط المتكلم على حرف معين، يقول **مكي القيسي** (فيجب على القارئ أن لا يتكلف في الهمز ما يقبح من ظهور شدة بنبرة الصوت وأن يلفظ بالهمز مع النفس لفظا سهلا، فقد قال أبو بكر ابن عياش – صاحب عاصم – (كان إمامنا يهمز مؤصدة فاشتهى أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها يريد أنه كان يتعسف في

---

[1]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1990م، ص160.

[2]- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطّيان، ويحي مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام وأحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1403هـ/ 1983، ص72.

[3]- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين، ص10.

اللفظ بالهمز، ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها)[1]فالنبرة يراد بها الشّدة والضّغط على الهمزة والنبر يعني الهمز والهمز يعني الضغط[2]، ومنه الهمز في الكلام لأن يضغط .... وقال **ابن الجزري** في الهمزة (وهي لا صورة لها في اللفظ وإنما تعلم بالشكل والمشافهة، والناس يتفاضلون في النطق بها على مقدار غلظ طباعهم ورقتها فمنهم من يلفظ بها لفظا تستبشعه الأسماع وتنبو عنه القلوب ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروه معيب من أخذ به، وروي عن الأعمش أنه كان يكره شدة النبرة يعني الهمز في القراءة .... و الذي ينبغي أن القارئ إذا همز أن يأتي بالهمزة سلسلة في النطق، سهلة في الذوق من غير لكز ولا ابتهار لها ولا خروج بها عن حدها ... ولا يقدر القارئ عليه إلا برياضة شديدة، كما كان حمزة يقول: إنّما الهمز رياضة وقال أبان ابن تغلب: فإذا أحسن الرجل سلّها، أي تركها[3] .

و هذا التصور لا يختلف عن التصور اللساني حيث يصف المحدثون النبر بأنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات و المقاطع في الكلام، والمقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة[4]، و في هذا إشارة إلى وجود فرق بين الهمز والنبر، بإضافة الارتكاز للنبر واتفاقهما في صفة الضغط، وهناك من يرى أن كلّ اللغات الإنسانية نبرية مع اختلاف خصائص النطق و درجات النبر (لا تكاد تخلو منه أي لغة)[5]، وعليه فإن مصطلح النبر عند القدماء يعني الهمز، أما المحدثون فوظفوا مصطلح النبر و اعتبروا الهمز جزءً منه.

كما أطلق علماء التجويد لفظ النبرة عن القلقلة، يقول **القيسي**:(**القلقلة** وهي خمسة أحرف، يجمعها هجاء قولك: جد بطق وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه **النبرة** عند الوقف عليهن، وإرادة إتمام النطق بهن، فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن،

---

[1]- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمّار، عمان، الأردن، ط3، 1417هـ/ 1996م،ص120

[2]- ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ب ر)، ج5، ص189. مادة (هـ م ز)،ج5،ص426.

[3]- ابن الجزري،شمس الدّين أبو الخير محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق:غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، 1421هـ/ 2001م، ص115-116

[4]- ينظر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص160

[5]- مهدي المخزومي،مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنّحو، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1958، ص180 .

وقيل أصل هذه الصفة للقاف، لأنه حرف ضغط عن موضعه فلا يقدر على الوقف عليه، إلا مع صوت زائد لشدة ضغطه و استعلائه ويشبهه في ذلك أخواته المذكورات معه)[1] .

وهذا ما ذهب إليه أيضا ابن الجزري حين قال (ويقال **القلقلة** خمس يجمعها قولك قطب جد، وأضاف بعضهم إليها الهمزة لأنها محصورة شديدة وإنّما لم يذكرها الجمهور لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارقت أخواتها ولما يعتريها من الإعلال وذكر سيبويه معها التاء مع أنّها المهموسة وذكر لها نفخا وهو قوي في الاختبار، وذكر المبرّد منها الكاف إلا أنّه جعلها دون القاف، قال: وهذه القلقلة بعضها أشد من بعض وسميت هذه الحروف بذلك لأنها إذا سكنت ضعفت فاشتبهت بغيرها فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه **النبرة** حال سكونهن في الوقت وغيره وإلى زيادة إتمام النطق بهن فذلك الصوت في سكونهن أبين منه في حركتهن . وهو في الوقف أمكن، وأصل هذه الحروف القاف لأنه لا يقدر أن يؤتى به ساكنا إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه)[2].

وبناء عل ما سبق فإن الحرص على تحقيق هذه الفونيمات (ق ، ط ، ب ، ج ، د)والخشية من اشتباهها بغيرها يتم الضغط عليها، وأنّ المبالغة في تحقيقها يولد صوتا يشبه النبرة (الهمزة) بل إن الضغط والمبالغة في تحقيق حروف المدّ يؤدي أيضا إلى ظهور همزة أو يقود إلى تحقيقها وفي هذا يقول ابن جني(بما لم يكتف مَن تقوى لغته، ويتعالى تمكينه وجهارته، بما تجشّمه من مدّ الألف في هذا الموضع، دون أن يطغى به، ويتخطى به اعتماده ووطؤه، إلى أن يبدل من هذه الألف همزة، فيحمّ لها الحركة التي كان كلفا بها، ومصانعا بطول المدة عنها فيقول: شأبة ودأبة ...)[3]، فابن جني يعتبر المبالغة في تطويل الحرف و مده تقود إلى الهمزة .

وإذا كانت هذه النصوص مجتمعة تعتبر النبر المعادل الاصطلاحي للشّدة و الضّغط على الهمزة ، فإن مطلق الهمز قد يعتبر كذلك نبرا ، فقد روي عن الأعمش: أنه كان يكره شدة النبر يعني الهمز في القراءة[4] .

---

[1]- القيسي، الرعاية لتجويد القراءة ،ص124

[2]-ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1 ، ص203.

[3]- ابن جني، الخصائص، ص717.

[4]- ابن الجزري ، التمهيد في علم التجويد، ص253

فالنبر عند هؤلاء يعني الهمز ، و الهمز – بحسب ابن منظور- الضغط ، و منه الهمز في الكلام لأن يضغط ...[1] ويضيف ابن منظور : وجاء عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا، نبروا[2]، ويقول:لما حجّ المهدي قدم الكسائي يصلي بالمدينة فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه فقالوا: تنبر في مسجد رسول الله – صلى الله عليه و سلم – بالقرآن ...وقيل للرسول – صلى الله عليه و سلم – يا نبيء الله ! فقال له: لا تنبر اسمي أي لا تهمز[3] .

فالهمز هو ظاهرة عامة باعتباره نبرا لا يختص بفونيم دون غيره، بل كلّما ضغط أي نبر نشأ لأي سبب من الأسباب، ولعل الدكتور عبد الصبور شاهين أقر بذلك حين قال (إلّا ملاحظتنا عن النبر و علاقته بالهمز تبدو ذات أهمية بالغة، حتى لنوشك ابتداء أن نقرر هنا أن النبر كان يدور مع الهمزة، في الكلمات المهموزة، سواء أبدأ بها المقطع المنبور كما في أخذ، أم انتهى بها كما في "ثأر" و"يأخذ" وربما كان وجود رمز الهمزة في مثل هذه الكلمات إشارة للناطق المبتدئ أن يضغط على المقطع الذي يحتويه حفاظا على وجود هذا الصوت المتميز، واستيفاء لوظيفة صوتية سياقية (فونولوجية))[4].

فالنبر يعد فونيما باعتبار أنّ أي خطأ في النطق بتغيير موقع النبر يؤدي إلى تغيير المعنى لأنه (قوة تلفظ نسبيته تعطي للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة ويجب التنبيه إلى حقيقة هامة، وهي أن النبر لا يقع على الصوت الصامت أبدا إذ هو مقصور على الصوت الصائت)[5] .

غير أن الصامت لا يمكن نطقه من غير صائت، كما لا يمكن نطق الصائت من غير صامت .

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ه م ز).

[2]- المصدر نفسه، مادة (ن ب ر)

[3] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نبر)

[4]- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص28

[5]- أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1418ه/ 1997م، ص357

2- وظائف النبر:

النبر هو إشباع مقطع من المقاطع نطقا بالضغط والارتكاز عليه بحيث يكون أوضح مقارنة بالمقاطع الأخرى في الصيغة الواحدة أو التركيب الواحد، فهو وضوح يلحق صوتا أو مقطعا من المقاطع، مما يجعله متميزا عن غيره من بقية المقاطع إذ حين ينطق بالمقطع المنبور نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، فتنشط عضلات الرئتين نشاطا كبيرا كما تقوي حركة الوترين الصوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمح بتسرب أقل مقدار من الهواء فتضم لذلك سعة الذبذبات، ويترتب عن ذلك أن يصبح الصوت عاليا وواضحا في السّمع[1]، وبذلك يعتبر النّبر سمة صوتية وظيفية لها قيمةدلالية في التوجيه باعتبار أنّ الصّوت له وظيفة في تشكيل الدلالة سواء كان صامتا أو صائتا .

كما يؤدي النبر وظيفة صوتية إلى جانب الوظيفة الدلالية، فهو أحد الملامح المتميزة أوالتنوعات الصوتية التي تنوع الدلالة، ورغم أنّ القرّاء عموما لم يحددوا وظائف النبر إلا أن استقراء الدّراسات القرآنية القديمة والجديدة، ومحاولة تجميع الإشارات الواردة فيها وتصنيفها[2] أتاح المجال للدارسين أن يحددوا وظائف النبر .

أولا/الوظيفة الصرفية:

يقول مالمبرج (تختلف القواعد التي تحدد موضع النبر في الكلمات (أو المجموعات) اختلافا بينيا بحسب اللغات المختلفة، وتنتمي اللغة الفرنسية إلى اللغات التي يكون فيها النبر ثابتا، أي أنّ موضع النبر يمكن أن يثبت في كل كلماتها ثباتا نهائيا، ويتحدد تلقائيا بواسطة البنية الأصواتية للمجموعة، ففي الفرنسية يقع هذا النبر دائما على المقطع الأخير ... وفي اللغات الأخرى فإن مركز النبر قد يثبت بكيفية مختلفة... واللغة الانجليزية هي مثال جيد للغة ذات النبر الحر، فإذا نطقنا كلمة IMPORT بنبر زفيري EXPIRATORY على المقطع الأول، فهي تكون اسما (وتعني استيراد) وإذا ما وضعنا النبر على المقطع الثاني، فإنّ الكلمة تكون فعلا وتعني (استورد) وفي اللغة الاسبانية تعني كلمة CANTO بنبر المقطع الأول: أغني بينما

---

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص153

[2]- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج2، ص70

تعني CANTO بنبر على المقطع الثاني:يغني ... ويكون موضع النبر في اللغة الروسية أيضا حرا جدا ويتغير – غالبا- من شكل لآخر في المثال، بحيث تسمى الكلمة المنبورة في مقطعها الأخير OXYTON بينما تسمى الكلمة المنبورة في مقطعها ما قبل الأخيرPAROXYTON،بينما تسمى الكلمة PROPAROXYTON عندما يكون المقطع الثالث بدء من النهاية منبورا)[1].

أما بخصوص اللغة العربية فقد تضاربت الآراء حول تصنيفها في إطار اللغات ذات النبر الثابت الذي يجعلها قريبة من اللغات ذات النبر الثابت (وتصلح العربية و الانجليزية والروسية مثالا للغات التي تنتمي إلى مجموعة النبر الحر)[2]، ويعكس هذا التضارب صعوبة تصنيف اللغة العربية نتيجة ما يعرفه نظامها النبري من خصائص لا تخلو من تعقيد، يقول الدكتور أحمد مختار عمر (ومعظم أمثلة النبر في اللغة العربية تخضع لقاعدة تثبت مكانه في المقطع المعين من الكلمة)[3]، فرغم أنّ خصائص نبر العربية يجعلها قريبة من اللغات ذات النبر الثابت –كما سبق الإشارة إليه – غير أن طبيعتها الاشتقاقية تفرض نوعا من العلاقة بين الصرف والنبر ولأن (طبيعة الصياغة العربية للكلمات قد مكنت الصرفيين العرب من أن يعبروا تعبيرا ذكيا عن قواعد هذه الصياغة فأوجدوا للكلمات العربية صيغا صرفية وموازين صرفية فتتفق صيغة الكلمة وميزانها أحيانا كما في "ضرب" وتختلف الصيغة عن الميزان أحيانا أخرى كما في "استقامة" ولكنهما يقفان من اللفظ دائما موقف الشبح من الجسم أو القالب من العجينة التي تصب فيه، ولهذا السبب بالذات أصبح من الممكن في دراسة اللغة العربية – دون غيرها من اللغات على ما يبدو – أن نتكلم عن نبر الصيغ الصّرفية و نكتفي به عن دراسة نبر الكلمات أي الأمثلة، ومن هنا يكون النبر على مستوى الصيغة و الكلمة ذا وظيفة صرفية هي تقديم القيم الخلافية التي تفرق مع الكمية بين معنى صرفي ومعنى صرفي آخر ويمكن بواسطتهما مثلا أن نفرق بين طوائف من الصيغ مثل "فَعل /فَعّل /

---

[1] - Malmberg.B ;phonetics : p81-82

[2] - مصلوح، سعد عبد العزيزدراسة السّمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ، عالم الكتب، دط، 1420هـ/ 2000م، ص238

[3] - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص375

فاعل / فعيل" حيث يفرق بين الكلمات الأربع بالكمية وبين الثلاث الأولى و بين الرابعة بالنبر فيقع النبر في الكلمات الثلاث الأولى على المقطع الأول و في الرابعة على الثاني .

و مع ذلك يحسن في دراسة النبر ألا نبنيه على نظام الصيغ و أن نعدل عن ذلك إلى بنائه على ترتيب المقاطع في الصيغ لأن عدد المقاطع ...أقلّ بكثير جدا من عدد الصيغ الصرفية فيؤدي استعمال المقاطع في تحديد قواعد النبر إلى أن يكون عدد القواعد قليلا و أن يكون الكلام فيها مختصرا)[1] .

وعليه فإن النبر في العربية يرتبط بالصيغ الصرفية، فينتقل من موقع إلى آخر تبعا للصيغة الصرفية يقول تمام حسان (والواقع أن النبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصرفي لا من وظيفة المثال، فنحن إذا تأملنا كلمة " فاعل " نجد أن الفاء أوضح أصواتها لوقوع النبر عليها باعتبار هذه الصيغة ميزانا صرفيا نجد أن كل ما جاء على مثاله يقع عليه النبر بنفس الطريقة مثل : قاتل ، حابس ، ناقل ، و عازل ، و شاغل ، و عازم ، و خارق ، حتى الأمر من صيغة الفاعل : كجاهد ، سافر ، تقع في نموذج هذا الوزن فتلقى النبر على فاء الكلمة فيها ، و مثل ذلك أن صيغة مفعول و كل ما جاء على مثالها يقع النبر على عين الكلمة فيها، وما جاء على وزن مستفعل يقع النبر فيه على التاء و هلم جرا، ومن هنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن النبر في الكلمات العربية موقعية تشكيلية و صرفية في نفس الوقت)[2] .

ثانيا/ الوظيفة التعبيرية:

يسهم نبر أو المركب في إبراز كلمة معينة فيهما فتشكل البؤرة، وهي التي تتضمن المقطع البارز إيقاعيا الذي يقترن به نبر العلو الموسيقي فتتأكد أهميتها عند المتلقي، وهذا البروز لا تتحكم فيه قواعد النبر بمفردها بل تتحكم فيه البنية التنغيمية بعامة ، و نبر العلو الموسيقي بخاصة [3]، ومن ثمة يمكن لنبر الجملة أن يحدد البؤرة أي الخبر الهام أو الجديد في الجملة، وفيما يلي نقدم بعض الآيات التي تحدد جليا هذه الوظيفة، وهي اختلاف تأويل بعض الآيات :

---

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص171

[2]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص194-195

[3]- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية،ج2، ص75

1 - ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ** ﴾[هود/42]، وقد تمّ تمديد فتحة المقطع /**نـــ** / فصارت ألفا لأن تمثل نواة المقطع الحامل لنبر العلو الموسيقي، فصارت بؤرة بحسب هذه القراءة[1] .

2 - ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ** ﴾ [هود/42]، تمثل كلمة (نادى) البؤرة .

3 - ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ** ﴾[هود/42]، في هذه الحالة تصبح كلمة (نوح) هي البؤرة

وفي هذه الأمثلة يبرز المقطع الحامل لنبر العلو الموسيقي(/ **ن**-/ في (أ)، و/ **د - -** / في (ب)، و/**ح** / في الكلمة (البؤرة المراد تأكيدها لدى السّامع .

ثالثا/ الوظيفة الإيقاعية:

اتخذت بعض الدّراسات القرآن الكريم مجالا يبرز الوظيفة الإيقاعية للنبر، حيث اعتبر عبد الصبور شاهين أن النبر وظيفة نطقية (إيقاعية) تتصل بنظام أداء الكلام أي بتوقيعات المتكلم، الذي يقسم الحدث المنطوق إلى أقسام ترتبط بأهمية المقاطع التي يؤديها من ناحية، وبإيقاع تنفسه الطبيعي من ناحية أخرى، فإذا قال يتحدث لجماعة من الشباب: إنما أدعوكم إلى التضحية والفداء، لا إلى التقاعس والاستخذاء تصورنا لإلقائه هذه العبارات إيقاعا يبرز الكلمات التي تعتبر مفاتيح للمعنى المراد و هي (التضحية، والفداء، والتقاعس، والاستخذاء)، ويتم إبراز هذه الكلمات بالضغط على المقاطع : (**حـــ**) من الكلمة الأول، و(**داء**) من الثانية، و(**فـــ**) من الثالثة و(ذا) من الرابعة، والضغط على هذه المقاطع يقوم بمهمتين أساسيتين في الكلام هما : النبر الخاص بكل كلمة على حدة، والإيقاع الخاص بالأداء الملم للحديث، والذي يساعد على كماله تساوي المجموعتين: التضحية والفداء/ التقاعس والاستخذاء من جانب، وتشابه النهايتين فيهما في شكل موسيقي هو السجع، من جانب آخر)[2] .

وقد استند عبد الصبور شاهين على سور القرآن الكريم المكية، ذات الآيات القصار المتساوية في التكوين، التي يتحقق فيها عنصر الإيقاع بعدما فرق بين النبر والإيقاع قائلا:(فالإيقاع

---

[1]قراءة شاذة لقوله تعالى (**ونادى نوح ابنه**) نقلا عن : ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، تحقيق:علي النّجدي ناصف، عبد الحليم النّجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف، القاهرة، دط، 1415هـ/ 1994م، ج1،ص322

[2]- مالمبرج، برتيل، علم الأصوات، تعريب ودراسة:عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1984م، ص198-199 .

عنصر يختص بالجمل، ولا يرتكز على مقطع أو مجموعة معينة، على حين أنّ النّبر يختص بالكلمة، أي بالمجموعة الأصواتية، ويترتكز على مقطع بذاته منها طبقا لنظام خاص بكل لغة على حدة .....واقرأ معي هذه الآيات الكريمة﴿**الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ(3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ(5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(6)**﴾[سورة الرحمن]، لتجد أن تساوي التكوين في الآيات قد أبرز عنصر الإيقاع إبرازا مدهشا وهو أمر أساسي في بناء القرآن المكي في الغالب[1] .

ونجد تمام حسان من جهته يحاول أن يبرز الوظيفة الإيقاعية للنبر من خلال التشابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات الفاصلة بين النبرات و ذلك بقوله (إذا تأملنا كلاما متصلا لاحظنا تشابه المسافات بين نبر و نبر أو تقارب الشبه بينهما، فقد يكون بين النبرين مقطع واحد أو مقطعان أو ثلاثة على أكثر تقدير، دون أن يقع النبر على أحد هذه الثلاثة ثم إنّ النبرين المتواليين قد يكونان من قبيل النبر الأولي و قد يكون أحدهما ثانويا، وهذا التشابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات يمنح الأذن إحساسا بالإيقاع)[2] .

وعليه يصل تمام حسان على (أنّ النّبر الأولي مطلب صرفي مسرحه الكلمة المفردة ، ولكن النبر الثانوي مطلب إيقاعي يتحقق في إحدى بيئتين أولهما الكلمة التي طالت بنيتها حتى احتاج النطق بها إلى إيجاد توازن صوتي بين أجزائها ، و الثانية بيئة السياق التي تدعو الحاجة فيه إلى الإيقاع بسبب ما يعرض له من إرباك نبر الكلمات بسبب اللواحق والحروف والأدوات التي تعرض في السياق ..... فالوزن في العربية للشعر و التوازن في الإيقاع للنثر، والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون)[3] .

كما لاحظ **تمام حسان**[4]أنّ الوزن والتوازن كليهما من صور الإيقاع وهما أيضا من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالا للفن والجمال، أما الوزن فبحسبك أن تتأمل ما يمنحه من الجمال للشعر والموسيقى ونحوهما، وأما التوازن فيكفي أن تنصت إلى صوت قارئ مجيد يرتل القرآن

---

[1]- المرجع نفسه، ص99

[2]- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص266-277

[3]- المرجع نفسه، ص268-269

[4]- ينظر، المرجع نفسه .

الكريم (ولا أقصد ترتيل التطريب بل الترتيل بدون تطريب) وسترى عندئذ أن ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحيانا جمال الوزن.

وانظر كذلك إلى الكثير من أساليب الترتيل – و بخاصة ما بني منها على قصار الجمل – و سوف ترى لها جاذبية خاصة تجتذب إليها انتباهك وتمنح أذنك من المتعة ونفسك من الارتياح ما لا تجده في بعض الشعر والغناء.

وكلما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها العكس صحيح، بمعنى أن هذه الكميات بين نبر وآخر إذا تباينت ولم تتقارب أحس ّ السـ ّامع كأنّ المتكلم يتعثّر في مشيته، بل أنّ المتكلم نفسه لا بد أن يحس هذا الإحساس، أما أن هذا التقارب وذاك الانتظام فهو الذي تجده في إيقاع الأسلوب القرآني كما يتضح مما يلي من الشواهد :

أ- ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)**﴾[سورةالبقرة] .

ب- ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ**﴾[سورة البقرة/ 22] .

ج- ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)**﴾آل عمران14 .....بين النبر الأول والثاني (في الآية الأولى) مقطع واحد هو (لـ َ) وبين الثاني والثالث اثنان هما (يب) وبين هذا والذي بعده اثنان هما (نَ السـ) وبين النبر التالي مقطع واحد هو (ء) وهكذا يستمر الفارق في هذه الحدود فيكون الإيقاع، حلول مثل هذا التقطيع في بقية الآيات السابقة وستعلم عندئذ أن المقصود الإيقاع ليس هو الوزن المحكم وإنما هو التوازن الناشئ عند تقارب الشبه بين المسافات الفاصلة بين كل نبر ونبر ثم ترى من بعد أنّ هذا التوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب وسبب قوي من أسباب ارتياح النفس له واحتفائها به [1].

إنّ للنّبر إذن وظيفة إيقاعية واضحة، وهذه الوظيفة أضحت جلية تغلب على باقي وظائف النبر العربي، ولعل ّ بروكلمان قد أحس بشيء من هذا عندما قال:(في اللغة العربية القديمة يدخل

[1]- تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص272

نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنّه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدّمتها، حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإنّ النّبر يقع على المقطع الأول منها)[1]

إنّ الإيقاع في اللغة العربية يتجاوز وظيفة النبر إلى كونه طبيعة وسمة غالبة على مظاهر اللغة[2] .

وأخيرا استقر البحث لدينا أن الدراسات القرآنية القديمة ليست خالية خلوا مطلقا من الحديث عن قضايا النبر، وأنّ مصطلح **نبر** يعادل اصطلاحيا – لدى القراء-الشّدة و الضّغط على الهمزة، كما قد يدل على مطلق الهمز أو على القلقلة .

كما أفضى البحث إلى إثبات سبق الفلاسفة العرب القدامى في إرساء القواعد الأولى للنبر في العربية، وقد انطلق بعض المحدثين أمثال إبراهيم أنيس وتمّام حسّان، من أداء القرّاء للقرآن الكريم في تقعيد النبر العربي، فكانت دراستهما المصدر الذي اعتمده جل الدارسين العرب في دراسة النبر .

ولا شك أن هذه الاشراقات الواردة في الدراسات القرآنية، التراثية منها والحديثة ستكشف عن علاقة النبر و دوره بالفاصلة القرآنية .

3/ أنماط النبر:

يرتبط النبر في اللغة العربية بمقاطع محددة، غير أنه يتخذ أنماطا متعددة يمكن إبرازها انطلاقا من الدراسات القرآنية بالاستعانة بكتب الفلاسفة بما فيها كتب الموسيقى والخطابة .

وقد خلص عبد الصبور شاهين بالقول (وقد كان النبر يأخذ في ألسنة قبائل العرب صورا مختلفة، منها الهمزة، ومنها طول الحركات، ومنها تضعيف الأصوات[3]، وعليه سيعتمد البحث الأنماط النبرية في القراءات القرآنية .

---

[1]- كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، السعودية دط، 1397هـ/ 1977م، ص45.

[2]- ينظر، أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية-دراسة لسانية في الصّوتاة الإيقاعية- ج2، ص80

[3]- عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، دط،1400هـ/1980م، ص17

أ- النبر الهمزي:

لقد ارتبط النبر بالهمز –كما سبق الذكر –كقول ابن منظور : (النبر بالكلام هو الهمز، وهذا الربط بين النبر والهمز يحيلنا إلى مفهوم الحرف في الدراسات الصوتية القديمة فهو يدل على صامت يعقبه مصوت (ص + مص)، والحروف المصوتة هي المصوتات الطويلة[1] .

إذن فبعض ظواهر الهمز الواردة في القراءات القرآنية تشكل نمطا نبريا بحيث يروي ابن خالويه عن أبي مجاهد أنّ عمرا بن عبيد قرأ " **إنس ولا جأن** "بالهمز فلمّا سلّم قال له أبو زيد: لم همزت؟ قال: فررت من اجتماع الساكنين.

وقد تبلورت ظاهرة الهمز أكثر عند ابن جني حيث أعطاها تفسيرين آخرين:

الأول: قالوا(أرى ما ورد عنهم من همز الألف الساكنة في بأز وسأق وتأبّل ونحو ذلك إنما هو عن تطرق وصنعة، وليس اعتباطا هكذا من غير مُسكة، وذلك أنه قد ثبت عندنا من عدة أوجه أن الحركة إذا جاورت الحرف الساكن فكثيرا ما تجريها العرب مجراها فيه، فيصير لجواره إياها كأنه محرك بها، فإذا كان كذلك فكأن فتحة باء باز إنما هي في نفس الألف فالألف لذلك وعلى هذا التنزيل كأنها محركة وإذا تحرّكت الألف انقلبت همزة)[2].

لقد لاحظ ابن جني أنّ الظاهرة ليست اعتباطية إنّما هي تطرق وصنعة بل إنها لغة[3]، وينبغي أن ينقاس عليها، وحكى أبو العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَأَنٌّ(39)** ﴾[سورة الرحمن] فظننت أنّه قد لحن، إلى أن سمعت العرب تقول تأبّه، ودأبة....[4] .

الثاني:عندما اعتبر الهمز بدلا من المدّة، وذلك في سياق حديثه عن قوة مطل الألف قياسا إلى الياء والواو، وذلك في باب في مطل الحروف (وربما لم يكتف من تقوى لغته، ويتعالى تمكينه وجهارته، بما تجشمه من مد الألف في هذا الموضع ...إلى أن يبدل الألف همزة،

---

[1]- ينظر، الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص37

[2]- ابن جني، الخصائص، ص731.

[3]- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط،ج1 ، ص151

[4]- ابن جني، الخصائص، ص731

فيحملها الحركة التي كان كلفا بها، ومصانعا بطول المدة عنها، فيقول : شأبة، ودأبة، قال كثير :

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فاسوأدت

وهذا الهمز الذي تراه أمرا يخص الألف دون أختيها[1] .

يرى ابن جني أن بعض العرب تبدل الألف همزة وذلك مبالغة منها في تقوية لغتها بمعنى أنها تبالغ في المدّ فتحول الألف همزة، وقد وضح ابن جني ذلك أيضا في كتابه المحتسب بقوله:(ومن ذلك قراءة أيوب السختياني: ولا الضألين بالهمز)[2] .

فالهمز جاء عوضا عن المدّ ولكن المبالغة فيه هي التي حركت الألف فأصبح همزا ولعل في هذا تفسير لعلاقة الهمز بالنّبر بأنّه موضع من مواضعه في تلاوة القرآن، كالوقوف على همزة مسبوقة بحرف مدّ أو لين نحو: سمآء، دكّآء، شَيء، السَّوء ...ويستثنى من هذا الوقوف على همزة منونة تنوينا بالفتح، فإنّ هذا النوع لا يوقف فيه على الهمزة بالسّكون نحو: مريئا. وتعرف كيفية النّبر عمليّا بالأخذ من أفواه المشايخ المتقنين أو – على الأقل – بالاستماع لتلاواتهم .

ب – نبر الطول :

يرتبط النبر والتنغيم أساسا بعملية الأداء الشفهي، لذلك تتداخل حدودهما فيدل كل منهما على الآخر، وهذا ما يلمسه كل قارئ لنصوص ابن سينا المتعلقة بالنبر، حين يعرف النبرات (هيئات في النغم مدية، غير حرفية، يبتدئ بها تارة و تتخلل الكلام تارة أخرى، وتعقب النّهاية تارة، ولربما تكثر في الكلام وربما تقل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربما كانت مطلقة للإشباع ولتعريف القطع، ولإمهال السّامع للتصور ولتفخيم الكلام)[3] .

يسوق ابن سينا معنيين للنبر – في هذا النص-فالأول يقصد به مدّ المقاطع أو أجزاء من الكلمة أو القول، وفي هذه الحالة يمكن أن يقع في أول الكلام أو يتخلله أو في نهايته، ويقوم بوظائف متعدّدة، فإما أن يشير إلى غرض ما لتحقيق غرض قصدي .

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ص731.

[2]- ابن جني، المحتسب، ص46

[3]- ابن سينا ، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلّق عليه: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم، بيروت لبنان، دط، دت، ص198

أما المعنى الثاني بخلاف الأول حيث يقصد به التّلوين الصّوتي الذي يساعد على إظهار الحالة النّفسية للمتكلم من غضب أو تعجب أو استفهام ....و هو ما يوافق رأي المحدثين القائل بأنّ النبر تجتذبه قوة نواة المقاطع، وربما يطلق لمجرد الإشباع، وهي الفكرة التي ساقها ابن جني عندما تحدث عن المطل بأنّه هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف، وقصد ابن جني الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع، وكذا إعطاء السامع الفرصة للتأمل أو تفخيم القول .

و في السياق ذاته يقول ابن رشد (إلا أن العرب يستعملون النبرات بالنغم عند المقاطع الممدودة، كانت أوساط الأقاويل، وأما إذا كانت في أواخر الأقاويل فإنهم يجعلون المقطع المقصور .....و قد يمدون المقاطع في أواسط الأقاويل إذا كان بعض الكبار ينتهي إلى مقاطع مقصورة في أقاويل جعلت فصولها الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة ....وبالجملة إنهم يمدون المقطع المقصور عند الوقف)[1].

لم يختلف تعريف ابن رشد للنبر عن مفهوم ابن سيناويمكن التّعرف على مفهوم النّبر عنده من حديثه عن وظائف النّبر ومواضعه، حيث يرى أنه يحدث بمدّ المقاطع، وأنّ هذا المدّ يكون بتنغيم، وقد اجتمعت هذه النصوص لتحديد طبيعة نبر الجملة ووظائفه ومواطنه، فهي تربط النبر بالمصوتات الطويلة، ومن ثمّة ينشأ ما يسمى نبر الطول .

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فقد حاول أن يفسّر ظاهرة تخفيف الهمز بأنّها نبر طول فـ(قد يخطر للملاحظة أنّ تقسيم النّبر إلى توتر "همزي ومضعّف" وطول يقتضي أن ينتسب كل قسم من هذين إلى قبيلة، يعني أن يكون نبر التّوتر بشقّيه تميميا، ونبر الطّول حجازيا)[2] .

ويعتبر الدكتور عبد الصبور شاهين أنّ الهمزة ليست سوى وظيفة صوتية يعمد إليها المحققون، وهم الذين يريدون أن يؤكدوا نبرهم للمقطع المنبور، أما المخفّفون فلم يريدوا هذا

---

[1]- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1387هـ/ 1967م، ص100

[2]- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص148

التأكيد واكتفوا بهذا المزدوج الذي يعني تتابع حركتين، لهما من الطّول أو التّوتر ما يؤدي مهمة النّبر، ويبرز وجود المقطع المنبور[1] .

وممن يدعّموا كون النبر من العوامل التي تسهم في طول الكلام، قول الدكتور إبراهيم أنيس(العوامل المكتسبة التي تؤثّر في طول الصّوت اللّغوي فأهمّها النّبر ....فالصوت المنبور أطول منه حين يكون غير منبور)[2].

3/نبر التّضعيف:

التّضعيف يعني تطويل الحرف الموقوف عليه بعد إسقاط الحركة مع ما يوافقه في تغيير في البنية المقطعية، يقول ابن جني في حديثه عن قراءة الزّهري:(أمّا قراءة الزهري(**المرّ**) بتشديد الرّاء فقياسه أن يكون أراد تخفيف(**ألمرء**) على قراءة الحسن وقتادة، إلا أنّه نوى الوقف بعد التّخفيف فصار (**ألمرْ**) ثم ثقل للوقف على قول من قال هذا خالدّ، وهو يجعلّ ، ومررت بفرجّ ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فأقر التثقيل بحاله كما جاء عنهم قوله :

بباَزل و جناء أو عَيهلّ كأن مهواها علـى الكلكلّ

يهيدَلالعَ و الكلكلَ و كبيت الكتاب:

ضَخما يحُبُّ الخُلق الأَضخَمَّا

فيمن فتح الهمزة، يريد الأضخم فثقل ثم أطلق. وفي هذا شذوذان: أحدهما التثقيل في الوقف، لأنّه من باب ضرورة الشّعر[3] .

فالتّضعيف من خلال هذا النّص هو صورة من صور البغْضّ النّظر عن الصّورة التي نشأ عن طريقها هذا التّضعيف .

و يمكن أن ندرج في هذا النّبر الوقف على الحرف المشدّد يقول ابن الجزري (علم أنّ الوقف على الحرف المشدّد فيه صعوبة على اللّسان، فلابدّ من إظهار التّشديد في الوقف في اللفظ وتمكين ذلك حتى يسمع نحو:﴿**مِنْ وَلِيٍّ**﴾[البقرة107] و﴿**مِنْ مَّرْفٍ خَفِيٍّ**﴾[الشورى45] و﴿**لِنَبِيٍّ**﴾[البقرة246] عند غير الهامز ،

---

[1]- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص105

[2]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص155

[3]- ابن جني، المحتسب، ج1، ص101

و﴿ مُسْتَمِرٌّ(19)﴾[القمر19]و﴿صَوَافَّ﴾[الحج36]يقصد كمال التّشديد في هذا أو نحوه[1] .

يمكن أن نلاحظ في كل هذه الحالات، حالة الوقوف بالتّضعيف، وحالة الوقف على المشدّد، وحالة سقوط الهمز مع الوقوف على الحرف المضعّف أنّ هذا النّمط النّبري الذي هو نوع من الطّول يسعه تنظير الفلاسفة العرب، خاصّة قول ابن رشد –كما سبق الذّكر- (وبالجملة إنّما يمدّون المقطع المقصور عند الوقف)[2] .

و مجمل القول: كانت هذه أنماط نبرية بارزة استقيناها من القراءات القرآنية.

ضوابط النّبر :

حدّدها الدّارسون المحدثون، اعتمادا على ما نسمعه اليوم من القرّاء المجيدين كالآتي يقول إبراهيم أنيس (وليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النّبر في اللّغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى،إذ لم يتعرّض له أحد من المؤلّفين القدماء. أما كما ينطق بها القرّاء الآن في مصر، فلها قانون تخضع له ولا تكاد تشذّ عنه)[3]ولا شكّ أنّ الدّكتور إبراهيم أنيس قد أغفل مجهودات علماء الخطابة و الموسيقى .

وقد حدّد قواعد النّبر الرّئيس على النّحو التّالي:

- لمعرفة موضع النّبر من الكلمة العربية، نبدأ أوّلا بالنّظر إلى المقطع الأخير، فإذا وجدناه من النّوع الرّابع أو الخامس فهو إذن المقطع الهام الذي يحمل النبر، ولا يكون هذا إلا في حالة الوقف حيث يكون النّبر على المقطع :**/عين/**، عند الوقف على(**نستعين**) من قوله تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)**﴾، وعلى المقطع **/قر/** عند الوقف على (**المستقر**) من قوله تعالى:﴿**إلى ربك يومئذ المستقر**﴾ .

أمّا إذا وجدنا الكلمة لا تنتهي بهذين النّوعين من المقاطع،كان النّبر على المقطع الذّي قبل الأخير، بشرط ألا يكون هذا المقطع من النوع الأول من النّوع الأوّل أيضا.

---

[1]- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص220

[2]- ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص100

[3]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص99.

وموضع النّبر في الكثرة الغالبة من الكلمات العربية هو المقطع الذي قبل الأخير مثل: "**استفهم**" أو "**ينادي**"، أو "**قاتل**"، أو "**يكتب**"ففي المثالين الأخيرين يلاحظ أنّ المقطع قبل الأخير من النوع الأول، إلا أنّه لم يسبق بنظير له من النوع الأوّل أيضا .

أما في الفعل الماضي الثلاثي من مثل : "**كتب** ، **فرح** ، **صعب**"فالنّبر يكون على المقطع الثالث حين تعدّ المقاطع من آخر الكلمة، أي على/ **ك** ، **ف** ، **ص**/ وكذلك في الكلمات مثل:" **اجتمع** ، **انكسر**" أو المصادر "**لعب** ، **فرح** " أو الأسماء :"**عنب** ، **بلح**" .

وهناك موضع رابع للّنبر العربي، وإن كان نادراً ، وهو حين تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير في الكلمة من الأول مثل :"**بلحة** ، **عربة** ، **حركة**"ففي هذه الحالة يكون النّبر على المقطع الرّابع حين تعدّ مقاطع الكلمة من الآخر، أي على/ عَ ، ح َ / .

فللنبر العربي أربعة مواضع أشهرها و أكثرها شيوعا المقطع قبل الأخير[1].

وأما تمّام حسان فقد انطلق بدوره من قراء عصره المصريين ليضع نظاما نبريا للّغة العربية، وقد قدّم نموذجه على الشّكل التّالي:

1/ يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة المفردة إذا كان هذا المقطع الأخير طويلا، سواء أكان من النّوع الرّابع (ص م ص[=ص مص مص ص]) أو الخامس (ص ح ص ص)[=(ص مص ص ص)] أو السّادس (ص م ص ص)[=(ص مص مص ص ص)] من الأنواع السّتة السّابقة، مثال ذلك ما تلاحظه من موقع النّبر في منحَوْ:(مُولِفْحَلاَنْ – فَعَلْتْ الجارْ) بإسكان الآخر في كل ذلك .

و يقع في الكلمات ذات المقطع الواحد أيا كانت كميته نحو : ق قُمْ – ما قُلْ - حَاجْ).

يقع النّبر على المقطع الذي قبل الأخير في الحالات التّالية:

إذا كان ما قبل الأخير قصيرا والأخير متوسطا أو قصيرا في كلمتين ذات مقطعين أومبدوءة بهمزة وصل قبلهما كما في(مُبصْرُونَ انْطَلَقْ الحَرْ جيرانْ عَوْ) .

إذا كان ما قبل الأخر متوسطا وكان الآخر متوسطا أو قصيرا كما في(لَمْ –قَاتل – معلّم – مقاتل – استوثق – استلق – حذار) .

---

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص99-100 .

إذا كان ما قبل الآخر طويلا واغتفر فيه التقاء الساكنين والآخر غير طويل كما في: (ضالّة –طامدّةُو– يجْعَلُو– يـْقَة) .

يقع النّبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر إذا كان هذا المقطع قصيرا أو متوسطا بعده قصيران أو قصير ومتوسط نحو (علّمك – علّمكم – بينكم بَـيتُكم – بيتك – نظرة – ابتسامة).

يقع النّبر على الثالث مما قبل الآخر إذا كان الآخر قصيرا أو متوسطا قبله ثلاثة قصار نحو (ضربك –بقرةٌ - يرثني – تعدهم-وجدَك – نكرهم) .

لا يقع النبر على مقطع قبل ذلك المذكور أخيرا .

هذا هو نبر الكلمة المفردة (والإفراد هو هنا بالمعنى الإملائي وإن كانت مركبة بالمعنى النّحوي بواسطة وصل الضّمائر والحروف الزائدة)[1] .

وقدّم الدّكتور تمّام حسان قواعد النّبر الثّانوي، وهي القواعد التي تبنّاها الدّكتور مختار عمر[2]، ويحتسب الدّكتور تمّام حسان النّبر الثانوي من النّقطة التي وقع عليها الرّئيس في اتجّاه بداية الكلمة أي الاتجّاه المعاكس لمجرى ترتيب الكلمة، وفيما يلي الوصف الذي قدّمه لقواعد النّبر الثانوي:

يقع النّبر الثّانوي على المقطع السّابق للنّبر الرّئيس مباشرة إذا كان هذا المقطع السابق طويلا(**ص مص مص ص** أو **ص مص ص ص**) نحو:الصّافات –الضّالين- أتحاجّوني.

يقع النّبر الثّانوي على المقطع الثّاني قبل النّبر الرّئيس إذا كان هذا المقطع والذي يليه فيقع بينه وبين النّبر الرّئيس يكونان أحد النماذج الآتية:

متوسط + متوسط، نحو: مستبقين – يستخفون – عاشرناهم.

متوسط + قصير، نحو: مستقيم –مستعدّة – قاتلوهم .

طويل + قصير، نحو: مَامَّتَانْ .

---

[1]- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص 263-264.

[2] ينظر، أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص360.

يقع النّبر على المقطع الثالث قبل النّبر الرّئيس إذا كان هذا المقطع المذكور يكون مع الذين يليانه يقعان بينه وبين النّبر الرّئيس أحد النّماذج الآتية:

متوسط + قصير + متوسط نحو: تَقيمُونَسْتَجيبُونَسْتَطيلاَنْ .

متوسط + قصير + قصير ، نحو: تَطلُقُونَسْتَبقُونْتَرَمُونَ .

قصير + قصير + قصير ، نحو: تَاكْلَضَانْجَتَاهْ .

ولا يقع النبر على سابق ما ذكر [1] .

2- التنغيم :

التّنغيم ظاهرة أدائية موجودة في اللّغة العربية، درسها علماء العربية على اختلافهم، وفق مصطلحات متباينة بينهم، وشغلت حيّزا مستقلاّ في اللّسانيات الحديثة.

غير أنّ ثمّة باحثين لهذه الظّاهرة قد أنكروها يقول أحمد كشك (إحساس عام عند اللّغويين المعاصرين يؤكّد بعد التّنغيم عن أن يكون له قيمة صرفية أو نحوية في لغتنا العربية، وأنّه لم يخطر ببال القدامى استخدامه من هاتين النّاحيتين)[2] ويمكن تصنيف المنكرين إلى ثلاثة أصناف:

صنف ينكر وجود هذه الظّاهرة في كتب التّراث (النحو، الصّرف، والقراءات).

صنف ينكر وجود التّنغيم في اللّغة العربية بعامّة .

-صنف يعترف بوجود التّنغيم في العربية، ولكن ينفيه عن القرآن الكريم .

ولعلّ الصّنف الثّالث الأخير أي الذي يقرّ بوجود التّنغيم في اللّغة العربية ولكنه يستبعده من تلاوة القرآن الكريم، فيمكن التّدليل عليه من خلال قول **الجوارنة** (إذا كانت الدّلالات في الكتابة تتحدّد بعلامات الترّقيم، وتتحدّد في الكلام عن طريق التّنغيم فإنّها في القرآن الكريم لا تتحدّد إلا بواسطة التّجويد، وهو العلم الذي نصون به اللّسان عند الخطأ في لفظ القرآن)[3] .

---

[1]- ينظر، تمّام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص174- 175، وكذلك مناهج البحث في اللغة، ص196-197.

[2]- أحمد كشك من وظائف الصّوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب للنشر، القاهرة، ط1، دت، ص56

[3]- الجوارنة، يوسف عبد الله، التنغيم ودلالته في اللّغة العربية، مجلة الموقف الأدبي، العدد369 ،31يناير 2002، ص40

ولما كان كلام الله -عزّ وجل- منزها أن يكون مثله كلام البشر، فإنّ التنغيم بمفهومه السّالف لا يمكن أن يقرأ به القرآن، ويبقى التّجويد علامة دالّة للقرآن لا تجوز القراءة فيه إلا به.

إنّ هذا النفي للظاهرة يجعل الدّارس في وضع حرج، ويلزمه إثبات وجود الظاهرة قبل دراستها .

إنّ ثمّة ارتباط وثيق بين القرآن وقراءته، فكلّ أداء للقرآن الكريم لا يتمّ إلا من خلال قراءة قرآنية معينة، فهما ملتحمان التحاما قويا.

وخلافا للكتب السّماوية الأخرى فقد نزل القرآن الكريم نزولا صوتيا[1] ولم ينزل مدوّنا في سطور أو مكتوبا في كتاب، وكما كان تلقّي القرآن شفهيا تمّ تبليغه أيضا تبليغا صوتيا شفهيا إلى الصّحابة ثم إلى النّاس كافة، ومازال سبيل القراءة والإقراء الشّفهي هو السّبيل المعتمد والمتواتر في تبليغه وإسناده وضبطه وإتقانه منذ نزوله الصّوتي إلى اليوم، فلماذا هذا الحرص الشّديد على تبليغه تبليغا صوتيا منذ لحظة النّزول؟

إنّ حماية النّص القرآني من التّحريف والتّغيير تقتضي صيانته من اللّحن والتّصحيف[2] وحرص الرّسول صلى الله عليه وسلم ذاته على أن يقرأ على أصحابه حتى يتعلّموا منه دقائق الأداء خاصة الوقف، والتّنغيم، والنّغم، ففي سياق حديث أبي الليث السّمرقندي عن الحكمة من قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم على أبيّ بن كعب وذلك بقوله: "ما الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على أبيّ فهو أن يتعلّم: أي ألفاظه و صيغة أدائه ومواضع الوقوف وضبط النّغم، فإنّ نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشّرع وقدّره بخلاف ما سواه من النّغم المستعملة في غيره، ولكل ضرب من النّغم أثر مخصوص في النّفوس، فكانت القراءة عليه ليعلّمه لا ليتعلّم منه"[3]. الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، كان يقرأ على الصّحابة ليتعلّموا منه كيفيّة الأداء، ومواقع الوقف، وصور النّغم والتّنغيم[4] .

---

[1]- ينظر الفصل الأول .

[2]-أحمد البايبي، القضايا التّطريزية في القراءات القرآنية، ص178.

[3]- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بستان العارفين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دط، دت، ص319

[4]- لقد تناول الفلاسفة مصطلحين اثنين هما النّغم والتّنغيم، أو النّغمة واللّحن، أمّا النّغم والتّنغيم فهما مترادفان. إلا أنّ هناك اختلافا بين الثانيين، فالنّغمة فنقصد بها تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية فتوصف هذه النّغمة بأنّها صاعدة أو هابطة أو ثابتة، ونقصد باللّحن مجموع النّغمات التي في المجموعة الكلامية أي الترتيب الأفقي للنّغمات التي يشتمل

ويبدو أنّ الاعتماد على النّقل الصّوتي المراعي للخصائص الأصواتية وعدم التعويل على الكتابة لتبليغ الوحي يعود إلى القصور الذي يعتري الكتابة – على أهميتها- في أداء المنطوق .

فرغم أن الحروف الخطية جعلت سمات يستدل بها على الحروف اللفظية – كما يقول **إخوان الصفا**[1] أنّ واقع معظم اللّغات يبين عجز تلك الحروف عن تمثيل إمكانياتها الصّوتية بصورة كاملة .

وقد أبعد معظم اللّسانيين، بدءً من **سوسير** و**بلومفيلد** الكتابة من حقل علمهم واعتبروها تابعة للّغة المنطوقة، وهذا نزوع قديم في الفكر العقلاني الغربي بحسب **جان كريستوف بلا** (أعطت النزعة العقلانية الغربية الأولوية المطلقة للكلام، وحبست الكتابة في وظيفة ثانوية وآلية)[2].

غير أنّ المدارس اللّسانية نزعت إلى مواقف متباينة بخصوص علاقة النّسق المرسوم بالنّسق المنطوق .

لذلك كان من الأهمية بمكان أن ينزل القرآن الكريم نزولا صوتيا على أصل الظاهرة اللغوية، فالسّيطرة على النّظام الصّوتي للّغة هي البداية الأساس المتينة لفهم اللّغة وامتلاك ناصيتها .

إنّ كينونة القرآن لا تتحقّق إلا من خلال قراءته، والقراءة سنّة متّبعةوصحّتها مشروطة باتّصال السّند المتواتر بالرّسول صلى الله عليه وسلم ولا يكون ذلك إلا سماعا، وبذلك فإنالملامح التّطريزية الواردة في النّص القرآني من مدّ، وتنغيم، وإيقاع ووقف ..إنّما تضبط بالمشافهة والأخذ من أفواه نحارير القرّاء ومشاهير العلماء ويعجز الرّسم عن تسجيلها تسجيلا تاما)[3] .

1-2/ علاقة الترتيل بالتنغيم :

النّموذج أو الميزان عليها مع نظرة خاصة إلى النّغمة المنبورة الأخيرة من هذا الترّتيب) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص166

[1]- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلاّن أهل الوفاء، ج1، ص216

[2] -Pellat. J-C : Indépendance ou Interaction de L'écrit et de L'oral ? Recensement Critique des Définitions du Graphème. p135 .

[3]- أحمد البايبي القضايا التّطريزية في القراءات القرآنية، ج1، ص181 .

تقتضي القراءة المرتّلة أن يوقّع القارئ بصوته ملامح العلو الموسيقي أي النّغم والتّنغيم، فالترّتيل ليس فقط تجويد الحروف بل هو أيضا مراعاة المستوى اللّحني يقول **القرطبي** (القراءة هي: أصوات القراء ونغماتهم)[1] .

فهي ليست أصوات يختص علم التجويد بإتقان مخارجها وإعطائها حقّها ومستحقّها فحسب، بل هي ما يسمّيه **القاضي عبد الجبار** بالنّغم ويربطه بصفاء مخارج الحروف[2].

والترتيل لا يكون كاملا إلا بحفظ ملامح العلوّ الموسيقي وهذا ما انتبه إليه الزّركشي بقوله (فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله ، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد ، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم)[3].

إنّ قراءة القرآن على منازله تفرض تنغيم تراكيبه بحسب دلالاتها بما فيه من تأن في القراءة، فالترتيل يعين على مد الصوت وإشباعه لما سئل أنس بن مالك كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه و سلم قال (كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم)[4]. وقد اتضح من نصوص الفلاسفة – السابقة الذكر –أنّ المقاطع الممدودة هي التي تحمل التنغيم، كما أنّ نماذج عديدة في القرآن الكريم يكون التنغيم فيها عبارة عن تطويل أو تمطيط للأصوات وخاصة المصوّتات الطّويلة .

والتنغيم هو من الظواهر الصّوتية التي تساعد في تحديد المعنى لأنّ (النّغمة قد يتبعه تغيرّ في الدّلالة في كثير من اللّغات)[5] .

---

[1]- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/1994م، ص9

[2]- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، الشركة العربية، مصر، ط1، 1380، ج7، ص207

[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص532

[4]- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، دار الفكر، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة، اسطنبول، 1401هـ/1981م ،ج4، ص1925.

[5]- مصلوح، سعد عبد العزيز، دراسة السّمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، دط، 1420هـ/ 2000م، ص217

2/ علاقة النبر بالتنغيم :

النبر صلته بالتنغيم وثيقة، فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير من الجملة، إذ يشترك لكل منهما في خاصية فيزيائية، فالتّنغيم هو إعطاء الكلام نغمات معينة تنتج من اختلاف درجة الصّوت وتتحدّد درجة الصّوت وفق الذبذبات التي يولدها الوتران الصّوتيان، ولعلّ نصوص الفلاسفة التي تعتبر النّبرات من أحوال النّغم و أنها هيئات نغمية، تربط بين التنغيم والنّبر .

3/وظائف التّنغيم :

يقوم التنغيم بوظائف عديدة في اللغة، فالتّنغيم تغييرات موسيقية تتناوب الصّوت من صعود إلى هبوط، أو من انخفاض إلى ارتفاع، وذلك حسب المشاعر و الأحاسيس التي تنتابنا من رضى وغضب ويأس وأمل، وإعجاب واستفهام، ونفي أو إثبات وشكّ ويقين.

ويمكن تقسيم وظائف التّنغيم في اللّغة العربية إلى ثلاث وظائف هي:الوظيفة الانفعالية التعبيرية، والوظيفة التركيبية، والوظيفة الدّلالية.

1- الوظيفة الانفعالية التعبيرية :

ويقصد بها التعبير عن الأحاسيس والانفعالات التي تختلج داخل نفس المتكلّم من قبيل الخوف، والشجاعة، والحزن، والفرح، والتّعجب، والتّعظيم، والحيرة، والرّضى والغضب، واليأس، والأمل، والشّك، واليقين. والقرآن باعتباره كتاب وعظ وإقناع وقصص يتضمن هذه المعاني وغيرها[1] يقول الزّركشي (فحق على كل امرئ مسلم أن يرتّله، وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعه ..فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك و سأل الله تعالى أن يعيذه من النّار. وإن هو مر بآية فيها نداء وللذين آمنوا فقال{ يا أيها اللذين آمنوا} وقف عندها وقد كان بعضهم يقول: لبيك ربي وسعديك ويتأمل ما بعدها مما أمر به ونها عنه، فيعتقد بقول ذلك ...فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيد أوعد الله به المؤمنين فلينظر إلى قلبه، فإن جنح إلى الرجاء فزعه بالخوف، وإن جنح إلى الخوف فسح له

---

[1]- وردت عدة إشارات دالة على وظائف التنغيم في الدراسات القرآنية، وهي وإن لم تنظّر لذلك بصورة واضحة و صريحة، فإنّ تراكم تلك الإشارات يدل على تمثيل أصحابها و استحضارهم للظاهرة .

في الرجاء، حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين، فإنّ ذلك كمال الإيمان ...وإذا كان موعظة اتعظ بها، فإنّه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل)[1].

يشدّد الزّركشي على قراءة القرآن على منازله، إذ لكل منزلة نمطها التّنغيمي الخاص بها فنمط الخوف ليس هو نمط الرجاء، ولا الوعيد بل إنّ الأمر يقتضي كذلك التّأمّل والاستحضار والاتّعاظ...

ومن ذلك استدعاء المخاطب إلى فضل التّأمّل، وزيادة تفهم، قال تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾[سبأ/46]، وكذلك قوله﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ(43)**﴾[سورة العنكبوت] هذا أنّ السّامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المثنى عليهم، فيسارع إلى التّصديق، ويلقى في نفسه نور من التوفيق[2].

ويضيف الزّركشي في موضع آخر (وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تكلّم فيها البليغ مثبتا ونافيا ..ومنها تمكين الانفعالات النّفسانية من النّفوس مثل الاستعطاف، والإعراض، والإغضاب، والتشجيع، والتخويف، ويكون في مدح وذمّ وشكاية واعتذار، وإذن ومنع .

إنّ كل هذه الأغراض التي هدف إليها القرآن الكريم تقتضي نغمات خاصة بها تحمل دلالاتها أبلغ ما يكون .

فإذا كان التنغيم الدّاعي للخشوع في آيات الاستغفار والتوبة، فلا بدّ له من أن يختلف عن تنغيم الآيات التي فيها تهديد ووعيد ليتلقّى السّامع بعقله وقلبه.

ويضيف القرّاء فيها سمّوه بالمدّ المعنوي كوظيفة تعبيرية للتّنغيم ويكون قصد المبالغة في النّفي والتّعظيم، ويكون أيضا عند الدعاء والاستغاثة، يقول ابن الجزري(ا السّبب المعنوي للمدّ فهو قصد المبالغة في النفي .ومنه مدّ التّعظيم في نحو (لا إله إلا الله، لا إله إلا هو، لا إله إلا أنت ..ويقال له أيضا مدّ المبالغة...)[3] .

---

[1]- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج1،ص532-533

[2]- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج1 ،ص389

[3]- ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ،ج1 ، ص344، و ينظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1،ص96

فمدّ الصّوت إذا وارد للتعبير عن المبالغة في نفي الألوهية عن غير الله، وكذلك للتعبير عن الدّعاء والتّبرئة، بل وللتّعبير عن أحاسيس أخرى مشابهة ويضيف ابن الجزري (قال ابن مهران في كتاب المدّات له)إنما سمي مدّ المبالغة لأنّه طلب المبالغة في نفي إلهية سوى الله قال وهذا معروف عند العرب لأنّها تمدّ عند الدّعاء وعند الاستغاثة و عند المبالغة في نفي شيء و يمدون ما لا أصل له بهذه العلة ..و قد استحب العلماء و المحققون مدّ الصوت بلا إله إلا الله إشعارا بما ذكرنا وبغيره، قال الشيخ محي الدّين النّووي رحمه الله في الأذكار، ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مدّ الذّاكر قوله (لا إله إلا الله)لما ورد فيه من التّدبّر....وروينا في ذلك حديثين مرفوعين أحدهما عن ابن عمر، من قال (لا إله إلا الله)ومدّ بها صوتها، أسكنه الله دار الجلال، دارا سمى بها نفسه ...والآخر عن أنس من قال (لا إله إلا الله)و مدّها هدمت له أربعة ذنب.

وكلاهما ضعيفان ولكنهما في فضائل الأعمال، وقد ورد مدّ المبالغة للنّفي في (لا) التي للتبرئة في نحو (لاريب فيه، لا شية فيها، لا مرد له، لاجرم) عن حمزة[1] .

والمبالغة لا تكون فقط في النّفي بل وفي التّعظيم، والتّحقير، والدّعاء، فجملة (آمين) في الدّعاء مثلا، يمدّ بها الصوت، ويكرّر لفظها تعبيرا عن المبالغة في الدعاء، وفي هذا يقول السّيوطي (عن وائل بن حجر سمعت النّبي صلى الله عليه وسلم قرأ (ولا الضالين) فقال:آمين يمد بها صوته، وأخرجه الطّبراني بلفظ: قال: آمين ثلاثمرّات)[2]ومن الأحاسيس التي يعكسها التّنغيم، التّعبير عن الاستهزاء حيث رصده ابن جني بقوله (ومن ذلك قرأ ﴿ **أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(47)**﴾[سورة الواقعة]، على الخبر كلاهما بلا استفهام)[3] .

ويوظّف التّنغيم كذلك في التّعبير عن الوعيد والإغلاظ يقول ابن جني (وزاد في احتمال الواو في هذا الموضع {سأوريكم}أنّه موضع وعيد وإغلاظ، فمكّن الصّوت فيه وزاد إشباعه واعتماده، فألحقت الواو فيه لما ذكرنا)[4].

---

[1]- ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1، ص345

[2]- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص107

[3]- ابن جني، المحتسب، ج2، ص309

[4]- المصدر نفسه،ج1، ص259

وبناء على ما سبق تتضح الوظيفة التعبيرية الانفعالية للتنغيم، عكستها بعض مظاهر لقراءات القرآنية التي وصفت بالشذوذ، وتبرز خاصّة بتفاعل القارئ وتأثّره عند تلاوة القرآن وفي ذلك يقول الغزالي (أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال وَوُجْد يتّصف به قلبه من الحزن والخوف والرّجاء وغيره ...وقال صلى الله عليه و سلم: إن أحسن النّاس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى، وقال صلى الله عليه و سلام يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عزّ وجلّ)[1].

والمعاني ذاتها ساقها الزركشي في فصل أطل الوقوف على معاني القرآن التّدبر والتّفكّر بقوله (وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلّم، من الوعد بالتّشويق، والوعيد بالتّخويف، والإنذار بالتّشديد، فهذا القارئ أحسن النّاس صوتا بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾ [البقرة/121][2].

2- الوظيفة التركيبية:

ويقصد بها التفريق بين أنواع الجمل، وتبيان وظائفها النّحوية من خلال التّمييز بين أسلوب تركيبي وآخر، فلكلّ جملة نمطها التّنغيمي الخاص بها، تنفرد به ولا تقاسم فيه جملة أو جملا أخرى بتنوع الأساليب ما بين الخبر، والاستفهام، والتّأكيد، والأمر والنهي، والقسم، والنداء ...(فالمنحنيات التنغيمية الموظفة في الخبر تختلف عن المنحنيات التنغيمية المستعملة في الاستخبار، وتلك الواردة في الأمر لا تطابق نظيرتها في النهي، وهكذا وبهذا فالتّنغيم حَكَم في دلالات التراكيب والجمل، إذ يغير الجملة من تركيب إلى آخر ومن باب إلى باب[3].

ومن الآيات التي يقوم فيها التنغيم بوظيفته التركيبية التمييزية:

- ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** ﴾[البقرة/217]، حيث أن القسم الأول يحقق بنمط تنغيمي خبري بينما القسم الثاني (قتال فيه) بنغم على الاستفهام، وهذا ما أشار إليه أبو حيّان الأندلسي قائلا (وقرئ شاذا:(قتال فيه)لرّفع، وقرأ عكرمة:(قتل فيه قل قتل فيه) بغير

---

[1]- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص254-255

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص197

[3]- الجوارنة، التنغيم ودلالته في اللغة العربية، ص38

ألف فيهما، ووجه الر ّفع في قراءة:(قتال فيه)أنه على تقدير الهمزة فهو مبتدأ، وسوغ جواز الابتداء فيه، وهو نكرة، لنية همزة الاستفهام وهذه الجملة المستفهم عنها هي في موضع البدل من :الشهر الحرام، لأنّ (سأل)قد أخذ مفعوليه، فلا يكون في موضع المفعول، وإن كانت هي محطّ السّؤال، وزعم بعضهم أنّه مرفوع على إضمار اسم فاعل تقديره: أجائز قتال فيه؟ قيل:ونظير هذا، لأنّ السّائلين لم يسألوا عن كينونة القتال في الشّهر الحرام، إنّما سألوا: أيجوز القتال في الشهر الحرام ؟ فهم سألوا مشروعيته لا عن كينونته فيه)[1].

- ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75)﴾[سورة يوسف]، فالقسم الثاني تقرأ بنغم على الاستفهام قالوا: جزاؤه؟ وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) تتلى بقالب تقريري وتقرأ أيضا على التّعجب والاستهجان:(قالوا:جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) وتقرأ على التبرم والانزعاج: يظهر ذلك من خلال الحديث والكلام المنطوق أكثر من الكلام المكتوب الذي يحدّد التّنغيم فيه الترّقيم[2].

- ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29)﴾[سورة يوسف] حيث يتلى بالقالب التنغيمي للنّداء، وهذا القالب قائم رغم حذف حرف النداء .

- ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)﴾[سورة التوبة] النّص حذف حرف الاستفهام وأقيم التّنغيم مكانه والأصل أيحلفون.

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1)﴾[سورة التّحريم]الرّغم من حذف حرف الاستفهام إلا أنّ التّنغيم ينقل دلالة الاستفهام، إذ الأصل أتبتغي .

---

[1]- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج2، ص154

[2]-الجوارنة ، التّنغيم ودلالته في اللّغة العربية، ص39

- ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ(63)﴾[سورة الأنبياء] يقول الرّازي(كون إبراهيم ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء كما يقال لذليل ساد قوما هذا سيّدكم على سبيل الاستهزاء) [1] .

- ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[الكهف/5]قال الرّازي (وفيه معنى التّعجب كأنّه قيل ما أكبرها كلمة)[2].

كانت هذه نماذج من أمثلة عديدة تبرز دور التنغيم في تصنيف الجمل العربية. (وبذلك يكون التنّغيم ظاهرة تطريزية من شأنها أن تحدّد جهات القول وصنف الجمل وتوكل إليها مهمّة تقطيع السّلسلة الكلامية إلى وحدات تركيبية ودلالية مستقلّة نوعا ما عمّا يلحق بها من سلاسل كلامية)[3].

وفي سياق حديث ابن سينا عن النّبرات وتعدد الأغراض التي تجيء من أجلها يقول (ربما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أنّ النّبرة قد تجعل الخبر استفهاما، والاستفهام تعجبا، وغير ذلك، وقد تورد للدلالة على أن هذا شرط، وهذا جزاء، وهذا محمول، وهذا موضوع)[4] .

فهنا إشارة إلى اختلاف بنية الكلام باختلاف بنية النّبرات على المستوى التركيبي، ذلك أن استبدال نبرة بنبرة يغير الجملة الخبرية إلى جملة استفهامية، والجملة الاستفهامية إلى جملة تعجبية.

3- الوظيفة الدلالية:

ويقتضي تفريق ابين دلالات السّلسلة الكلامية الواحدة، حيث إنّ التّنغيم يفرّق الجملة الاستفهامية الواحدة إلى معان تتعدّد بتعدّد أنماطها التّنغيمية .

ويبدو أنّ التّنغيم يؤدي وظيفة دلالية في الجملة العربية كأن يخرج الأسلوب الواحد إلى معان عديدة و دلالات مختلفة .

---

[1]- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج21، ص52

[2]- المصدر نفسه، ج21، ص79

[3]- مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية نموذج الوقف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،1431هـ/2010م ص46

[4]- ابن سينا، الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، نشر وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ص198

يفرق كلا من ابن سينا وابن رشد أن يتحدّثا عن الوظيفة الدّلالية للتّنغيم، فالنّبرات فيما يرى ابن سينا يراد بها (إطالة السّامع ليتصوّر) [1]، بينما يرى ابن رشد أنّ هناك (أقاويل تكون بين ألفاظها المفردة أحوال تنهيها عن السامع وتفصلها ، وذلك إما بسكنات أو نبرات)[2] .

إنّ التّنغيم قد يوظف أيضا من أجل البنية الدّلالية، يمكن اختزال هذه الاستعمالات لغايتين اثنتين: أولهما تمكين المتكلّم من أن يستريح ليأخذ في كلام لاحق يتطلّب طاقة من الهواء جديدة، ثانيهما: تمكين المخاطب من إدراك فحوى الخطاب فيتحقق بذلك التفهيم[3].

وقد يؤدي التّنغيم من حيث الدّلالة في الجملة العربية عبارات بأكملها من قبيل استمهال المتكلّم للسّامع، وإعلامه باستمرار الكلام، أو من قبيل إعلام السّامع وإيقافه على مدى التّفجّع والتّحسر على المندوب وذلك في باب النّدبة والإطالة لإفادة الاستنكار والتّعجب في باب الإنكار يقول ابن جني في مدّ التّذكر (أما مدّها عند التّذكر فنحو قولك: أخواك ضربا، وإذا كنت متذكرا للمفعول به أو الظرف أو نحو ذلك أي ضربا زيدا ونحوه، وكذلك تمطل الواو إذا تذكرت في نحو: ضربوا إذا كنت تتذكر المفعول أو الظرف أو نحو ذلك أي ضربوا زيدا، أو ضربوا يوم الجمعة ، أو ضربوا قياما فتتذكر الحال، وكذلك الحال في نحو: اضربي، أي اضربي زيدا ونحوه، وإنّما مطلت ومددت هذه الأحرف في الوقف وعند التّذكر)[4] .

فعند التّذكر يرتفع الصّوت ويزيد وذلك يعني من المتكلم أنه في حالة استذكار، وأنّ رسالته الكلامية لم تنته، ومن ثمّ لم تكتمل الدّلالة بعد، ممّا يجعل المتكلّم في حالة انتظار لبقية الكلام، وهذا ما أشار إليه ابن رشد في قوله (الألفاظ إذا لم يكن بينها فصول زمانية عسر فهم تلك المعاني، لأنّها إذا وردت مشافعة في الذّهن، لم يتمكن الذّهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر)[5] .

---

[1]- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ص284

[2]- المصدر نفسه، ص284

[3]- ينظر، مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية –نموذج الوقف- ، ص580

[4]- ابن جني، الخصائص، ص 718.

[5]- ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص284

فالفصل بين أزمنة القول يسهل فهم المعاني، وينبغي لهذا التّفهيم أن ينتهي إلى السّامع على الصّورة التي يتوخّاها المتكلّم [1].

ويقول ابن جني في سياق احتجاجه لقراءة **"اشتروا الضّلالة"** (ولو وقفت مستذكرا أو قد ضممت الواو لقلت اشتروا، ففصلت ضمة الواو فأنشأت بعدها واوا، كأنّك تستذكر"الضلالة"، أو نحوها فتمدّ الصّوت إلى أن تذكر الحرف. ولو استذكرت وقد كسرت لقلت: اشتروي، فأنشأت بعد الكسرة ياء، ولو استذكرت وقد فتحت الواو لقلت: اشتروا، كما أنّك لو استذكرت بعد من وأنت تريد الرّجل ونحوه لقلت منا لأنّك أشبعت فتحة من الغلام، وفي منذ: منذو، وفي هؤلاء، هؤلائي)[2] .

ومن مواطن رفع الصّوت النّدبة، دلالة على الحزن والضّجر، لذلك قال سيبويه (والنّدبة يلزمها ياء، ووا، لأنّهم يختلطون[3]ويدعون ما قد فات وبعد عنهم، ومع ذلك أنّ النّدبة كأنّهم يترنمون فيها فمن ثمّ ألزموها المدّ ، وألحقوا آخرسلاالمدّ مبالغة في التّرنم)[4] .

إنّ النّدبة تقتضي المبالغة في التّرنمّ والضّجر، ممّا يفرض رفع الصّوت ومدّه "جاءت مدة النّدبة إظهارا للتّفجّع وإيذانا بتناكر الخطب الفاجع والحدث الواقع [5].

وعليه يؤول ابن جني قراءة ابن أبي ليلى **"يا ويلتا"** وأصلها يا ويلتي فأبدلت الياء ألفا لأنّه نداء فهو في موضع تخفيف[6] .

ويرتفع الصّوت كذلك دلالة على الإنكار، وهذا ما عمد إليه ابن جني في باب **"في حرف اللّين المجهول"** فقال (وذلك مدة الإنكار، نحو قولك في جواب من قال : رأيت بكرا، أبكرنيه، وفي جاء محمد: أمحمدنيه، وفي مررت على قاسم : أقاسمنيه!وذلك أنّك ألحقت مدّة الإنكار وهي لا محالة ساكنة ..والمعنى الجامع بينهما أنّك مع إنكارك للأمر مستثبت، ولذلك

---

[1]- ينظر مبارك حنون، في التّنظيم الإيقاعي للغة العربية – نموذج الوقف – ص58

[2]- ابن جني، المحتسب، ج1، ص55

[3]- يختلطون بمعنى يضجرون و يغضبون

[4]- سيبويه، الكتاب، ج2، ص231

[5]- ابن جني، المحتسب،ج2 ، ص213

[6]- المصدر نفسه، ص213

قدمت في أول كلامك همزة الاستفهام، فكما تقول: في جواب رأيت زيدا: من زيدا؟ كذلك قلت في جواب جاءني عمر:أعمروه[1].

وتبرز الوظيفة الدلالية للتنغيم من خلال تحويله للمعاني والدلالات وهو ما سمّاه ابن جنيّ **"تقوية المعنى في النفس"** في قوله(ذكر طول الأصوات وقصرها لقوّة المعاني المعبّر بها عن وضعها ما يحكى أنّ رجلا ضرب ابنا له، فقالت له أمه: لا تضربه ليس هو ابنك، فرافعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي وهذه أمه تذكر أنّه ليس منيّ ، فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنّما أخذ يضرب ابنه فقلت له:لا تضربه ليس هو ابنك [ابناك]ومدّت فتحة النّون جدا، فقال الرّجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل)[2]، فما فهمه الأب من خلال تنغيم معين، رفضته زوجته أملته القدّعية من تنغيمها عن طريق مدّ فتحة النّون ومطل الصّوت بها إنّما هو دلالة على تنبيهها له على ضربه الطّويل والشّديد لابنهما .

وبهذا تتبين الخطورة الدّلالية للتّنغيم، إذ يوازي عبارات كاملة، وتترتّب عليه أحكام ومواقف خاصة إذا تعلق الأمر بالنّص القرآني كما ترتبط الأصوات بدلالتها ، فقد جعل ابن جني الأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت يقول (علمت أنّ قراءة من قرأ "يا حسرة على العباد"بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النّفس، وذلك أنّه في موضع وعظ وتنبيه، وإيقاظ وتحذير فطال الوقوف عليالهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجّب منه، الدّال على أنّه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره)[3].

فدلالات الوعظ والتّنبيه والإيقاظ والتحذير تستلزم التّنغيم بطول الوقوف على الهاء لتقوية المعنى في النّفس مثل لزومه في الاستعظام والتعجب والانبهار .

إذن التنغيم والأداء قرينة دالة ومفصحة عن الغرض، شأنه في ذلك شأن العلامات الإعرابية، فكما أنّ الإعراب يتيح للكلمة حرّية الحركة داخل الجملة، تتقدّم تارة وتتأخّر أخرى

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ص736

[2]- ابن جني، المحتسب، ج2، ص210

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها

دون إخلال بالمعنى، كذلك قرينة الأداء تتيح للمتكلّم الخروج عن الأسلوب المعتاد في إبانة غرضه وتوضيح مقصوده [1].

فمما جاء بأسلوب الاستفهام ومعناه التّسوية، وهي من معاني الخبر حسب الزركشي والسيوطي[2] قوله تعالى ﴿ **أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** ﴾[البقرة/ 6] قال فيها ابن عطية (لفظه لفظ استفهام ومعناه الخبر، وإنّما جرى عليه لفظ الاستفهام لأنّ فيه التّسوية التي هي في الاستفهام ألا ترى أنّك إذا قلت مخبرا:سواء على أقمت أم قعدت أم ذهبت؟ وإذا قلت مستفهما : أخرج زيد أم قام ؟ فقد استوى الأمران عندك، هذا في الخبر وهذا في الاستفهام، وعدم علم أحدهما بعينه، فلمّا عممتهما التسوية جرى على الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإبهام، وكلّ استفهام تسوية، وإن لم يكن تسوية استفهاما، انتهى كلامه وهو حسن، إلا أنّ في أوله مناقشة وهو قوله « **أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** » لفظه لفظ استفهام، ومعناه الخبر وليس كذلك لأنّ هذا الذي صورته صورة الاستفهام ليس معناه الخبر لأنه مقدر بالمفرد إما مبتدأ أو خبره سواء أو العكس ، أو فاعل سواء لكون سواء وحده خبرا لأن، وعلى هذه التّقادير كلّها ليس معناه معنى الخبر وإنّما سواء، وما بعده إذا كان خبرا أو مبتدأ معناه الخبر .

ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو: **أأنذرتهم** وبه قرأ الكوفيون، وابن ذكوان، وهو الأصل، وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلب للتّخفيف، فقرأ الحرميان، وأبو عمرو، وهشام:بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، إلا أنّ أبو عمرو، وقالون، وإسماعيل بن جعفر، عن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفا، وابن كثير لا يدخل ، وروي تحقيقا عن هشام وإدخال ألف بينهما، وهي قراءة ابن عباس، وابن أبي إسحاق، وروي عن ورش، كابن كثير، وكقالون وإبدال الهمزة الثانية ألفا فيلتقي ساكنان على غير حدهما عند البصريين، وقد أنكر هذه القراءة الزّمخشري وزعم أنّ ذلك لحن وخروج عن كلام العرب من وجهين أحدهما: الجمع بين ساكنين على غير حده، الثاني:أنّ طريق تخفيف الهمزة السّاكنة، وما قاله هو مذهب البصريين وقد أجاز الكوفيون الجمع بين السّاكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون وقراءة ورش صحيحة

---

[1]- ينظر ، أحمد البابيي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1،ص272

[2]- ينظر ، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص329

النّقل لا تدفع باختيار المذاهب ولكن عادة هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ونقلة القرآن[1]. فالخلافللذي ذكره أبو حيان خلاف شكلي مادامت التسوية جزءً من الخبر.

وممّا ورد بصيغة الاستفهام ومعناه الإنكار قوله تعالى ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[لأنعام/77] قال الرّازي في وجه من وجوه تفسير هذه الآية (أنّ المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار إلا أنّه أسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة الكلام)[2]. والمقصود بدلالة الكلام هو التّنغيم، وقال الزركشي في الاستفهام الذي يكون بمعنى الخبر (هو ضربان: أحدهما نفي، وإثبات فالوارد للنّفي يسمّى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمّى استفهام تقرير لأنّه يطلب بالأول إنكار المخاطب، وبالثاني لإقراره به، فالأول [أي استفهام الإنكار]: المعنى فيه على أن ما بعد الأداة منفي، ولذلك تصحبه "إلا" كقوله تعالى ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)﴾[سورة الأحقاف]وقوله تعالى﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ(17)﴾[سورة سبأ]ويعطف عليه المنفي كقوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29)﴾ [سورة الروم] أي لا يهدي، وهو كثير)[3] .

وممّا جاء على أسلوب الاستفهام ودلالته التّعجب قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (32)﴾ [سورة الرعد] .

يقول أبو حيان(وفي قوله (فكيف كان عقاب ؟)استفهام معناه التعجب بما حلّ وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول صلى الله عليه و سلم من الكفّار)[4] .

وقال الفراء في قوله تعالى﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾[التوبة/7] إن قوله ذاك "على التّعجب، كما تقول:كيف يستبقى مثلك، أي لا ينبغي أن

---

[1]- أبو حيان الأندلسي، تفسير بحر المحيط، ج1، ص174-175

[2]- الرازي ، التفسير الكبير، ج13، ص52

[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص341

[4]- أبو حيان الأندلسي ، تفسير بحر المحيط ، ج5،ص384

يلإشبّقلتّ[1]نغيم يحو ّ ل الاستفهام إلى معنى التّعجب، على الر ّ غم من أنّ "التّعجب ضرب من الخبر "[2] .

ومما ورد بأسلوب الاستفهام ولكن على دلالة التّوبيخ، قوله تعالى ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾[الأحقاف/20]، قال الفراء: (قرأها الأعمش وعاصم ونافع المدني بغير استفهام، وقرأها الحسن وأبو جعفر المدني بالاستفهام "أأذهبتم"والعرب تستفهم بالتّوبيخ ولا تستفهم فيقولون : ذهبت ففعلت وفعلت، ويقولونأذهبت ففعلت وفعلت، وكل ّ صواب)[3] .

واعتبر الرازي أنّ قوله تعفَظَنَّ﴿ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾[الأنبياء/87] استفهام بمعنى التّوبيخ معناهأظن ّ أن لن نقدر عليه عن ابن زيد)[4]، وهو يحمل هذه الدلالة رغم غياب الأداة.

وممّا جاء بلفظ الاستفهام ومعناه الخبر المحض قوله عز ّ وجل ّ ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾[الإنسان/1] فهل بمعنى قد، أي قد أتى عليه ذلك[5]ولعل ّ خروج الاستفهام إلى معنى الخبر من مفارقات التّنغيم لأنهما "معنيان متدافعان"[6]. بل قد يحمل أسلوب الاستفهام أكثر أكثر من دلالة، ومن ذلك :

- **التعجب والتوبيخ**:قول الفر ّ اء (وقوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾[البقرة/28]وجه التّعجب والتوبيخ، أي و َيحْ َكُم ْ كيف تكفرون![7] .

وكل ّ تلك المعاني يعكسها الأداء من خلال النّطاقات التّنغيمية، وما من شك أنّ كل خروج دلالي يواكبه تغير على مستوى الأداء والتّنغيم، فما جاء بصيغة الاستفهام ومعناه التقرير له أنماط تنغيمية تختلف عما جاء بالصيغة التركيبية ذاتها، ولكن بمعنى التّعجب، أو التوبيخ ... فلكل معنى خاص أنماط خاصة [8] .

---

[1]- الفراء ، معاني القرآن ، ج1،ص423

[2]- ابن جني ، الخصائص ،814.

[3]- الفراء، معاني القرآن ، ج3ص54

[4]- الرازي، التفسير الكبير ، ج22،ص216

[5]-انظر، ابن جني، الخصائص، ص612.

[6]- ابن جني، المحتسب ، ج2،ص165

[7]- الفراء ، معاني القرآن ،ج1،ص23

[8]- أنظر ، أحمد البابيي ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ، ج1،ص282

ولا يقتصر الخروج الدلالي على الاستفهام فحسب، بل يتعداه إلى أساليب أخرى وفي ذلك يقول ابن جني (واعلم أنه ليس شيء يخرج عن بابه إلى غيره إلا الأمر قد كان وهو على بابه ملاحظا له، وعلى صدد من الهجوم عليه)[1] ، ومن ذلك :

-الدلالة على النهي وذلك بقالب تركيبي خبري رغم أنّ النهي من الأساليب الإنشائية قال أبو حيان الأندلسي في﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾[الإسراء/33] (فلا يسرفُ) بضم الفاء على الخبر، ومعناه النّهي وقد يأتي الأمر والنّهي بلفظ الخبر، وقال ابن عطية في الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر، وفي قراءة أبي (فلا تسرفوا في القتل)إنّ ولي المقتول كان منصورا انتهى [2] .

ومن هذا القبيل أيضا ما جاء بأسلوب الأمر للدلالة على الخبر قوله تعالى﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[مريم/38]بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم وقوله سبحانه ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾[مريم/75] فسيمدد له الرحمن مدّا، أو فليمدن الرّحمن مدّا[3] .

فما أسلوبه الأمر و معناه الخبر له نطاق تنغيمي يختلف اختلافا تاما عما أسلوبه و دلالته الأمر و العكس فما لفظه الخبر و معناه الأمر له أداء تنغيمي يختلف اختلافا بينا عما لفظه و معناه الخبر.

ومجمل القول إنّ الكثير من أساليب الاستفهام والخبر والتوكيد والنداء والإثبات والنفي... تخرج عن معانيها الأصلية لتتلبس نطاقات تنغيمية جديدة استجابة لمعاني جديدة، وقد تنبّه أهل الدراسات القرآنية لذلك، ومنهم الزّجاج الذي أفرد في كتاب إعراب القرآن للظّاهرة بابا سماه (هذا باب ما جاء في التنزيل وقد حمل فيه اللفظ على المعنى وحكم عليه بما يحكم على معناه لا على اللفظ)[4]. ومما ذكر فيه "ولهذا جاء" ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78)﴾[سورة هود]، بخلاف قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[الأعراف172].

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ص551.

[2]- أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ج6،ص31

[3]- ابن جني، المنصف، ج1، ص317

[4]- الزجاج، إعراب القرآن، ج2، ص616-629

فجاء الاختلاف في الآيتين، كما جاء الر ّفع والنّصب في المسألة فحمل مرة على الإثبات، وأخرى على النفي... وكذلك﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾[مريم/75] وإلى هذا النحو ذهب أبو عثمان في قولهم: ألا رجل ظريف؟ فقال : اللفظ لفظ الخبر والمعنى معنى التمني [1] .

وهكذا تحافظ الأساليب على بنياتها التركيبية ولكن دلالتها تتغير النظم التنغيمية (حيث تكون النّغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تبلى هذه المعاني لأنّ هذه الجمل لم تتعرض لتغيير في بنيتها ولم يضف إليها أو يستخرج منها شيء ولم يتغير فيها إلا التنغيم وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية)[2] ومن هنا يقوم التّنغيم برفع اللّبس الدّلالي بين الجمل .

- أنماط التنغيم:

لقد خلص تمام حسان إلى النّماذج أو الموازين التّنغيمية العربية التالية :

1/ الإيجابي الهابط:

ويستعمل في تأكيد الإثبات كقولك في جواب من أنكر أنّه هو من قام بفعل معين: أنت فعلت هذا لا غيرك، ويستعمل أيضا في تأكيد الاستفهام بكيف وأين ومتى وبقية الأدوات فيما عدا هل والهمزة .

2/ الإيجابي الصاعد:

ويستعمل في تأكيد الاستفهام بهل والهمزة .

3/ النسبي الهابط:

يوظف في الإثبات غير المؤكد، ومن ذلك التحية والكلام التام وتفصيل المعدودات والنداء وما عبر به عن فكرة مكمّلة لكلام سابق مباشرة كما في "لقد قابلت أخاك ...على دراجته، والاستفهام بغير هل والهمزة .

4/ النسبي الصاعد:

ويستعمل في الاستفهام بهل والهمزة أو بلا أداة .

---

[1]- المصدر نفسه، ج2، ص628-629

[2]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص288

5/ السلبي الهابط:

ويوظف في تعبيرات التسليم بالأمر نحو لا حول ولا قوة إلا بالله، وعبارات الأسف والتّحوكل ّ ذلك مع خفض الصّوت.

6/ السلبي الصاعد:

ويوظف في التمني، والعتاب المنتهي بنغمة ثابتة أعلى ممّا قبلها[1].

وقد لاحظ أحمد محمد قدّور أنّ نماذج تمام حسان تخلو من نماذج تنتهي بنغمة صاعدة هابطة أو هابطة صاعدة مما يشير إلى ضرورة متابعة هذا الدّرس للوصول إلى نتائج وافية بالغرض، ولعلّ الدراسات المأمولة في هذا الصدد تصل إلى قواعد دقيقة تساعد على وضع قوالب تنغيمية للقراءة والإلقاء تضاف إلى قواعد التّجويد التي حفظت لنا صورة عالية لنطق القرآن والعربية[2].

غير أن تمام حسان حين ختم بقوله (وكم أجد في نفسي أمنية حارة أن ينظم المجمع اللغوي دراسات للتنغيم تنتهي بخلق مستوى صوابي موحد للقراءة والإلقاء في البلاد العربية كلها، حتى لا تكون العربية الفصحى خاضعة في كل إقليم للعادات النطقية العامية، وحتى لا يجد العربي غرابة في إلقاء أخيه العربي، فيكون أقدر على فهمه)[3] دليل على أن دراسته ليست وافية ولا شاملة، بل هي في حاجة إلى دراسات أخرى .

وعلى الرغم من القصور الذي طبع الدّراسات العربية لملمح التّنغيم، غير أنّ ما ورد في الدراسات القرآنية حول قضايا التّنغيم وإن لم ترتق لتشكل تصورا شاملا تثبت وجود التنغيم في العربية القرآنية.

ولعلماء القراءات والتجويد إسهامات متميزة في هذا المجال، أبرزهم الشيخ محمد بن محمود بن محمد السّمرقندي (ت 780هـ) إذ يقول (إنّ العرب ترفع الصوت بما النافية والجاحدة وتخفض الصّوت بالخبرية، وتمكّن بالاستفهام بحيث تصير بين بين، أي بين النّافية والخبرية، مثال ذلك إن

---

[1]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص202-203

[2]- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م، ص108-109 .

[3]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص203-204

قال قائل:ما قلت، ويرفع الصّوت بها يعلم أنها نافية وإذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية)[1]

وقد أكد السمرقندي هذا المعنى في قصيدته المعروفة في التجويد (العقد الفريد) فيقول:

إذا نفي أو لجحد فصوتها أَرْ فَعَنْ للاستفهام مَكّنن وعدّلا

وفي غير، خفضْ صوتها والذي بما شبيهٌ بمعناه فقسْهُ لتَفْضُلا

كهمزة الاستفهام مع مَنْ وأن وإن وأفعل تفضيل وكيف وهل ولا[2]

وانطلاقا من هذه الصّور النّطقية وهي الرّفع والعدل(بين بين)الخفض حدّد السّمرقندي ثلاثة منحنيات، وإن لم يوظف كلمة نغمة –إشارة إلى درجة الصّوت الصاعد والمستوي وكذلك الهابط – فالرفع يوازي النغمة الصاعدة Rising والعدل أو بين (مع التمكين) و كل ذلك يوازي النغمة المستوية Even /-/، والخفض يوازي النغمة الهابطة Falling /) /.

وقد ربط هذه المنحنيات بالأدوات (حروفا و أسماء)في علاقتها بمعان محدّدة .

1/ منحنى الرفع :

ويرتفع الصوت – حسب السمرقندي – مع (ما) إذا دلت على النفي أو الجحد، وكذلك مع (كيف) و(هل) و(همزة) الاستفهام ومع (من) و(أن) و(إن) و(أفعل) التفضيل و(لا) .

فبخصوص النفي والجحد يقول السيوطي معرفا النفي: (من أقسام الخبر النفي بل هو شطر الكلام كلّه ... وأدوات النفي: لا ولات وليس وما وإن ولم ولما ...قال الحوبي أصل أدوات النفي لا وما لأنّ النفي إما في الماضي وإما في المستقبل والاستقبال أكثر من الماضي أبدا، ولا أخفّ مفوضلوا الأخفّ للأكثر، ثم إنّ النّفي في الماضي إمّا أن يكون نفيا واحدا مستمرا أو نفيا فيه أحكام متعددة وكذلك النفي في المستقبل، فصار النّفي على أربعة أقسام واختاروا له أربعة كلمات: ما ولم ولن ولا وأما إن ولما فليس بأصلين فما ولا في الماضي والمستقبل والميم من ما التي هي لنفي الماضي جمع بينهما إشارة إلى المستقبل والماضي وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن لا

---

[1]- السمرقندي، محمد بن محمود بن محمد، روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد(مخطوط)، 139ظ، نقلا عن: غانم الحمد قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص479

[2]- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

هي أصل النفي، ولهذا ينفي بها في أثناء الكلام فيقال لم يفعل زيد ولا عمرو وأما لما فتركيب بعد تركيب كأنّه قال لم وما لتوكيد معنى النّفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد لما الاستمرار[1].

إنّ النفي إذًا له أدوات عديدة وكذلك معان متنوعة من قبيل الخاص والعام وغيرهما وكل معنى يرافقه التذاذ باللفظ أو نغمة معينة وهذا ما فطن له السيوطي حين قال : (ولا شك أن زيادة المفهوم من اللّفظ توجب الالتذاذ به)[2] .

وكما عرفالصّوت في النفي يرفع كذلك في الجحد وهو جزء من النّفي والفرق بينه وبين الجحد أنّ النفي إن كان صادقا سمي كلامه نفيا ولا يسمى جحد وإن كان كاذبا سمي جحدا أو نفيا أيضا فكل جحد نفي وليس كل نفي جحد... ومثال الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى قال تعالى ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾[النمل/ 13- 14])[3] .

فموضع الجحد هنا كـ(**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**) حيث يرتفع الصوت بها غير أنها لم تستند على أي أداة نحوية لأدلهذا المعنى، بل قام التّنغيم عن طريق رفع الصّوت بهذه المهمة[4] .

إنّ الصّوت يرتفع مع كل الأدوات التي حملها النحاة معنى النفي أو الجحد، أو مع كل المعاني الدالة عليهما .

ويوظف منحنى الرفع كذلك في جمل أخرى تشترك مع النفي والجحد وهذا ما ذهب إليه ابن جني وهو يحتج لقراءة الحسن البصري:(سأوريكم) بالواو (وزاد في احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ، فمكّن الصّوت فيه وزاد إشباعه واعتماده، فألحقت الواو فيه لما ذكرنا) [5].

---

[1]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص76

[2]-المصدر نفسه، ج2، ص78

[3]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج2، ص77

[4]- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ،ج1،ص289

[5]- ابن جني، المحتسب،ج1، ص259

والأمر نفسه ينطبق على التّعجب بحسب ما يستخلص من حديث ابن جني عن قوله تعالى ﴿**يا حسرة على العباد** ﴾وغيرها: الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك مقَطَعْلَكوقَطَّعَ ، وكَسَرَ وكَسَّرَ ، وزادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه – علمت أن قراءةحمزةوقرأ: َه على العِبَادْ ، بالهاء ساكنة إنّما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك أنه في موضع وعظ وتنبيه، وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعل المستعظم للأمر المتعجب منه، الدال على أنه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره [1] .

ويستعمل منحى الرفع أو قوة النّغمة كذلك في القسم، ففي القسم يرتفع الصوت ويعضد هذا الارتفاع تمكين الصوت وإشباعه مع التثبت فيه، وهذا ما أكده ابن جني في سياق حديثه عن قوله تعالى ﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ** ﴾[المائدة/89]،(**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**) قالوا في تفسيره: هو كقولك: لا والله، وبلى والله، فأين سرعة اللّفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبت فيه، والإشباع له، والمماطلة عليه من قول الهذلي :

فو الله لا أنسى قتيلا رزئته بجانب قوسي ما مشيت على الأرض؟

أفلا ترى إلى تطعمك هذه اللفظة في النطق هنا بها، وتمطيطك لإشباع معنى القسم عليها؟[2]

وقد وضح ابن جني هذا بصورة أفضل في معرض حديثه عن قراءة الشعبي :" شهادةْ "آلله، مجزومة الهاء ممدودة الألف... وأما (آلله)المدّ فعلى أنّ همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم، ألا تراك لا تجمع بينهما فتقول: أوالله لأفعلن؟ وأما سكون هاء(شهاده) فللوقف عليها ثم استؤنف القسم، ووجهه حسن، وذلك ليستأنف القسم في أول الكلام فيكون أوقر له وأشدّ هيبة من أن يدرج في عرض القول، وذلك أنّ القسم ضرب من الخبر ليؤكد به خبر آخر فلما كان موضع توكيد مُكّن من صدر الكلام، وأعطي صورة الإعلاء والإعظام[3] .

---

[1]- ابن جني، المحتسب،ج2، ص210

[2]- ابن جني، المحتسب،ج2، ص209.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص221

فالإعلاء والإعظام منح للقسم الذي يحمل دلالة تأكيد الخبر، وعليه فإنّ صورة التوكيد تعتمد على منحنى الرّفع .

ونستطيع أن نلمس رفع الصوت في التّعبير عن الدعاء أيضا، من خلال ترتيل هذه الآيات التي يختلط فيها الدعاء توجه ورجاء، واعتماد واستمداد من الثّقة بوفاء الله بالمعاد بالنّدم والاستغفار:﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ(193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)**﴾[سورة آل عمران] فالصوت يرتفع على امتداد هذا الدّعاء الطّويل ليعود للانخفاض بانتهائه أي من:**"فاستجاب لهم ربهم..."** يقول سيد قطب مفسرا الآيات المذكورة :(تنطلق ألسنتهم بذلك الدعاء البطيء الخاشع، الواجف، الرّاجف المنيب، ذي النّغم العذب، والإيقاع المناسب، والحرارة البادية في المقاطع والأنغام.المدّ يمنح الدّعاء رنّة رخيّة، وعذوبة صوتية تناسب جوّ الدّعاء والتّوجه والابتهال .

وهناك ظاهرة فنية أخرى ... إنّ عرض هذا المشهد:مشهد التّفكر والتّدبر في خلق السّماوات والأرض، واختلاف اللّيل والنّهار، يناسبه دعاء خاشع مرتل طويل النّغم عميق النّبرات، فيطول بذلك عرض المشهد وإيحاءاته ومؤثراته، على الأعصاب والأسماع والخيال، فيؤثر في الوجدان، بما فيه من خشوع وتنغيم وتوجه وارتجاف...وهنا طال المشهد بعباراته وطال بنغماته مما يؤدي غرضا أصيلا من أغراض التّعبير القرآني ويحقق سمة فنية أصيلة من سماته)[1] .

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص546-548

ويستعمل المدّ مع الرّفع كذلك في نداء التّفجّع والحسرة التي يرافقها النّدم ولذلك قال سيد قطب في قوله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29)**﴾[سورة الفرقان] فهذا النّدم للطويل، والتّذكر لما مضى، مصحوبا بالنّغمة الطويلة الممطولة، والموسيقى المتموجة المديدة، يخيل إليك الطّول ولو أنّ اللّفظ نسبيا قليل، وإطالة موقف النّدم تتّسق مع التّأثير الوجداني المطلوب [1] .

ويمكن أن نضيف الشرط إلى النّفي والجحد فيما يتعلق برفع الصّوت، وهذا ما نلحظه في طريقة ترتيل القارئ الشهير عبد الباسط عبد الصّمد للجمل الشّرطية في سورة التّكوير ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)**﴾[سورة التكوير]إلا أنّ النّغمة تتغير في جملة جواب الشرط أي الآية الأخيرة يقول ابن خالويه (وكان عبد الله بن مسعود إذا قرأ هذه السّورة فبلغ «**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**» قال:وانقطاع ظهراه، وكان قرأها في الصّلاة قرأها بنفس واحدة من أولها ووقف «**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**»[2]. وبعد الوقوف على جميع هذه النصوص، ينبغي لقارئ القرآن أن يستعمل فيها منحنى الرفع.

2/ منحنى العدل أو بين بين :

ويوظف هذا المنحنى حسب نصّ السمرقندي في الاستفهام، ويعضد بالتّمكين وهو عبارة(عن مد الصيغة أيضا وقد يعبر به عن المدّ العروضي، يقال منه مَكّن، إذا أريدت الزّيادة)[3].

إذًا هناك زيادة في المدّ، فتمكين المدّ دلالة على الاستفهام، وإذا عدنا إلى كتب القراءات نجدها تجعل التّمكين أحيانا على الاستفهام، يقول القيسي:(كان الحرميان[4]وأبو عمرو إذا

---

[1]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص113

[2]- ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، ج2، ص466

[3]- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص68

[4]- يقصد ابن كثير المكي و نافعا المدني.

استفهموا حقّقوا الأولى وخفّفوا الثّانية بين الهمزة والياء، غير أنّ أبا عمرو وقالون يدخلان بين الهمزتين ألفا فيمدان .فأمّا علّة الاستفهام والخبر فحجة من استفهم في الأولى والثاني أنّه أتى بالكلام على أصله، في التقرير والإنكار أو التوبيخ بلفظ الاستفهام ففيه معنى المبالغة والتوكيد، فأكد بالاستفهام هذه المعاني وزاده توكيدا بإعادة لفظ الاستفهام في التّأني، فأجراهما مجرى واحدا)[1].

وفي تعليق الأذفوني على نحو " أأنذرتهم " وشبهه قال بشأن مذهب ورش في ذلك : لم يمدّها هنا لاجتماع الألف المبدلة من همزة القطع مع الألف المبدلة من همزة الوصل لئلا يلتق ساكنان، قال ويشبع المدّ ليدل بذلك أنّ مخرجهما مخرج الاستفهام دون الخبر[2].

ويعمد القراء إلى المدّ الذي يرافق العدل، وهو المقصود بقول السّمرقندي:"مكّن وعدلا " للدلالة على الاستفهام وهم يصرّون على التّنغيم حتى لا يلتبس الاختبار بالخبر وهذا ما عبرّ وا عنه بوضوح يقول الزّجاج مثلا(إنّ السّبعة اجتمعت على مد "آلذاكرين" في الموضعين و" آزر" على وزن أفعل)[3] .

وقال ابن الجزري بعدما عرض المواقع المختلفة عليها بين القراء، أي هل تؤدي أداء استفهام أم أداء خبر؟ (وكلّ من استفهم في حرف من هذه الاثنين والعشرين فإنّه في ذلك على أصله من التّحقيق والتّسهيل وإدخال الألف إلا أنّ أكثر الطّرق عن هشام على الفصل بالألف في هذا الباب أعني الاستفهامين) [4] .

وهذا ما ذهب إليه ابن جني عندما قال (قرأ:"آن جاءه الأعمى"بالمدّ الحسن. قال أبو الفتح أن معلقة بفعل محذوف دل عليه قوله تعالى «عبس وتولى» تقديره أأن جاءه الأعمى أعرض عنه، وتولىّ بوجهه؟ فالوقف إذًا على قوله وتولىّ ، ثم استأنف لفظ الاستفهام منكرا للحال، فكأنّه قال: ألأن جاءه الأعمى كان ذلك منه؟ [5] .

---

[1]- القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف في وجوه القراءات السبع وعللها، ج2، ص21

[2]- ينظر، ابن الجزري،النّشر في القراءات العشر، ج1، ص365

[3]الزّجاج، إعراب القرآن، ص362

[4]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1،ص374

[5]- ابن جني، المحتسب، ج2، ص352

ويقول القيسي في الزّيادة في المدّ :(من هذا الباب في المدّ قوله:﴿آللَّهُ ﴾[النمل/59] و﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ [الأنعام/144] لأنّه أبدل من ألف الوصل ألف صحيحة ليفرق بين الاستفهام والخبر فلمّا أتى بعدها حرف مشدّد لأجل إدغام لام التّعريف فيما بعدها زادوا في مد الألف التي هي عوض من ألف الوصل، لتقوم المدّة مقام الحركة، فيوصلها إلى اللّفظ بالمشدّد، وقوي المدّ في ذلك، لأنّ لفظة الاستفهام، وليس في الكلام موضع يثبت لألف الوصل فيه عوض في الوصل غير هذا النّوع "وأيم الله" في الاستفهام وفي القسم [1] .

إذن هذا المدّ للصوت يشترك فيه الاستفهام والقسم ولكن المدّ مع الرّفع يعني القسم ومع العدل يعني الاستفهام .

3/ منحنى الخفض:

ويعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضا، وتستعمل النّغمة الهابطة في مجالات عديدة منها :

-الجمل التي تعتبر مفتريات، يقول النّووي (ومن الآداب إذا قرئ نحو ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[التوبة/30]، و﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة/64]، أن يخفض بها صوته وكذا كان النّخعي يفعل)[2] .

إنّ هذه الآيات فيها جرأة على الله وكفر، وتحدّ، وتقوّل عليه، أو افتراء عليه، لذلك فهي تؤدّى على مستوى طبقات الصّوت بصوت منخفض تعظيما لله واستحياء منه، وتسفيها وتحقيرا لقائلها .

فالتّنغيم أوسع من أن يحصر في ما يسمى بهبوط النّغمة، أو صعودها، ولكن كل يحيط بالنّطق من طرق الأداء، منها:

التّأنيّ وما يرافقه من مدّ وإشباع، والإسراع في الأداء وهي ملامح ثانوية تعالق الرئيسية خاصة المدّ والطّول والتّفخيم، يقول ابن جني:(قد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها، وذلك فيما حاكاه صاحب الكتاب من قولهم: يسير عليه ليل، وهم يريدون:ليل طويل، وكأنّ هذا

---

[1]- القيسي، الكشف في وجوه القراءات السبع و عللها، ج2،ص61

[2]نقلا عن السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص107

إنّما حذفت فيه الصّفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التّطويح والتّطريح والتّفخيم والتّعظيم وما يقوم مقام قولك طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته وذلك أن تكون في مدح إنسان والثّناء عليه، فتقول: كان والله رجلا فاضلا تزيد في قوّة اللّفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصّوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك .

وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا تتمكّن الصّوت بإنسان وتفخّمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك)[1].

نستنتج من قول ابن جنيّ أنّ المدح والثّناء هو موضع آخر لرفع الصّوت ومدّه حيث إنّ قوّة اللّفظ ورفع الصّوت بلفظ الجلالة (الله)، مع تمكين لام (رجلا) وتطويله وتمطيطه يعني أنّ المتحدّث يمدح ويثني على هذا الرّجل .

وأنّ التّفخيم في قوله من تمكين الصّوت بـ/ إنسان / وتفخيمها هو مدّ وقوّة اللّفظ أو الرّفع هي ملامح متلازمة بل ومترادفة [2] .

إنّ اللّواسات القرآنية لم تقدّم تصورا كاملا وشاملا عن الأنماط التّنغيمية وعن القضايا ذات الصّلة به، ولكن تلك الاشراقات الواردة فيها توضّح أنّ علماء العربية والتّجويد أدركوا أهمية التّنغيم في تفسير وتوضيح المعاني والإعراب .

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ص218

[2]- ينظر، أحمد البابيي، القضاياالتطريزية في القراءات القرآنية، ج1، ص304

المبحث الثالث: دلالة الفاصلة القرآنية

للفاصلة القرآنية جوانب جمالية وفنية تسهم في تأثير كلام الباري عز وجل في نفس السامع وتجلب اهتمامه وتحشد ذهنه كاملا لتدبر معاني هذا الكتاب العزيز، ففواصل القرآن العظيم تراعي معنى الكلام ودلالاته قبل ألفاظه ومبانيه، بخلاف ما عليه كلام البشر من مبالغة الاهتمام بالصناعة اللفظية مع إغفال جوانب الدلالة .

وتعد الفاصلة في القرآن جزء من الآية القرآنية، لأنها تنتهي بها فتكتسب دلالتين هامتين: الأولى دلالة صوتية تتمثل في الإيقاع والرّنين الصّوتي، المحكوم بنسق الآية والسياق العام، أما الثانية فهي دلالة معنوية تحمل تمام الفكرة في الآية.

ولا شك أنّ استقلالية أية كلمة بحروف معينة، يكسبها صوتيا ذائقة سمعية منفردة، تختلف عمّا سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه، مما يجعل كلمة ما دون كلمة وإن اتّحدا بالمعنى، لها استقلاليتها الصوتية إمّا في الصّدى المؤثر، وإما في البعد الصّوتي الخاص، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى، وإما بإقبال العاطفة وإما بزيادة التوقع، فهي حينا تصكّ السّمع، وحينا تهيئ النّفس، وحينا تضفي صيغة التّأثر، فزعا من الشيء، أو توجها لشيء، أو طمعا في شيء[1] ولعلّ الآية الآتية التي وردت فيها الفاصلة متلائمة تماما مع المعنى المراد، قال تعالى ﴿**إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)**﴾[غافر/71- 74]. هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة وهو لون من العذاب الذي يلحق بالكافرين يوم القيامة فأيديهم تربط بالأغلال، والأغلال هي القيود التي تجمع في ربطها بين اليد والعنق، وتتدلّى من هذه القيود السلاسل، حيث يسحبون منها إلى ماء حار ثم يحرقون في النّار. قال ابن كثير: (إنّ صلة بالأغلال بأيدي الزّبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم)[2].

---

[1]- ينظر، محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص144.

[2]- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السّلامة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الرّياض، المملكة العربيّة السّعودية، ط1، 1418هـ/ 1997م، ج7، ص157.

وقد وردت الفاصلة (يسحبون) مرتبطة – من حيث المعنى- بالسلاسل ومتصلة بقوله "في الحميم" و"يسجرون" لأنّه لو وقفت الآية عند قوله تعالى (ثم في النار...) لكان المعنى غير ثابت وغير مستقر كما أنّ فاصلة (تشركون) متصلة بقوله (من دون الله) لبيان الضلال عن الحق والبعد عن التوحيد، ومن ثمّ لزوم الوقف على الفاصلة برغم الاتصال.

وقدترتبط الفاصلة القرآنية بالسّياق الذي تستقر فيه وتتلاءم معه، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، كقوله ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا(25)﴾[الأحزاب/25] تعرض الآية موقف الأحزاب وقد خرجوا لغزو المدينة، حيث ردّهم الله على أعقابهم خاسرين ولم يشف صدورهم بما تمنوا تحقيقه، بل اكتسبوا الإثم والعذاب وكفى الله المؤمنين شرّهم بإرسال الريح حتىّ ولوا مدبرين منهزمين، وكان الله قادرا على الانتقام من أعدائه عزيزا غالبا لا يقهر[1]. فجاءت الفاصلة في قوله (قويا عزيزا) مختلفة في الحرف الأخير (ّاي) متفقة في التنوين، وهذا التنوين لون من ألوان الإيقاع المؤثر في النفس، والحامل قدرا كثيرا من الرنين الصوتي، ويرى الزّركشي[2] أنّه لو انتهت الآية عند قوله تعالى(وكفى الله المؤمنين القتال)لم بعض الضّعفاء أنّ ذلك يعني موافقة الكفّار في اعتقادهم أنّ الرّيح التي كانت سبب رجوعهم، ولم يبلغوا ما أرادوا، وأنّ ذلك أمر اتفاقي، فأخبر الله سبحانه وتعالى في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزّة، ليعلم المؤمنين ويزيدهم يقينا وإيمانا على أنّه الغالب الممتنع وأنّ حزبه كذلك.

وأنّ هذه الفاصلة بيّنت أنّ تلك الرّيح التي هبت ليست اتفاقا بل هي من إرساله عز وجل على أعدائه كعادته، وأنّه ينوّع النّصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانا بنصرهم، وتثبيتا لقلوبهم.

وهكذا فإنّ ما أورده القرآن الكريم في هذا السّياق متجاوب مع معطيات الدّلالة الصوتية للفاصلة التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها، ونستقرؤ من خلاله مدلول الرّجاء، والوعد، والترّصّدفهنا إثبات لحقيقة إسناد كلّ ما تمّ من الأحداث والعواقب إلى الله تعالى وإقرار لهذه الحقيقة، فيوحي السياق في قوله تعالى﴿إِنْ تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم

---

[1]- ينظر، الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص521-522.

[2]- ينظر، الزركشي، البرهان، ج1، ص79.

فإنّك أنت العزيز الحكيم"بالغفران غير أنّ الآية لم تنته بما يلائم الدلالة الظاهرة وذلك كأن تكون الفاصلة (الغفور الرحيم) ذلك أنّه ما انتهت آية قرآنية إلا بفاصلة ملائمة كل الملاءمة لمعناها مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها، غير نافرة ولا قلقة[1]. فالفاصلة القرآنية لم تأت كحلية لفظية لا ارتباط لها بالمعنى أو اعتبار له بل ترتبط بالفكرة والهدف.

ولعل قصة الأعرابي ذو الحس اللغوي الصافي، يؤكد مكانة الفاصلة وموقعها من حيث دلالة المعنى ودلالة الإيقاع معا حين سمع قارئا يقرأ قوله تعالى ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209) ﴾[سورة البقرة].فقال الأعرابي:إنّ الحكيم لا يذكر الغفران بعد الزلل لأنه إغراء،وكأنّه يريد أن يوحي بأنّ العبارة لا تتناسق مع المعنى المراد من الآية، وهذا يعني أنّ الفاصلة في هذا الموضع "رحيم" لا تتلاءم مع المعنى أو مع السياق، لأن تتابع السياق تحدّدها الألفاظ (زلل-بينات-اعلموا)التي تبين أنّ الحق يعني الالتزام بأمور الدين. وبالتالي الالتزام بالأمر الإلهي، ومن ثم فإنّ الحكم الطبيعي للخارج عن التعاليم الإلهية ليس الغفران وإنّما الشّدة.

وما يلفت النظر أنّ القارئ راجع قراءته فعلم خطأه وصحّح الآية الكريمة فأكملها بقوله" فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم ". وعليه اعتبر الرماني[2] الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها (وهذا هو الحد الفاصل بين فنية البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنية بدلالاتها المعنوية المرهفة ونسقها الفريد في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدّمه الصفة البديعية من زخرف لفظي يكره الكلمات على أن يجيء في غير مواضعها البيانية)[3]

إذن لم تأت الفواصل (لغرض لفظي فحسب، وهو اتّفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، وهو ما يعبرّ ون عنه بمراعاة الفاصلة، إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمله السياق وتقتضيه الحكمة ، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع)[4]فهي تؤدّي معنى تتم به الفائدة و يطلبه السياق، وأثناء رد فضل عباس قال(لدّقة في الفاصلة القرآنية والترّتيب المحكم والنّظام البديع لا يقل عمّا في هذا الكون، فخالق الكون

---

[1]-ينظر، الزركشي، البرهان، ج1، ص79.

[2]- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص97.

[3]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص258.

[4]- فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص222.

ومنزل القرآن هو الله الذي أتقن كل ّ شيء وكان حري ّا بأولئك أن لا يصدروا أحكاما على ما لا يعلمون، وهذا ما تقتضيه بديهيات البحث العلمي)[1].إذن الفاصلة القرآنية لها وظيفتان الوظيفة الرئيسة معنوية يحتملها السياق، ووظيفة أخرى لفظية تتصل بجمال الإيقاع، ولا يجوز أن نقول إن ّ الفاصلة جاءت لتتفق مع رؤوس الآي الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوي، وهذا ما قررته أيضا الدكتورة عائشة عبد الر ّحمن في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن) .

والغرض المعنوي للقرآن هو المعنى الذي تؤد ّيه الفاصلة، قال علي الجندي (من مزايا معاني الفواصل في القرآن الكريم شد ّة ارتباطها بما قبلها من الكلام، وقو ّة تعطّف الكلام عليها، كأنّ ما معا جملة مفرغة يسري فيها روح واحد، ونغم واحد ينحدر إلى الأسماع انحدارا وكأن ّ ما سبقها لم يكن إلا ّ تمهيدا لها لتتم ّ معناه، حتى لتبلغ من وقوعها موقعها واطمئنانها في موضعها أنّ ها لو حذفت لاختل ّ معنى الكلام واضطرب فهمه واستغلق بيانه ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقا مع الطّبع الملهم والذّوق السليم)[2] من ذلك أن ّ أعرابيا سمع رجلا يقرأ ﴿**وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر**﴾ قرأها بفتح الكاف فقال الاعرابي: لا يكون! فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال: يكون.

واتصال الفاصلة مع السياق قد يكون ظاهرا لا يحتاج إلى مزيد نظر، وقد يحتاج إلى تأمل وتفكّر ودراية بمعاني الكلمات الد ّقيقة وهذه الد ّراية هي التي تبين ّ تمكّن الفاصلة من موقعها .

---

[1] فضل عب ّاس، قضايا قرآنية، ص82.

[2] - علي الجندي، صور البديع، ج2، ص192.

الفصل الثالث

الدلالة الصوتية لفواصل سورة مريم

المبحث الأول: سورة مريم ومحورها والجو الذي نزلت فيه

المبحث الثاني:اختيار الفواصل في سورة مريم

المبحث الثالث:الدراسة ما فوق المقطعية لفواصل السورة

يتناول هذا البحث سورة مريم، ويحاول أن يستنطق آياتها المباركة في هذه السّورة من خصائص في نسق حروفها وألفاظها، وفي تركيب جملها وأساليبها وما يتولّد من معنى و دلالة تبوح بها كلمات الله المقدّسة .

المبحث الأوّل:

أوّلا سورة مريم ومحورها والجو الذي نزلت فيه:

لقد انتفضت فكرة البحث عن اللاّلة الصوّتية للفاصلة القرآنيّة لتجد في سورة مريم فضاءً واسعاً للبحث عن مثل هذه اللاّلة ، فلكلّ سورة بصمتها الخاصةّ التي تميّزت بها عن غيرها فهي سورة ميكّية نزلت بعد سورة "فاطر" وقبل سورة "طه" وقد توسّطت سورتي "الكهف وطه"، عدد آياتها ثمانية وتسعون،هي السّورة التّسعة عشرة في ترتيب السّور القرآنيةغير خفيّ أنّ ترتيب السورّ في المصحف الشّريف يخالف ترتيبها نزولاً ، وذلك لاقتران النّزول بملابسات ووقائع في حياة النّاس زمن البعثة وكان جبريل عليه السّلام- ينزل بالآية وموضعها من سورتها على النّبي – صلى الله عليه وسلم- فيأمر النّبي عليه الصّلاة والسّلام كتّاب الوحي بأن توضع آية كذا في سورة كذا، محدّدا موضعها[1].

موضوعهافهو شرح التّوحيد و نفيالولد والشريّك مع الإلمام بقضيّة البعث المترتّبة على التّوحيد[2].

أمّا **لماذا السّورة** فهيالقصص، هي قصةّ زكرياّ ويحي، فمريم وعيسى وكذا جانب من قصّة إبراهيم مع أبيه وقومه، وإشارات إلى قصص الأنبياء من إسحاق ويعقوب وموسى وهارون، وإسماعيل وإدريس، وآدم ونوح .

و المتأملّ في هذه السّورة المباركة يلحظ أنّجوّ ها العامض بالرّحمة والعطفالروّ جاء فقد بدأت السورّة بالحديث عن الرّحمة التي غمرت زكريّا عليه السّلام ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ

---

[1]- من حديث عثمان رضي الله عنه قالكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو تتنزّل عليه السورة من ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشّيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذاالترّمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ، الجامع الصّحيح(سنن الترّمذي)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، داركتب العلميّة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص57.

[2]-سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2299.

﴿عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2)﴾ لتليها قصّة مريم مباشرة وميلاد عيسى -عليهما السّلام- مرورا بإبراهيم مع والده، وموسى، وإسماعيل، وإدريس عليهم السّلام- مفصّلة النّعم التي أغدق الله سبحانه تعالى بها على عباده الصّالحين،مؤاصرته إيّاهم .

ثمّ عرضت لرحمة أخرى وعد بها الله المتّقون ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96)﴾ولعلّ الغرض الأساس من ذكر هذه الرّحمات هي تثبيت لقلب النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في دعوته قومه الذين قابلوه بالظّلم والقسوة والجفاء، وتحمل ما لا يطاق متبّعا في ذلك سنّة أسلافه الأنبياء عليهم السّلام- من خلال الحديث عن المعجزات التي أيّد الله تعالى أنبياءه الذين وردت قصصهم في السّورةفزكريّا قد رزق بالوارث بعد أن بلغ به الكبر وامرأته كانت عاقراً، ومريم حملت بعيسى من غير زوج، والمسيح قد تحدّث في مهده وهو صبيّ ورزق إبراهيم بالولد بعد اعتزاله لملّة الشّرك ونصره على أعدائه، وتوالت إشارات لقصص بعض الأنبياء ومن اهتدى بهم .

وعليه فقد أحيت هذه السّورة روح الأمل في نفس النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-بأنّ النّصر سيأتي، والوعد سيتحقّق كما تحقّقت المعجزات السّابقة لغيره من أنبياء الله.

معلوم أنّ سورة مريم سورة ميكّية، وقد اعتمد العلماء على منهجين أساسيين في معرفة المكّي والمدني هما:

1- المنهج السّماعي العقلي :

وهو الذي يستند إلى الرّواية الصّحيحة عن الصّحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، والتّابعين الذين تلقّوا عن الصّحابة وسمعوا منهم كيفيّة النّزول ومواقعه وأحداثه [1] .

2- المنهج القياسي الاجتهادي:

وهو الذي يستند إلى خصائص المكّي وخصائص المدنيفإذا ورد في السّورة الميكّية آية تحمل طابع التّنزيل المدنيأو تتضمّن شيئا من حوادثه قالوا: إنّهامدنيّة،إذا ورد في السّورة

[1]- ينظرجلال السّيوطي، الإتقان، ج1، ص32

المدنيّة آية تحمل لطابع التّنزيل المكّي، أوتتضمّن شيئا من حوادثه قالوا: إنّها ميكّية، وإذا وجد في السّورة خصائص المكّي قالوا: إنّها ميكّية، وإذا وجد فيها خصائص المدني قالوا: إنّها مدنيّة، وهذا قياس اجتهادي [1].

ضوابط الأسلوب المكّي ومميّزاته الموضوعيّة: [2]

1- كلّ سورة تفتتح بحروف التّهجّي: "ألم"، "ألر"، "حم"... فهي ميكّية سوى الزّهراوين، وهما البقرة وآل عمران اختلفوا في سورة الرّعد حيث يرى بعضهم أنّها مدنيّة لا ميكّية.

2- كلّ سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم الغابرة فهي ميكّية سوى سورة البقرة.

3- كلّ سورة فيها سجدة فهي ميكّية.

4- كلّ سورة فيها قصّة آدم وإبليس فهي ميكّية سوى البقرة.

5- كلّ سورة فيها "يا أيّها النّاس" وليس فيها "يا أيّها الذين آمنوا" فهي ميكّية، إلا سورة الحجّ ففي أواخرها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا ﴾ [الحج/77]، ومع هذا فإنّ كثيرا من العلماء يرى أنّ هذه الآية ميكّية كذلك.

6- كلّ سورة فيها لفظ "كلّا" فهي ميكّية، ولم ترد إلا في النّصف الأخير من القرآن، وذكرت ثلاثا وثلاثين مرّة في خمس عشرة سورة.

خصائص الأسلوب المكّي ومميّزاته: [3]

لعلّ أهمّ ما يميّز الأسلوب المكّي قصر الآيات وإيجازها مع قوّة الألفاظ وحرارة التّعبير، ووضوح التّجانس الصّوتي في الفواصل القرآنية وهي خصائص متعلّقة بالبحث.

ولتأكيد الفرق بين المكّي والمدني نقف على ثلاثة آراء اصطلاحيّة للعلماء في ذلك، كلّ رأي منها يبنى على اعتبار خاصّ:

الأوّل: اعتبار زمن النّزول:

---

[1] - ينظر، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[2] - ينظر، القطّان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ/ 2000م، ص58-59.

[3] - ينظر، القطّان، مباحث في علوم القرآن، ص57-58.

فالمكّي: ما نزل قبل الهجرة، وإن كان في غير مكّة، **والمدني:**ما نزل بعد الهجرة، وإن كان في غير المدينة، فما نزل بعد الهجرة ولو في مكّة عرف بالمدني كالذي نزل عام الفتح لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)**﴾ [النّساء/58] فإنّها نزلت في مكّة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم، أمّا نزل في حجّة الوداع كقوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)**﴾[المائدة/3] .

الثّاني:اعتبار مكان النّزول:

فالمكّي: ما نزل في مكّة وما جاورها، كمنن، وعرفات، والحديبية، و**المدني:** ما نزل في المدينة وما جاورها كأحد، وقباء، وسلع [1]، ويترتّب على هذا الرّأي أنّ ما نزل في الأسفار، أو في تبوك أو في بيت المقدس لا يسمّى مكيًّا ولا مدنيًّا كما يترتّب عليه أنّ ما نزل في مكّة بعد الهجرة يكون مكيًّا .

الثّالث: اعتبار المخاطب:

فالمكّي: ما كان خطابا لأهل مكّة، و**المدني:** ما كان خطابا لأهل المدينة.

ثانيا أقسام الفواصل في سورة مريم :

تنقسم الفواصل في سورة مريم إلى :

1- **فواصل متماثلة:**

[1]- سلع : جبل في المدينة .

وهي التي تبلغ درجة التّماثل في الوزن، وحرف الرويّ ، ومثال ذلك قول المولى تبارك وتعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80) ﴾.ويمكن القول أنالسّ ورة حافلة بهذا القسم من الفواصل المتماثلة في معظم آياتها المباركة.

2- **فواصل متقاربة أو متوازنة :**

هي التي تتّفق في الوزن دون حرف الرّ وي، نحو قوله تعالى: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38)﴾.

ثالثا- علاقة الفواصل بسياقها من خلال سورة مريم:

تأتلف الفواصل القرآنيّة مع ما يدلّعليه الكلام، فهي لا تأتي لمجرّ د الحلية دون اعتبار المعنى، وليس في فواصل القرآن الكريم فاصلة واحدة جاءت لإكمال الآية إكمالا يخلّ بل لكلّ فاصلة سرهاّ البلاغي الجلي أّو الخفي ّ ، لأنّه لا يمكن استبدال كلمة في القرآن الكريم بكلمة أخرى أيّاكان موقعها في وسط الآيات أو أوّلها وخواتيمها لأنّهلا تقوم مقامها، ولا تؤدّ ي معناها، إضافة إلى أنّهلا تتوافق مع نظامه الصّوتي وجماله اللّغوي[1] .

ومن خلال الوقوف على آيات والقديّتبين ّ أنّ الفاصلة القرآنيّة تأتي في مكانها المناسب، ولا تخرج عن أحد الأمور التّالية:

1/التّمكين:

أن تأتي الفاصلة متمكّنة في مكانها ومنه قوله تعالى﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(34)﴾ في غاية الحسن في هذا الموضع، وذلك لأنّ ما سبق مشاهد من

[1]- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق:د.محمد رضوان الدّ اية، ودقايز الدّ اية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1428هـ/ 2008م ، ص184.

حمل عيسى وولادته وكلامه ورسالته، ليعقب بالغرض المقصود في أنسب موضع من السّياق، بلهجة التّقرير، وإيقاع التّقرير،ذلك عيسى ابن مريم، ذلك هو في حقيقته، وذلك واقع شأنه[1].

2/التّصدير:

أنهتكون لفظة الفاصلة تقدّمت في الآية، وهو ما يسمّى ردّ العجز على الصّدر ومنه قوله تعالى ﴿**لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94)**﴾ فالإحصاء هو الحصر والضبط، يعني حصرهم بعلمه وأحاط بهم[2].

وكذا قوله تعالى :﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا(3)** ﴾ جاءت الفاصلة تصديرا للآية "نادى، نداءً ". وقوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(5)** ﴾ ابتدأت الآية "بالموالي" وجاءت الفاصلة "وليًّا ". وقوله تعالى:﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا(7)** ﴾ جاءت الفاصلة "سميّا " تصديرا للآية "اسمه، سميًّا".

---

[1] ينظر، سيّد قطب، الظلال، ج4، 2300 .

[2] الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص298

المبحث الثّاني: أوّلا اختيار الفواصل في سورة مريم:

تعدّ الفواصل في القرآن الكريم من أساليب البلاغة الجميلة، وتراكيبه الرّصينة المبدعة، وهي رؤوس آياته، فالفواصل هي (الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب صيغ النّطق بها)[1].

والفاصلة القرآنيّة عنصر أساس من عناصر الموسيقا الإيقاعيّة، تأتي في خواتيم الآيات حاملة تمام المعنى، تمام التّوافق والضّبط وتي في آن واحد[2]، هذه الفواصل جزء من الإعجاز في القرآن الكريم، فهي ترجع إلى محسّنات الكلام، وهي جانب من فصاحته تقع في الأسماع فتتأثّر بها نفوس السّامعين.

وممّا لا شكّ فيه أنّ من أهمّ مقاصد الفواصل القرآنيّة أن تؤدّي دورها في قوّة التّركيب، وتمام المعنى ووضوحه ثمّ أن تكون شجيّة النّغم، حلوة الجرس عذبة الرّنين، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها ليتمّ لها الحسن من جميع جهاته.

وإذا كانت الفاصلة القرآنية يتمّ بها النّغم في الآية، فإنّه يتمّ بها أيضا معنى الآية، فليس النّغم الصّوتي هو الذي يحكم هذه الفاصلة أو تلك، إذ لا يصحّ للنّغم أن يطغى على المعنى المرتاد في الآية فيعكس هذا المعنى أو يغيّره، لأنّ علوّ الفواصل القرآنيّة وسموّها في البلاغة، كان بسبب أنّها واقعة في موقعها، وأنّ المعاني هي المقصد الأول، والألفاظ بحسن أدائها، ورنّة أنغامها تابعة لذلك.

وللفواصل دلالتها على المقاطع، وتعمل على تحسين الكلام، وترتبط بما قبلها من الكلام ارتباطاً وثيقاً ولو حذفت أو بدّلت لاختلّ المعنى، لذلك لو تتبّعنا سور القرآن الكريم لوجدنا أنّ منها سور جاءت فواصلها كلّها على حرف واحد، ومن ذلك سورة المنافقين، فإنّ فواصلها جاءت على حرف النّون، وكذلك سورة النّاس جاءت على حرف السّين، وقد يأتي في السّورة الواحدة أكثر من فاصلة، مثل سورة مريم فإنّ فواصلها جاءت على حروف مختلفة بحيث سارت الفاصلة من أوّل السّورة إلى غاية قوله تعالى﴿ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ**

---

[1]- محمد رجاء حنفي عبد المتجلّي، مكانة الفواصل من الإعجاز في القرآن الكريم، مجلة الدّارة، السنة 15، العدد3، 1426هـ، المدينة المنورة، ص8.

[2] - ينظر، المرجع نفسه والصّفحة نفسها.

وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)﴾ على وتيرة واحدة وهي الألف ثم نجدها في مواضع أخرى تتغير ّ ويمكن حصرها فيما يأتي :

1/جاءت الفاصلة على حرفي النّون والميم في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَا فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(40)﴾لتعود من جديد لألف الإطلاق لما عاود القصص من قوله تعالى﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ

إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (70) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74)﴾.

2/ جاءت الفاصلة على حرف الدّال الخفيفة تارة والمشدّدة تارة أخرى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80)﴾.

3/ وردت الفاصلة بحرف الزّاي من قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) ﴾ لتعود من جديد على حرف الدّال فتختم السّورة بحرف الزّاي.

وعليه يتبين أنّ فواصل السّورة عامة قد بنيت على حرفين اثنين هما ألف الإطلاق والدّال، الأمر الذي أعطى للفواصل القرآنيّة ميزة التّوافق الصوّتي لأنّ الإيقاع الصّوتي من أبرز سمات نظم القرآن الكريم. وتلك أدلّة على ثراء التّنوع القرآني بنواح صوتيّة متنوعّة في سائر السّور متنوّع الإيقاع الموسيقي الفاصلة بتنوّع الجوّ والموضوع يبدو جليًّا في هذه السّورة فهي تبدأ بقصّة زكريّا ويحي، فتسير الفاصلة والقافية على نظام واحد، تليها قصّة مريم وعيسى لتسير الفاصلة و القافية

على النّظام نفسه، إلى أن ينتهي القصص، ويجيء التّعقيب لتقرير حقيقة عيسى ابن مريم فيختلف نظام الفواصل والقوافي ، فتطول الفاصلة وتنتهي القافية بحرف الواو والنّون والمستقرّ الساكن عند الوقف وإنّ (ما أبدالزّركشي من ختم كلمة مقطع الفواصل بحروف المدّ واللّين، وإلحاق النّون ليس بالضّرورة للتّمكّن من التّطريب، ولكنّه يشكّل ظاهرة بارزة في صيغ تعامل القرآن الكريم مع هذه الحروف مقترنة بالنّون[1] نحو قوله تعالى :﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35)** ﴾ حتى إذا انتهى التّقرير والفصل وعاد السّياق إلى القصص عادت القافية الرّخيّة المديدة ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42)** ﴾ حتى إذا جاء ذكر المكذّبين وما ينتظرهم من عذاب وانتقام تغيّر الإيقاع الموسيقي وجرس القافية ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75)** ﴾وفي موضع الاستنكار يشتدّ الجرس والنّغم بتشديد الدّال ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90)** ﴾.

وهكذا يسير الإيقاع الموسيقي في السورّة وفق المعنى والجوّ ، ويشارك في إبقاء الظّلّ الذي يتناسق مع المعنى في ثنايا السّورة، وفق انتقالاتالسيّاق من جوّ إلى جوّ ومن معنى إلى آخر[2].

ونخلص إلى أنّ :

1-لصوت الألف الصّدارة في فواصل آيات سورة مريم، ومعلوم أنّ أصوات اللّين عند النّطق بها يندفع الهواء من الرئتّين مارّاً بالحنجرة، ثم يحّذ مجراه في الحلق والفم في ممرّ ليس فيه حواجز تعترضه، وهو ما يتنب مع قوّة المعاني التي تشير إليها سورة مريم والتي غلب عليها الدّعوة إلى التوّحيد، وإثبات البعث، ونفي الولد والشرّيك، وبيان منهج المهتدين، ومنهج الضّالين من أتباع النبّيين، ومن ثمّ بعض مشاهد القيامة، وبعض الجدل مع المنكرين للبعث .

---

[1]-أحمد مختار عمر، الصّوت اللغوي، ص156.

[2]-ينظر، سيّد قطب، الظلال، ج4، ص2301.

ولعلّ امتداد النّفس عند النطّق بالألف، وما يصحبه من امتداد الصّوت يتناسب مع أسلوب الدّعوة إلى الله، ومجادلة أهل الباطل.

كما أنّ صفتي الرّخاوة والجهر اللّتين يمتاز بهما صوت الألف الغالب على فواصل الآيات الكريمة يتناسب مع معاني المناجاة والدّعاء التي ابتدأت بها قصّة زكريا في هذه السّورة الوحيدة التي ابتدأت بالحديث عن القصّة القرآنية مباشرة بدون مقدّمات[1] تصوّر مشهد دعاء زكرياء لربّه في ضراعة وخفية ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6)**﴾.

إنّ يناجي ربّه بعيدا عن أعين النّاس، بعيدا عن أسماعهم في عزلة يخلص فيها لربّه، بلا واسطة حتّى ولا حرف نداء ربّ)، لو استوقفت هذه الآية كثيرا من المفسّرين من القدامى والمحدثين محاولين الرّبط بين قوله تعالى عن دعاء زكريّا ربّه (**نِدَاءً**) وصف النّداء بقوله (**خَفِيًّا**) .

السّؤال المطروح : كيف يمكن أن يكون النّداء مع كونه خفيًّا ؟

لو انقسم المفسّرون في توجيه هذا المعنى إلى فريقين:

الفريق الأوّل: يرى أنّ زكريا عليه السّلام- لم يكن يجهر بدعائه، بل كان ذلك منه بصوت خافت، فقد (راعى سنّة الله في إخفاء دعوته لأنّ الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الإخفاء أولى لأنّه أبعد من الرّياء وأدخل في الإخلاص)[2]، فالمقصود بالخفاء الخفوت .وخفى صوته لضعفه وهرمه، ودعا في الصّلاة لأنّ الله تعالى أجابه في الصّلاة لقوله تعالى:﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39)**﴾[آل عمران/ 39] فكون الإجابة في الصّلاة يدلّ على كون الدّعاء في الصّلاة فوجب أن يكون النّداء فيها خفيًّا[3].

---

[1]-ينظر، عقيل عكموش عيد، الدّلالة النّفسية في سورة مريم ، مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربوية، العددان 3 -4 المجلد6، 2007 .

[2]الزّمخشري،الكشّاف، ج 2 ،ص502.

[3]الفخر الرّازي، التّفسير الكبير ،ج20، ص180.

الفريق الثّاني : لا يجد تعارضا بين الأمرين فإخفاء الدّعاء لا ينافي كونه نداءً إذا كان يجهر بدعائه في خلوة عن النّاس ومعزل(منافاة بينهما إذا فسّر النّداء برفع الصّوت لأنّ الخفاء غير الخفوت، ومن رفع صوته في مكان ليس بمرأى ولا مسمع عن النّاس فقد أخفاه)[1].

الله الرّحيم اللّطيف بعباده يسمع ويرى من غير دعاء و لا نداء ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر/60]، وبمّا أخفى دعاءه عن النّاس لئلا يهزؤوا به، لأنّه طلب الولد بعد كبر سنّه وعقم زوجه، فكان ذلك مخالفا لمنطق العقل، والطّبعة البشريّة، وبذلك قال أكثر المفسّرين .

إنّ تتابع المقاطع المفتوحة بتوظيف أصوات اللّين (زكريّا، مبين، يؤمنون، عظيم...) في جميع فواصل السّورة، أحدث إيقاعا هادئا في آخر الآية بإدخال حروف اللّين.

تناوب الإيقاع الموسيقي بين إعلاء الصّوت تارة وخفضه تارة أخرى عن طريق ثنائيّة الياء والألف قد أحدث وقعا عميقا في النّفوس لما أضفاه محور السّلاسة واليسر.

التّنوين ظاهرة بارزة في لغة القرآن، حيث تمثّل المفتاح الصّوتي لكلمات وتقلوّج المقاطع المفتوحة لكثرة وجودها فيها وتتابعها الأمر الذي جعلها تحقّق حركة ذات وقع عميق في النّفس البشريّة مثلما وجدناه حاضر في قصص الأنبياء وما زاد دلالة الموقعيّة هو تلازم التّنوين مع الياء التي تكرّرت في معظم فواصل السورة.

النّون هنا تحمل رنينا موسيقيّا متميّزا تقيّدت به الآيات ممّا جعل لها صدى صوتيًّا يتناسب محور الآيات.

انتهت فواصل السوّرة بأصوات قويّة كالألف، والنّون، والميم، والرّاي والدّال.

إنّ الأصوات الانفجاريّة التي وردت في السّورة كالدّال و التي يصل عددها إلى خمسة عشرة فواصل قرآنية إذ إنّ صفة الشّدّة والانفجار نابعة عن حبس الهواء حبسًا كاملاً بواسطة أعضاء الطّق تتناسب مع المعاني التي تدعو إلى إفراد الخالق عزّ وجلّ في الوحدانيّة ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ**

---

[1]- الطباطائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1997م، ج14، ص7 .

السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)﴾تكذيب الكفّار في نسبة الولد لله وذلك حين يقول المشركون: الملائكة بنات الله، أوعزير ابن الله، أو المسيح ابن الله، فينتفض الكون كلّه لهذه المقولة المنكرة التي تنكرها فطرتهفهذا الكون الذي نتصوّره جمادًا حسّ له يعرض ذا نفس وحسّومشاعر وانفعالات، حيث نرى السّماوات والأرض والجبال تغضب وتنفعل حتّى لتكاد تنفطر وتنشقّ وتنهدّاستنكارًا (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) ولأنّها تتحدّث عن أمر عظيم ناسب أن تكون الأصوات التي تنتهي بها الفواصل أصوات قويّة كالدّال الشّديد المجهور المقلقل القويّ، ومن دلالة القلقلة التّخويف والاضطراب فيكون اختيار هذا الصّوت منسجماً تماماً معالموضوع وإنّ جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجوّ جوّ الغضب والغيرة والانتفاض (إنّ ضمير الكون وجوارحه لتنتفض وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النّابية والمساس بقداسة اللاّت العليّة ... هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النّابية تشترك فيهاالسمّاوات والأرض والجبال، والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزّلزلة والارتجاف)[1].

إنّتنوّع الفواصل في هذه السورّة فرضته طبيعة الموضوع والجوّ الذي يتناسق مع المعنى في ثنايا السّورة، ومن أجل الانتقال منقصّة مريم والتي تلت قصةّ زكريّا -عليهما السّلام- مباشرةمارت الفواصل على نظام واحد، تحسّلمسات الرّحمة الدّيّة ودبيبهاطليّف في الكلمات والعبارات وحتّى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وعمقرسيّ اسريّ احنيّا...)ليجيء التّعقيب لتقرير حقيقة عيسى ابن مريم وللفصل في قضيّة نّبّته فيختلف نظام الفواصل وتطول الفاصلة وتنتهي القافية بحرفي الميم أو النّوالمستقرّ السّاكن عند الوقف ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ

[1] هيّد قطب الظّلال، ج 4، ص2320-2321.

الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(40)﴾ .

جاءت الفواصل بالنّون والميم، وكلها مجهور أغنّ، والغةّ مع الجهر تجعل للصّوت دوياً، وهذا يتناسب مع الوعيّد العظيم لمشهد يوم القيامة فويل للكافرين المنحرفين عن الإيمان بوحدانية الله تعالى من مشهد يوم عظيم، وهم في ذلك المشهد أسمع النّاس وأبصر النّاس !يوم يكون السّمع والبصر وسيلة للخزي. والوّن والميم من أشباه الصوائّت ولهما وضوح سمعيّ قريب من الصّوائت ودلالة الوضوح تتناسب مع حقيقة ذلك اليوم الذي لا شكفّيه فكلّ ما على الأرض ومن عليها عائد إلى الله، عودة الميراث كلّه إلى الوارث الوحيد، كما أنّ للواو والنّون فخامة عند النّطقبها العمل المشترك لحجرات الرّنين عند الحنجرة وتجويف الأنف وفراغ الفم دلالة على مهابة اليوم العظيم أو استهجان للمنكرين.

الألف والميم والوّن أصوات احتكاكيّة رخوة توضّح بجلاء ما تتركه للقارئ من فرصة ليقبل على طاعة ربّه، فيأخذ العظة والعبرة من خلال ذكر قصص الأنبياء، والأمم السابّقة، حتىّ يعتبر بمصير المكبيّن وتسلية للرسّول صلى الله عليه وسلم حتىّ يصبر على الأذى ويطمئنّ إلى الانتصار.

بدأت قصّة إبراهيم عليه السّلام- في سورة مريم من الآية الواحدة والأربعين وانتهت في الآية الخمسين منها، والتي أحاطت بشخصيةّ إبراهيم الرضّيّ الحليم، من خلال الحوار الذي دار بينه وبين أبيه حين حاول دعوته إلى طريق الحقّ والهداية فأسلوب إبراهيمملتّم بالرّفق واللّين والتوّدّد والأدب الجميل، والخلق الحسن و هذا ديدن الأنبياء – عليهمالسّلام – في دعوتهم [1].

[1]- ينظر، سيد قطب، الظلال، ج4، ص 2311

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43)﴾ في حين اتّسم ردّ أبيه بالعنف والجفاء والوعيد والتّهديد لكنّه لم يجد من الأدلّة والبراهين والحجج ما يقابل به دعوة إبراهيم الذي فاجأه بأدلّة عقليّة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيم﴾ ...) لا سبيل إلى إنكارها،فما كان الردّ عنيفا إذ من لا يمتلك الدّليل يلجأ إلى أسلوب العناد والمكابرة ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44)﴾، ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)﴾تكرّر لفظ (يا أبت) السورّة على لسان نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام- في دعوته أباه، واستمالة قلبه،يقول الزّمخشري:(إن أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشّنيع الذي عطفيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضيّة التّمييز... رتّب الكلام معه في أحسن لمتّاق، وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللّطف والرّفق واللّين والأدب الجميل والخلق الحسن.وصدر كلّ نصيحة من النّصائح الأربع بقوله (يا أبت) توسّلاً إليه واستعطافا)[1].وبهذا فإنّ إبراهيم عليه السّلام قد خلق جوّا نفسيًّا وعاطفيًّا مناسبا يمكّنه من طرح أفكاره ومبادئ دعوته بالرّغم من نفور الآخرين منها وابتعادهم عنها .

وفي نفس الآيتين جاءت الفاصلة (**عصيًّا/ وليًّا**) مع نمط الطّباق، وفي هذا تناغم في الصّوت وتناسق في المعنى والدّلالة،فالأولى تحذير من عصيان الله، والثّانية تحذير من ولاية الشّيطان، فطاعة الشّيطان وولاية الله لا يجتمعان في قلب رجل مؤمن .

وهكذا اعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم فلم يتركه الله وحيدا بل وهب له ذرّية وهنا تتجلّى رحمة الله به، وتعويضه عن أبيه،أهله المشركين ذرّية صالحة ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)﴾ فكانوا صادقين في دعوتهم، مسموعي الكلمة في قومهم يؤخذ قولهم بالطّاعة والتّبجيل[2]،ثم يمضي السيّاق مع ذرّية إبراهيم عليه السّلام – ليستطرد مع

---

[1]-الزمخشري، الكشّاف، ج3، ص18 -19 .

[2] - ينظر ، سيد قطب، الظلال، ج 4 ،ص2313.

إسحاق ابن إبراهيم من سارة، فيذكر موسى و هارون ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53)** ﴾ وتستغرق القصص حوالي ثلثي السّورة، ليستهدف إثبات الوحدانيّة والبعث، ظل الرّحمة هو الذي يظلل السّورة كلّه،أخيرا يختم السّياق بإشارات إلى النّبيّ إدريس عليه السّلام- وكيف أعلى الله قدره ورفع ذكره بعد أن ذكر إسماعيل ووصفه بأنّه صادق الوعد، وكان عند ربّه مرضيا، الرضّا من الرّحمة .

بعد أن عرضت السّورة أولئك الأنبياء، بعد أن جمعهم في كونهم من ذرّية آدم ثمّ خصّ بعضهم بأنّه من ذرية من حمل مع نوح، والذي يختص بأنّه من ذريّة آدم دون من حمل مع نوح هو إدريس عليه السّلام فقد كان سابقا على نوح[1] لتوازن بين هذا الرّعيل من المؤمنين الأتقياء و بين الذين خلفوهم من المشركين، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59)** ﴾ فإذا المفارقة صارخة والمسافة شاسعة، الهوّة عميقة الفارق كبير بين السّلف و الخلف[2] .

11 الرّاي صوت احتكاكي (رخو) مجهور صفيري ّ، مستفل مرقّق، قد وضّح في فواصل الآيات ما أعدّه الله تعال للطّاغين ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83)** ﴾ إنّها صورة عجيبة تحمل دعوة للتّفكير بهذه السّورة التي رسمها القرآن الكريم والتّصديق بها ﴿ **أَلَمْ تَرَ** ﴾ إنّ منظر يوحي بالعلاقة الحميميّة بين الشّياطين والكفّار ومصاحبتهم لبعضهم البعض، ويوحي بما يحمله الشّياطين للكافرين، ومع تعاملهم معهم،فإصرار الشّياطين على الكافرين لأجل عمل المعاصي وتزيينها لهم، يشبه الماء في المرجل الذي يغلي فيسمع له أزيزا، هذه الصورّة السمّعيةّ البصريّة الفنّيّ، أراد الله أن يقرّبها للمتلقّي كي يفهم حقيقة الشّيطان و ما

---

[1] الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج20 ،ص234 .

[2] - ينظر ، سيد قطب، الظلال، ج4 ، ص2314.

يضمره للإنسان،فلو حوّ لها قول الله ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ إلى صورة وكأنّها مشاهدة عيانا ومسموعة للمشاهدين وسيطرة الشّياطين على الكافرين وصورتهم يوم القيامة، فهؤلاء الذين يكفرون بآيات الله يتّخذون من دونه آلهة يطلبون عندها العزّة والنّصرة حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصار ينقذونهم من العذاب، وإنّ الشّياطين مسلّطون عليهم لإغوائهم و(الأَزُّ الهَزُّ والاستفزاز أخوات ومعناها التّهييج وشدّة الإزعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيّجهم لها بالوسواس والتّسويلات)[1]، هذا الصّوت المستفل المرقّ يتناسب مع معاني الرّعشة، والصّمت العميق ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98) ﴾ فبعد الحديث الشّديد وترهيب للطّاغين وترغيب للمتقّين وتبشيرهم بما أعدّه الله لهم من نعيم، يختتم المشهد بصوت رقيق والرّكز هو الصوت الخفيّ والسكّون العميق، والصمّت الرّهيب (وهو مشهد يبدؤك بالرّجّة المدمّرة، ثم يغمرك بالصّت العميق وكأنّما يأخذ بك إلى وادي الرّدى، ويقفك على مصارع القرون وفي ذلك الوادي الذي لا يكاد يحدّه البصر، يسبح خيالك مع الشّخوص التي كانت تدبّ وتتحرّك والحياة التي كانت تنبض وتمرح، والأماني والمشاعر التي كانت تحيا وتتطلّع، ثمّ إذا الصّمت يخيّم، والموت يجثم وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدّثار، لا نأمة، لا حسّ، لا حركة، لا صوت ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ انظر تلفّت ﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98) ﴾ سمع وأنصت... وما من أحد إلا الواحد الحيّ الذي لا يموت)[2].

إذن الآيات صريحة في إثبات توحيد الألوهيّة من خلال توجّه الأنبياء إلى الله تعالى بالدّعاء الاستعانة فهذا نبيّ الله زكريّا عليه السّلام - يدعو ربه أن يهبه غلاما زكيا، وهذه مريم - عليها السّلام- تستعيذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك البشر السّوي، وهذا إبراهيم عليه السّلام- يستغفر لربّه، فالله وحده هو الذي ترفع إليه الأكفّ وهو وحده المستحقّ للعبادة.

وتبقى سورة مريم تشكّل السّورة الحقيقيّة التي تردّ على المشركين في إثبات وحدانيّة الله عزّ وجلّ ، وتبقى السّورة الكاملة التي تحمل في طيّاتها مظاهر الإعجاز القرآني الخالد من مناحي

---

[1] الزّمخشري الكشّاف، ج2، ص524

[2] سيّد قطب، الظلال، ج4، ص2322

كثيرة فيظهر على مرآتها العجز البشري للإحاطة ببعض ما ترمي إليه هذه السورة أو غيرها من سور القرآن الكريم.

ويمكن تقسيم فواصل السورة إلى أربعة مقاطع حسب مناسبتها لآياتها وموضوعاتها:

أ .**المقطع الأول :** مناسبة الفاصلة لآياتها من: **[مريم/2-33].**

﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)﴾.

تتماثل الفواصل في هذه الآيات بالياء والألف المدّ الة على اليسر والسّ لاسة تناسبا مع جوّ الآيات الذي يفيض بالرّ حمة واليسر، فالآيات تتحدث قصّ ة زكريّ ا ورحمة الله به، واستجابة دعائه: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) [مريم/2]

تأتي الفاصلة منسجمة معها. يقول الطّاهر بن عاشور:(وقد جاء نظم هذا الكلام على طريقة بديعة في الإيجاز، والعدول عن الأسلوب المتعارف في الإخبار وأصل الكلام ذكر عبدنا زكريّ ا، إذ ناداه ربّ ه فقال ربّ ... فرحمه ربّ ك، فكان في تقديم الخبر بأنّ الله رحمه اهتمام بهذه المنقبة له، والأنباء بأنّ الله يرحم من التجأ إليه)[1].

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) [مريم/3]

لما أظهرت الآية دعاء زكريّ ا لربّ ه تعالى جاءت فاصلتها "نداءً خفيًّا" بوصف الدّ عاء بالخفي، لأنّ ه أقرب إلى الإخلاص، وجاءت الفاصلة مصدرً ا للآية "ونادى نداءً " وهي مناسبة للآية في أنّ النّ داء الخفي ّ يكون فيه سلوى و طمأنينة وإخلاص. يقول الألوسي: (نداءً خفيًّا" مستورا عن النّ اس لم يسمعه أحد منهم حيث لم يكونوا حاضريه، وكان ذلك على ما قيل في جوف اللّيل، وإنّ ما أخفى دعاءه عليه السّ لام لأنّ ه أدخل في الإخلاص وأبعد عن الرّ ياء، وأقرب إلى الإخلاص عن لائمة النّ اس على طلب الولد لتوقّ فه على مبادئ لا يليق به تعاطيها في أوان الشّ يخوخة، وعن غائلة مواليه، ولا منافاة بين النّ داء وكونه خفيًّا إذ السّ رّ النّ داء برفع الصّ وت لأنّ الخفاء غير الخفوت، ومن رفع صوته في مكان ليس بمرأى ولا مسمع من النّ اس فقد أخفاه)

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) ﴾

بعد أن قدّ م زكريّ ا - عليه السّ لام - قبل سؤاله أمورً ا تستحقّ الشّ فقة، فهو قد كبر سنّ ه وامرأته عاقرً ا، وخاف إضاعة الدّ ين من مواليه الذين يخلفونه. جاءت الفاصلة "فهب لي من لدنك وليًّا" بالطّلب والدّ عاء، فهو قدّ م العلّة قبل الطّلب لمجاء الإجابة، وقد ابتدأت الآية "الموالي" وجاءت الفاصلة "وليًّا" وهذا من باب التّ صدير.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

استجاب الله لدعاء زكريّ ا، بأن بشّ ره بغلام اسمه يحي يلم سمّ أحد من قبله بمثل اسمه، فجاءت الفاصلة "لم يجعل له من قبل سميّ ا" تصديرا للآية (اسمه –سميًّا) وناسبت آياتها بأن أظهرت

[1]- محمد الطّاهر بن عاشور التّونسي التّحرير والتّنوير تحرير المعنى السّ ديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد- الدّ ار التّونسية للنّشر، تونس، دط، 1984م، ج 16، ص 62.

الثّناء على يحي عليه السّلام والامتنان على أبيه من خلال أنّه تعهّده باسم غير مسبوق من قبل. يقول سيّد قطب: (ثمّ ترتسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضى فالربّ ينادي عبده من الملأ الأعلى: زكريّا ويجعل له البشرى: إنّا نبشّرك بغلام، ويغمره باللّطف فيختار له اسم الغلام الذي يبشّره به اسمه يحي وهو اسم فذّ غير مسبوق، لم يجعله له من قبل سميّا)[1]

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾

تعجّب زكريّا -عليه السّلام- حين أجيب إلى ما سأل وبشّر بالولد، وفرح فرحا شديدا وسأل عن الوجه الذي يأتيه منه الولد مع أنّ أسباب الولادة قد تعذّرت عند وأنّى لها، امرأته عاقر لم تلد من قبل وقد بلغ عمرها، وجاءت الفاصلة "وقد بلغت من الكبر عتيّا" لتبيّن السّبب الثّاني من تعذّر الولادة هو وصوله من اليأس، فكأنّما يقول: إنّي حين كنت شابًّا لم أرزق الولد لاختلال أحد السّببين، وهو عقم المرأة، أفحين كبرت واختل السّبب الآخر أرزقه)[2].

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾

يخبر الله تعالى نبيّه زكريّا - عليه السّلام -أنّ الأمر كلّما قلت فسيهب لك الولد مع ما أنتما عليه من العقم والشّيخوخة ثمّ يعلّل ذلك بأنّ خلق الولد لكما على هذه الحالين، فإنّ الله إذا أراد شيئا كان دون توقّف على الأسباب العادية التي رسمها للحمل والولادة. وقد ناسبت فاصلة الآية "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" لآيتها، بأنّه ذكر له فيها ما هو أعجب ممّا سأل عنه .فخلق الغلام الذي وعده أن يهبه له مع كبر سنّه وعقم زوجته ليس بأعجب من خلق البشر جملة من العدم. فخلق آدم من غير أبوين أمّ ما هو إلا نموذج لسائر أفراد البشر[3].

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)﴾

لما جاءت الآية لتظهر نعمة من نعم الله على زكريّا وصورة من صور التّأييد ربّاني له، وذلك باستجابة دعائه بإظهار آية دالّة على بداية الحمل وصدق الوعد وهي انقطاعه عن الكلام مع النّاس بلسانه، مع كمال صحّته وانطلاق لسانه في قراءة التّوراة وذكر الله، جاءت الفاصلة لتناسب الآية بوجوب شكر الله وتسبيحه على نعمه بقوله " أن سبّحوا بكرة وعشيًّا " (فأومأ

---

[1] سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص2302

[2] - المراغي، تفسير المراغي، ج16، ص36.

[3] - المراغي، تفسير المراغي، ج16، ص36.

إليهم أن يشرعوا فيما اعتادوا من التّسبيح، أو أراد أن يسبّحوا الله تسبيح شكر على أن وهب نبيّهم ما يرث علمه)[1].

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

تبدأ الآيات بالنّداء العلوي ليحي - عليه السّلام -لأنّ مشهد النّداء مشهد رائع يدلّ على مكانة يحي، وليحمله العبء وينهض بأمانة الدّعوة بقوّة وعزم ثمّ تأتي فاصلة الآية لتظهر المؤهّلات التي وهبه الله بها وأعانه على احتمال ما كلّفه إيّاه "وآتيناه الحكم صبيًّا" فكان فذًّا في زاده، كما كان فذًّا في اسمه وميلاده فالحكمة تأتي متأخّرة، ولكن يحي - عليه السّلام - قد وهبها صبيًّا[2].

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾

وتمرّ هاتان الآيتان بإبراز المؤهّلات التي وهبها الله ليحي -عليه السّلام- ليحمل أعباء الرّسالة، وهي الحنان والرّحمة والطّهارة والعفّة ونظافة القلب، وتأتي الفاصلة لتجمّل لنا تلك المؤهّلات التي ذكرتها الآية بشغف وإنصات "ولم يكن جبّارًا عصيًّا" فقد بدأت الآية الأولى بوصف يحي- عليه السّلام – بـ"حنانًا " وختمت بوصفه "تقيًّا" وجاءت فاصلة الآية الثّانية لتؤكّد هذه الصّفات عن طريق نفي أضدادها بقوله: "ولم يكن جبّارًا عصيًّا".

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

أكرم الله تعالى يحي - عليه السّلام بتحيّة منه عليه وأمان له في أوّل ما يرى الحياة، و أوّل ما يرى فيه الآخرة، وتختم فاصلتها "ويوم يبعث حيًّا" بإظهار أمان الله له في العاقبة يوم القيامة. يقول الرّازي:(أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا ممّا كان فيه، ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قطّ، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، فأكرم الله يحي - عليه السّلام - فخصّه بالسّلام عليه في هذه المواطن الثّلاثة[3].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾

اهتمّت السّورة ذكر تفاصيل قصّة مريم وابنها عيسى - عليهما السّلام - ذلك لأنّها تتعلّق بقضيّة عقائديّة ثقل فيها النّصارى من خلال زعمهم بأنّ عيسى - عليه السّلام- هو ابن الله - تعالى الله ممّا يقولون - فقصّت الآية بذكر اسم مريم - عليها السّلام - على خلاف عادة القرآن من عدم ذكر النّساء ستر عليهن، وذلك بيان واضح بأنّ عيسى - عليه السّلام - لم

---

[1]- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج 16، ص 75.

[2]- سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص2304.

[3]- الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص194.

يكن ابن الله إنّما هو ابن مريم - عليه السّلام - ثمّ جاءت فاصلة الآية لتستكمل التّفاصيل بذكر المكان الذي جاءها فيه الملك للبشارة "مكاناً شرقيًّا " والمكان الشّرقي هو الذي يلي بيت المقدس أو شرقي دارها[1].

وعن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قال: "إنّي لأعلم خلق الله الّذي اتّخذت النّصارى المشرق قبلة، لقول الله تعالى واتّخذوا ميلاد عيسى قبلة".

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾

تستمرّ الآيات بذكر تفاصيل قصّة مريم فهي قد انفردت عن أعين النّاس لأمر خصّها، أو لتتفرّغ لعبادة ربّها، فأرسل الله إليها جبريل - عليه السّلام - وتأتي فاصلة الآية "فتمثّل بشرًا سويًّا" لتستكمل التّفاصيل بذكر الصّورة التي جاء عليها جبريل - عليه السّلام - وهي كونه بشرًا تامّ الخلقة، يقول الرّازي: (تمثّل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه فلو ظهر لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه)[2].

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾

تنتفض مريم العذراء مذعورة حين يفاجئها رجل في خلوتها، فتلجأ إلى الله تستعيذ به، وتأتي فاصلة الآية "إن كنت تقيًّا" لتستثير مشاعر التّقوى في نفس هذا الرّجل، لأنّ التّقيّ ينتفض وجدانه عند ذكر الرّحمن، ويرجع عن دفعة الصّورة وفزع الشّيطان[3].

يقول الفخر الرّازي: (أرادت إن كان يرجى منك أن تتّقي الله، ويحصل ذلك بالاستعاذة بي فإنّي عائدة به منك وهذا في نهاية الحسن لأنّها علمت أنّه لا تؤثّر الاستعاذة إلا في التّقيّ)[4].

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾

تستغرب مريم - عليها السّلام - من أن يكون لها ولد، فإنّ الولد لا يأتي إلا بطريقين إمّا بزواج مباح وهي غير متزوّجة، وتأتي فاصلة الآية "ولم أك بغيًّا" لتبيّن الطّريق الثّاني للولد وهو السّفاح، ومريم هي الطّاهرة العذراء.

﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾

---

[1]- المصدر نفسه، ج22، 196.

[2]الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص197.

[3]سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص2305.

[4]الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص198.

بعد أنبيّ نت الآية قدرة الله علىكل ّ شيء، ولا يمتنع عليه فعل ما يريد، ولا يحتاج في إنشائه إلىالموادّ والآلات وأن خلق عيسى من غير أب،إنمّا جاء معجزة ظاهرةللنّ اس لبيان قدرة الله، جاءت الفاصلة"وكانأمراً مقضيًّا" لقطع الجدال وبيانأنّ هذا أمر قد قضاه الله في الأزل لا جدال فيه. يقول الطّاهر بن عاشور:(وجملة "وكانأمر ً امقضيًّا" هذا قطع للمراجعة وإنباءبأنّ التّخليق قد حصل في رحمها)[1].

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

بختام كلام عيسى - عليهالسّ لام - في المهدالدّ ال علىرّ حمة والأمان من الله له في يوم مولده، ويوم موته ويوم بعثهحيًّا، ختمت الفواصل المتماثلة المنتهية بالياء والألفالمدّ الّة على السّ لاسة. وختمت فاصلة الآية "ويوم أبعث حيًّا " بذكر الحياةالحقيقيّ ة الأخرويّ ة لتناسبجوّ الآية العامالسّ لام والأمان.

ب المقطع الثاني: مناسبة فواصل الآيات من:[34-40] ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(40)﴾.

تأتي هذه الآيات في نهايةقصّ ة عيسى - عليهالسّ لام -بالتّعقيب لتقرير حقيقة عيسى بن مريم، وللفصل فيقضيّ نبوّ ته، فيختلف نظام الفواصل، تطول الفاصلة، وتنتهي بحرف الميم أو النّ ونالمستقر ّالسّ اكن،وكأنمّا الآياتعبرّ ت عن حكم بعد نهايةالقصّ ةمستمدّ منها، ولهجة الحكم تقتضيأسلوبً اتعبير ً ا غير أسلوب الاستعراض وتقتضيإيقاعً اقويًّا رصينً ا بدل إيقاعالقصّ الرّتيّ ب المسترسل.

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(34) ﴾

بعد أنبيّ نت الآية حقيقة عيسى - عليهالسّ لام - منأنّ ه عبد الله ورسوله، جاءت فاصلتها "قولالحقّ الذي فيه يمترون" لتنفي ما يزعمه اليهود منأنّ ه ساحر أو ما يزعمهالنّ صارى من أنه ابن الله - سبحانهعمّ ا يشركون - من زعم قائم علىالشّكّ والجدل، وجاءت الفاصلة

[1]- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّ نوير، ج 16، ص 84.

بنبوّة عيسى - عليه السّلام - بخلاف فواصل القصّة المنتهية بالياء والألف الدّالة على الرّضى واليسر.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

لما تضمّنت الآية دعوة عيسى - عليه السّلام - وهو في المهد لقومه بعبادة الله وحدانيّته، جاءت الفاصلة "هذا صراط مستقيم" تفصيلا للآية وبيانا لصحّة عبوديّته لله، بخلاف ما ادّعاه اليهود من جعله ابنا لله. يقول الفخر الرّازي:(لأنّ المسمّى هذا القول بالصّراط المستقيم تشبيها بالطّريق لأنّ المؤدّى إلى الجنّة)[1].

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(39)﴾

لما حذّرت الآية من الحسرة والنّدامة يوم القيامة جاءت الفاصلة "وهم لا يؤمنون" لبيان سبب هذه الحسرة وهو عدم الإيمان، وجاءت الفاصلة بصيغة الفعل المضارع ليبيّن تمكّن الكفر من قلوبهم وعدم وجود إيمانهم. يقول الطّاهر بن عاشور: (ومعنى "وهم لا يؤمنون " استمرار عدم إيمانهم إلى حلول قضاء الأمر يوم الحسرة، فاختيار صيغة المضارع فيه دون صيغة اسم الفاعل، لما يدلّ عليه المضارع من استمرار الفعل وقتا طويلا، استحضارا لذلك الاستمرار العجيب في طوله و تمكّنه)[2] .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

لما أكّدت الآية أنّ كلّ ما على وجه الأرض عائد إلى الله تعالى عودة الميراث كلّه إلى الوارث الوحيد، جاءت فاصلتها "وإلينا يرجعون" لتؤكّد هذا المعنى باستخدام أسلوب التّقديم والتّأخير لغاية القصر. يقول بن عاشور:(وبذلك كان موقع جملة"وإلينا يرجعون"بيّنا فالتّقديم يفيد القصر، أي لا يرجعون إلى غيرنا ومحلّ هذا التّقديم بالنّسبة للمسلمين الاهتمام ومحلّه بالنّسبة للمشركين القصر)[3].

ج- المقطع الثالث : مناسبة فواصل الآيات من:[41-74] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا

---

[1] الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص221.

[2] - الطّهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج 16، ص 109.

[3] - المصدر نفسه، ج16، ص111.

إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (70) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74)﴾.

بعد أن انتهت الآيات التي جاءت بتقرير حقيقة عيسى - عليه السلام - والفصل في نبوته، عادت هذه الآيات إلى أسلوب القصص، وعادت الفاصلة الطيبة المنتهية بالياء والألف المديدة مبتدئة بذكر قصة إبراهيم - عليه السلام - وتليها قصص موسى وإسماعيل وإدريس -عليهم السلام - على نفس النغم والموسيقى السياق .

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾

جاءت الآية على لسان إبراهيم - عليه السلام - عجز الأصنام من خلال أنها لا تسمع من يدعوها ولا تبصر من يعبدها، جاءت فاصلتها "ولا يغني عنك شيئا" لتجمل صفات العجز في

هذه الأصنام فهي لا تملك لنفسها ولا لغيرهضرًّا ولانفعًا. يقول الرّازي:(واعلمأنّه عاب الوثن من ثلاثة أوجهٍ لها: لا يسمع، وثانيها: لا يبصر، وثالثها: لا يغني عنكشيئًا،كأنّه قال له بل الألوهيّة ليست إلاّ لربّي فإنّه يسمع ويجيب دعوةالدّاعي ويبصر[1] .

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾

لما نهى إبراهيم - عليهالسّلام - أباه في هذه الآية عن عبادة الأصنام التي يدعوا إليها الشّيطان، جاءت فاصلتها إنّ الشّيطان كانللرّحمن عصيًّا " لتعليل هذاالنّهي بأنّه شديد العصيانللربّ والمنعمة. يقول بن عاشور: (وجملة إنّ الشّيطان كانللرّحمن عصيًّا" تعليل للنّهي عن عبادته وعبادة آثار وسوستهبأنّه شديد العصيانللربّ والمنعمة، وقد وصفعصيّا الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة لفعل كانللدّلالة علىأنّه لا يفارق عصيانهّ وأنّه متمكّن منه، فلا جرمأنّه لا يأمر إلا بما ينافيالرّحمة، ولذلك اختير وصفالرّحمن من بين صفات اللّهتبيهًا على أنّ عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كان هذا حاله فهو جدير بألايتّبع.)[2]

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾

بهالرّحمة الواردة في الآيةالمتمثّلة بسلام إبراهيم - عليهالسّلام - على أبيه ودعائه له بالهداية والاستغفاريردّ إبراهيم - عليهالسّلام - على قسوة أبيه وتهديده بالرّجم والعذاب، فتأتي فاصلة الآية إنّه كان بي حفيًّا" لتناسب آيتها في بيان عطف اللّهالرّحيم الشّديد بإبراهيم - عليهالسّلام - ولتعليل يتضمّنه الوعد بالاستغفار رجاء المغفرة . يقول بن عاشور: (وجملة "إنّه كان بيحفيّا " تعليل يتضمّنه الوعد بالاستغفار من رجاء المغفرة استجابة لدعوة إبراهيم بأن يوفّق الله أبا إبراهيملتّوحيد ونبذ الإشراك)[3]

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾

لميبّنت الآية فضل الله على إبراهيم - عليهالسّلام - بأن وهب له إسحاق ويعقوب - عليهماالسّلام- بعد فراقه لقومه واعتزاله لهم، جاءت فاصلة الآيةوكلاً جعلنانبيًّا "لتكمل هبة الله لإبراهيم بجعل أبناءه يرشدونالنّاس إلى الهدى بعد أن رفضه أبوه.

---

[1] الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص225.

[2] - الطّاهر بنعاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص117.

[3] - الطّاهر بن عاشورالتّحرير والتّنوير، ج16، ص121.

يقول أبوحيّان الأندلسي:(لما فارق الكفار أرضهم أبدله منهمأولاداً أنبياء والأرض المقدّسة، فكان فيهايتردّد إلى مكّة، فولد له إسحاق وابنه يعقوب، تسلية له وشدا لعضده)[1].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

لما أظهرت الآية فضل الله على موسى - عليهالسّلام - واصطفاءه له، جاءت الفاصلة "وكان رسولا نبيًّا" لتكمل هبة الله له بكونه منالرّسل الكبار والأنبياء الأطهار، فقد جمع الله له بين الوصفين الجليلين[2].

يقول ابن عاشور:(فالجمع بين وصف موسىبأنّه رسولاًنبيّ هنا لتأكيد الوصف، إشارة إلىأنّ رسالته بلغت مبلغاًويّا، فقولهنبيّا تأكيد لوصف رسولا)[3].

ويقولالصّابوني:(وقد أعاد لفظ كان في الفاصلة لتفخيم شأنالمخبرّ المذكور)[4].

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾

بعد أن مدحت الآية إسماعيل - عليهالسّلام - لفعله الخيراتوحثّه لأهله عليها، جاءت فاصلة الآية "وكان عندربّه مرضيًّا" لتظهر نهاية المدح لإسماعيل - عليهالسّلام -لأنّ المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعاته بأعلىالدّرجات[5].

وقد أعاد لفظ كان في الفاصلةللتّفخيمأنّالمخبرّ المذكور كالآيةالسّابقة.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾

بعد أن فتحت الآية بابالتّوبة على مصراعيهللتّائبين من المعاصيالمتزوّدين بالأعمال الصّالحةوبشّرتهم بدخولالجنّة والفوز بها، جاءت فاصلة الآية "ولا يظلمون شيئا" لتذهبالشّكّ الذي قد يدخل إلى نفوسهم من عدم قبول توبتهم،وتؤكّدأنّ أعمالهم الخبيثةالسّابقة ذهبت هباءً ، وصارت نسيانسيّا بكرمالّطيف الخبير، وعظيم حلمه على عباده[6].

يقول الألوسي:(قوله "ولا يظلمون شيئا" أي لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا، وفيه تنبيه علىأنّ فعلهالسّابقيلاستحقّ هم ولا ينقص أجورهم)[7].

---

[1]-أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص185.

[2]-محمد علي الصابوني، صفوة التّفاسير، ج2، ص220.

[3]-الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص127.

[4]-الصّابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص220.

[5]-الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص233.

[6]- ينظر، المراغي، تفسير المراغي، ج16، ص68.

[7]-الألوسي، شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دط، دت، ج16، ص110.

وذكر شيئا نكرة في سياق النّفي يفيد نفي كلّ فرد من أفراد النّقص الذي قد يدخل إلى نفوسهم بعد الإيمان فيؤدّي إلى الانكسار ظنّ أنّ سبق الكفر يحطّ من حسن مصيرهم[1]

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾

لما تصدّرت الآية الوعد بدخول الجنّة والإقامة فيها للتّائبين الذين آمنوا بها ولم يروها، جاءت الفاصلة إنّه كان وعده مأتيّا" لتناسب سياق الآية لتأكيد هذا الوعد وتحقيقه فهو آت ولا محالة لأنّه وعد الله ولا يخلف الله وعده.

يقول الطّاهر بن عاشور:(وجملة إنّه كان وعده مأتيّا" تعليل لجملة التي والمراد حمن عباده بالغيب أي يدخلون الجنّة وعدا من الله واقعا وهذا تحقيق للبشارة)[2].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

بعد أن بيّنت الآية دور جبريل - عليه السّلام - على النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - في تأخيره بالوحي بأنّه عبد مأمور من الله تعالى إذا أمر بالنّزول نزل وإذا حبسه عن النّزول احتبس، جاءت فاصلة الآية "وما كان ربّك نسيّا" طمأنة للنّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - في أنّ الله لم ينسه ويغفل عنه، وإنّما كان تأخير الوحي لحكمة يعلمها جلّ شأنه -[3].

يقول الألوسي:(وما كان ربّك نسيّا أي تاركا أنبياءه - عليهم السّلام - ويدخل - صلّى الله عليه وسلّم - في ذلك دخولا أوّليًّا، أي ما كان عدم النّزول إلا لعدم الأمر به ولم يكن عن ترك الله - تعالى - لك و توديعه ّاك، كما زعمت الكفرة، وإنّما كان لحكمة بالغة)[4].

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

بعد أن أعلنت الآية الوحدانيّة لله دون سواه، فهو ربّ السّماوات والأرض وما بينهما " ودعت إلى وجوب عبادته والصّبر على تكاليفها، جاءت فاصلتها "هل تعلم له سميًّا " لنفي كلّ نظير سمي ّ لله تعالى[5].

يقول المراغي:(هل تعلم له سميّا أي هل تعلم له شبيها ومثلا يقتضي العبادة لكونه منعما متفضّلا بجليل النّعم وحقيرها، ومن ثمّ يجب تعظيمه غاية التّعظيم بالاعتراف بربوبيّته والخضوع لسلطانه).

---

[1]- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص136.

[2]- نفسه، ج16، ص137.

[3]- ينظر، المراغي، تفسير المراغي، ج16، ص71.

[4]- الألوسي، روح المعاني، ج16، ص114.

[5]- ينظر، سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص2314.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾

لما نت الآية وورود الناس حول جهنم وهم منها على الصراط، جاءت الفاصلة "كان على ربك حتما مقضيا " لتأكيد المعنى بأن هذا أمر محتوم قد قضاه الله لا جدال فيه.

يقول المراغي: (أي وما أحد منكم إلا ويدنو من جهنم ويعبر حولها، قد قضى ربك بذلك وجعله محتوما لا فروغ منه)[1].

د- المقطع الرابع : مناسبة فواصل الآيات من: [75-98] يقول تعالى :﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98) ﴾.

بعد أن انتهى سياق القصص، وجاء ذكر المكذبين وما ينتظرهم من عذاب وانتقام غير الإيقاع سيقي وجرس الفاصلة فأصبحت تطول وتنتهي بالدال اللتي عبير عن الإيقاع الشديد وفي موضع الاستنكار يشتد جرس والفاصلة وذلك بتشديد الدال في نهاية الآيات[2].

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾

[1]- ينظر، المراغي، تفسير المراغي، ج16، ص72.

[2] ينظر، سيد قطب، الظلال، ج4، ص2301.

لمبيّ نت الآية جزاء المهتدين من زيادة الهدى لهموضّ حتأنّ الأعمالالصّ الحة هي خير ثوابا عند الله في العاجلة والآجلة، جاءت فاصلة الآية "وخير مردًّا" لتأكيدالثّ وابوالخيريّ ة في العاقبة لأنهّا هي دالمستقرّ الأبديّ ة.

يقول المراغي عن فاصلة الآية: (وخلاصة هذاأنّ الطّاعات التي يبقى ثوابها لأهلها خير عندربهّ م جزاء وخير عاقبة من مقامات هؤلاء المشركين بالله وأنديتهم التي يفخرون بها على أهل الإيمان فيالدّ نيا)[1].

﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾

لما وردت آية في ردع وزجر ذلك الكافر المستهزئ بالغيبوهدّ دت بتسجيل مقالته الشّ نعاء والحساب العسير عليها، جاءت فاصلتها ونمدّ له من العذاب مدًّا" زيادة في إظهار الوعيد بمضاعفة العذاب عليه وعدم انقطاعه عنه جزاء طغيانه واستهزائه.

يقولسيّ د قطب: (التّ هديد إذن والوعيد هو اللاّ ئق لتأديب الكافريالسّ افرين "كلاّ سنكتب ما يقولونمدّ له من العذاب مدًّا"، سنكتب ما يقولفنسجّ له عليه ليوم الحساب فلا ينسى ولا يقبل المغالطة، وهو تعبير تصويريللتّ هديد، وإلا فالمغالطة مستحيلة، وعلم الله لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرةونمدّ له من العذاب مدًّا، فنزيده منه ونطيله عليه ولا نقطعه عنه)[2]. وجاءت نهاية الفاصلة **مدًّا** مفعولا مطلقا للفعلنمدّ توكيدا له وإظهارا لطولمدّ ة العذاب.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾

لما وردت الآية مورد الوعيد لإنسانغرّ ه ماله وولده، فاستهزأ بالآخروقادّ عىأنّ ه سيكون أكثرحظًّ ا في الآخرة وسيؤتى المال والولد، جاءت فاصلتها "ويأتينافردً ا"بتالّ هديد له وبيان كذبه وافترائه فهو سيدخل القبر وحيدا، وسيبعث فريدا بدون مال أو حشم أو خدم، وسيلقى الحساب والجزاء.

يقولسيّ د قطب: ("ويأتينافردً ا" لا مال معه ولا ولد ولا نصير له ولا سندجرّ د ضعيف وحيد فريد، فهل رأيت إلى هذا الذي كفر بآيات الله وهو يحيل على يوم لا يملك فيه شيئا يوم يجرّ د مركلّ ما يملك في هذه الدنيا ؟إنّ ه نموذج من نماذج الكفر، نموذج الكفروالإدّ عاء والاستهتار)[3].

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾

---

[1]- المراغي، تفسير المراغي، ج16، ص79.

[2]سيّ د قطب، الظّلال، ج4، ص2320.

[3]سيّ د قطب، الظّلال، ج4، ص2320..

لما وردت الآية في سياق الرّد على بعض الأصنام الذين يزعمون أنهم اتخذوا أصنامهم آلهة يعتزوا بها يوم القيامة عند ربهم، ويكونوا شفعاء لهم لديه، جاءت فاصلتها "ويكونون عليهم ضدًّا" لتنفي اعتقادهم الباطل ويثبت خلاف ما يزعمون، فأصنامهم لهم أعداء عند ربهم يوم القيامة.

يقول الفخر الرازي عن فاصلة الآية: (أما قوله "ويكونون عليه ضدًّا" فذكر في مقابلة قوله "لهم عزًّا" الوارد ضد العز هو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدًّا، لما قصدوه وأرادوه)[1].

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾

بعد أن جاءت الآية لتظهر غضب هذا الكون بأسره لمقولة المشركين الشنعاء "وقالوا اتخذ الرحمن ولداً فالسماوات تكاد تنشق، والأرض تخسف، جاءت الفاصلة "وتخر الجبال هدًّا" لتكمل صورة الغضب الكوني بأشد صورة له وذلك بتناثر الجبال شظايا وقطعا.

يقول الطاهر بن عاشور عن فاصلة الآية: (وانتصب هذا على المفعولية المطلقة لبيان نوع الخرور، أي سقوط الهدم، وهو أن يتساقط شظايا وقطعا)[2].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾

لما بينت الآية الحكمة من تيسير نزول القرآن باللغة الرسول الكريم وهو تبشير المتقين بالفوز والفلاح جاءت فاصلتها ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ لتنذر في مقابلتهم إنذار المعاندين المجادلين.

يقول الفخر الرازي عن فاصلة الآية: (لأنه تعالى لما ذكر أنه يبشر بالمتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى أبلغ وأبلغهم الألد الذي يتمسك بالباطل ويجادل فيه ويتشدد وهو معنى لُدًّا[3]

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾

لما تصدرت الآية بعظة المؤمنين بتذكيرهم بمصير الأمم السابقة التي استأصلها الله لجبروتها، جاءت الفاصلة "أو تسمع لهم ركزا" لتنفي أي وجود لهم، فلا سمع ولا حركة ولا صوت، فانظر وتلفت هل تسمع لهم ركزا إلا أنات السكون العميق والصمت المهيب، وما من أحد إلا الواحد الذي لا يموت[4].

---

[1] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص251.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص171

[3] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص257.

[4] ينظر، سيد قطب، الظلال، ج4، ص2322

وفيها وعد للنبي - صلّى الله عليه وسلّم -بالنّصر والغلبة على المشركين، ووعيد لأولئك الكافرين الجاحدين بالهلاك المبين.

يقول الطّاهر بن عاشور عن فاصلة الآية: (وهو كناية عن اضمحلالهم كما عبّر باضمحلال لوازم الوجود عن اضمحلال وجودهم)[1].

مجمل القول في مناسبة الفواصل لسورة مريم:

بعد دراستنا لسورة، وإظهار نماذج على مناسبة الفواصل لآياتها في السّورة وتبيّن أنّ فواصل السّورة تسير وفق المعنى الجوّ للسّورة، وتشارك في إبقاء الأسلوب الذي يتناسق مع المعنى في ثنايا السّورة، وفق انتقالات السّياق من فكرة إلى فكرة ومن معنى إلى معنى.

وهذا يظهر واضحا من خلال تقسيم فواصل الآيات إلى مقاطع حسب تناسب الفاصلة مع سياق الآيات شدّة ويسرا، وفواصل السّورة تنقسم إلى قسمين حسب مناسبتها للمعنى:

القسم الأوّل : الفواصل المتماثلة التي تنتهي بالياء والألف المديّة، الدّالة على اليسر والسّهولة، وهي الغالبة في السّورة.

القسم الثّاني : الفواصل المتماثلة بالدّال الدّالة على الشدّة والقوّة، وهي التي تأتي عندما يشتد السّياق في السّورة عند الحديث عن الكافرين والمعاندين المنكرين للتّوحيد.

[1] الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص178

المبحث الثّالث: التّحليل المقطعي للفاصلة في سورة مريم :

لا يخفى على أحد من الدّارسين أنّ الدّراسة الصوّتيّة للأصوات تقتضي دراسة الظّاهر التي لا ترتبط بالأصوات في ذاتها بل بالمجموعة الكلاميّة بصفة عامّة كالمقطعيّة والنّبر والتّنغيم[1].

وإنّكلّ دراسة سواء كانت في مجال التّفسير أو الإعجاز أو في غيرهما من الدّراسات تبقى ناقصة غير كاملة، ولعلّ مردّذلك يرجع إلى إعجاز القرآن وصلاحيّته لكل زّمان ومكان، فبالرّغم من وفرة إنتاج أهل العلم من بحوث، وما توصّلت إليه الدّراسات الحديثة في مجال الإعجاز العلمي والبياني وغير ذلك من وجوه الإعجاز، تظلّ الدّراسات الصوّتيّة ولاسيما التّطبيقيّة منها نادرة، ولأنّ (الدّراسة الصوّتيّة للأصوات مفردة من حيث المخارج والصّفات غير كافية، باعتبارها تخضع لقواعد معيّنة في تجاورها وارتباطها ومواقعها)[2].

يحاول البحث أن يكشف من خلال الإيقاع في السّورة فضلا عن أصواتها ومقاطعها الصوّتيّة عن الطّريقة التي وصفت بها المقاطع كمًّ وكيفًا لتعبرّ عن عظمة الخالق، فجاءت هذه المنظومات الصوّتيّة المقطعيّة غاية في الدّقّة والإحكام، وانسجمت مع الخطاب القرآني دلاليًّا ومعنويًّا محدثة إيقاعًا موسيقيًّا بارعًا، تطيب له النّفس .

والسّؤال الذي بني عليه هذا البحث، كيف حقّقتهذه المقاطع الصوّتيّة انسجامًا مع الدّلالة والمعنى في الخطاب القرآني ؟ .

وكيف أسهمت الفواصل في التّعبير عن الحالة التي يكون عليها الخطاب القرآني في مواقفه ؟ ومن ثمّ كيف استطاعت هذه التّقنيّات والتّلوينات للمقاطع الصوّتيّة للفواصل تحقيق الخشوع عند التّلاوة؟الأمر الذي يجعل القارئ أو السّامع يشعر بهذه الكلمات أو العبارات ويعيد الظّر ليتدبّر معانيها، ويتفكّر في آيات الله تعالى.

وعليه كان من الضّروري أن تسير الدّراسة في هذا الفصل في محورين أساسيين:

---

[1]- ينظر،الوسّم الصوّتي عند الفلاسفة المسلمين، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في اللّغة، إعداد الطّالبة: أمينة طيبي، السّنة الجامعية: 1425هـ- 1426هـ / 2004م- 2005م، ص302.

[2] تمّام حسّان مناهج البحث في اللّغة، ص139.

الأوّل : تقديم عام لسورة مريم و المعنى الإجمالي للآيات .

الثّاني: تحليل المقاطع الصوّتيّة الواردة في فواصل الآيات وذلك للوقوف على البنية الصوّتيّة والنّسيج المقطعي الذي بنيت عليه الفواصل، لأنّ تحقيق التّوازن الإيقاعي والموسيقي في السّورة جاء نتيجة لتوزيع تلك المقاطع توزيعا منتظماً وهادفاً .

إنّ القرآن الكريم كتاب هداية يرمي إلى التّأثير في النّفس، يلقي العظة مبيّنا ما في إتّباعها من خير وضارباً المثل من التّاريخ على صدق ذلك[1]، وليست القصّة في القرآن، عملاً فنّيًّا مقصودا لذاته فحسب، بل للإرشاد والإيمان والعظة وشرح الأوامر والنّواهي الشّرعيّة ونشر فكر الحقّ والخير والتّلون، لذا نجد معظمها وإن لم يكن جميعها يخرج عن الحدود التي رسمها النّقّاد للقصّة الفنيّة[2] .

و سورة مريم بإجماع المفسّرين- سورة مكّية يدور محورها حول التّوحيد، والإيمان بوجود الله ووحدانيّته، وبيان منهج المهتدين ومنهج الضّالّين[3] .

عرضت السّورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئة بقصّة زكريّا و ولده يحي – عليهما السّلام- فالله تعالى قادر على كلّ شيء، يسمع دعاء المكروب ويستجيب لنداء الملهوف، و لم تكمن الغرابة في أنّ الله تعالى الولد على الكبر من امرأة عاقر لا تلد فحسب، وإنّما القصّة مريم العذراء وإنجابها لطفل من غير أب، قد شاءت الحكمة الإلاهيّة أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أمّ بلا أب لتظل آثار القدرة الرّبّانيّة ماثلة أمام الأبصار بعظمة الواحد القهّار[4].

و جدير بالذّكر أنّ تلك القصص الواردة في السّورة جاءت لتبين قدرة الخالق عزّوجلّ ، وهي مرتبطة ببعضها فقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسّل الكرام حوالي ثلثي السّورة، و الهدف من ذلك إثبات وحدة الرّسالة، وأنّهم جميع جاؤا لدعوة النّاس إلى توحيد الله و نبذ الشّرك و الأوثان .

---

[1]- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، مصر، ط6، 1370هـ/ 1950م، ص239.

[2]- ينظر، بكري شيخ أمين التّعبير الفنيّ في القرآن، دار الشّروق، حلب، سوريا، ط4، 1980م، ص216-218

[3]- ينظر الصّابوني، صفوة التّفاسير، ج2، ص210

[4]- ينظر، بكري شيخ أمين التّعبير الفنيّ في القرآن، ص216-218 .

ختمت السّورة الكريمة بتنزيه الله عن الولد، والشّريك والنّظير، ودّت على ضلالات المشركين بأنصع بيان، وأقوى برهان، بعد أن عرضت لبعض مشاهد القيامة، وأهوال ذلك اليوم الرّعيب، ليكون الكفرة المحرومون وقودا لنار جهنّم .

وبهذا التلاؤم في المعنى، نلمح أيضا الترابّط الصوّتي بين آيات السورّة فسبحان الله العليّ العظيم على عظمته وقدرته تعالى .

إنّ القرآن الكريم صوت وصورة صوت نقل بالتّواتر من السّلف إلى الخلف، وصورة تدلّ على الحركة اللامّتناهية في آياته ومعانيه، لهذا يقول سيّد قطب: (قليل من سور القرآن هو الذي يعرض صامتاً ساكناً لغرض فنيّ يقتضي الصمّت والسكّون، أمّا أغلب السّور ففيها حركة مضمرة أو ظاهرة، حركة يرتفع بها نبض الحياة، وتعلو بها حرارتها، هذه الحركة ليست مقصورة على مشاهد القصص والحوادث، ولا على مشاهد القيامة ولا على صور النّعيم والعذاب أو صور البرهنة والجدل هذه الحركة التي نسمّيها التّخيّل الحسيّ)[1]، هذه الحركة ليست ما ذكره سيد قطب فحسب بل تتعدّى إلى حركة الحروف والمقاطع الصوّتيّة، هذه الحركة التي في حروف القرآن وأصواته ومقاطعه هي ما يطلق عليه بالإيقاع الموسيقيّ ، فالإيقاع هو تلك الفاعليّة التي تنقل إلى المتلقّي ذي الحساسيّة المرهفة الشعّور بوجود حركة داخليةّ ذات حيويّة متناسبة تمنح التّابع الحركي وحدة نغميّة عميقة)[2].

والإيقاع في القرآن إيقاع متميزّ جعل منه معجزة خالدة، لكن السّؤال المطروح: من أين جاءت هذه الإيقاعية الخالدة؟ هل جاءته من (انّساق القرآن وتلاؤف حركاته وسكناته ومدّاته، وغنّاته واتّصالاته، وسكناته)[3] فقط، أم من معانيه وتشريعاته؟.

والجواب أنّ تلك الإيقاعية قد نجمت من اجتماع الأمرين السّابقين معاً ، لذا لا يمكن لدارس الصّوت في القرآن أن يقف في تحليلاته وتفسيراته على الإيقاعيّة في الجانب الصّوتي فقط، بل يجب مراعاة الغرض الدّيني الذي يهدف إليه القرآن الكريم، ليحدث بذلك التمّكين والتّأثير والاستجابة والإذعان .

---

[1] سيّد قطب، التصّوير الفنيّ في القرآن، ص46.

[2] كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعيّة للشّعر العربي ،دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1981م، ص23.

[3] بكري شيخ أمين، التعّبير الفنيّ في القرآن الكريم، ص185

لهذا انطوى البحث على دراسة الظّام المقطعي الصّوتي في فواصل سورة مريم، وفق ما تحدثه حركة المقاطع الصّوتية للفواصل في السوّرة من إيقاعيةّ متميزّة، لا نجدها إلا معبرّة عن الإعجاز الصّوتي في القرآن الكريم.

إذًا لا بدّ أن نشيرهنا إلى أنّ الخطاب القرآني لا يفهم من خلال أحد مستويات التّحليل كالتّحليل اللّساني أو الصرّفي أو الصوتيّ أو التركيبي أو اللاّلي، بل يفهم من خلال تطبيق كلّ هذه المستويات مجتمعة.

ولسورة مريم مكانة عظيمة في معناها ودلالتها، وفي حروفها وألفاظها وفي جملها وأساليبها، شأنها في ذلك شأن سائر السوّر القرآنيةّ الكريمة، الأمر الذي يجعل السّورة محطّ بحث لظواهرها الأسلوبية على ثلاث مستويات كنموذج الإعجاز القرآني البياني بداية بالمستوى الصّوتي الذي يسقط الدراّسة الصّوتية على الفواصل القرآنية - وهي محور البحث- بالتّحليل المقطعي الصّوتي والإحصائي لها، ومن خلال هذا التحّليل الصّوتي والمقطعي ينجلي تحدّيًا آخر للقرآن الكريم، نجده في انسجام الخطاب الصّوتي والموسيقي بين عباراته وحروفه ومقاطعه، لما يسهم في تحقيق الغرضين الدينّي والفنيّ فيه.

1-المستوى الصّوتي:

أجمع العلماء على أنّ الدّرس أو المستوى الصّوتي يعدّالأساس الأولّ أو العنصر الأوّل الذي يجب أن يسبق غيره من العناصر في عمليةّ التّناول)[1]، وإنّ التحّليل المقطعي لفواصل السّورة يكشف مقدار شيوع كلّمقطع من المقاطع الصّوتيّة التي تتألّف منها كلمات اللغّة العربيّة، وقد أشار إبراهيم أنيس إلى نوعين من المقاطع المتبّعة في نسيج المقاطع العربيةّ، فالمقطع الأوّل أسماه المقطع المفتوح، وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، والمقطع الثّاني أسماه المقطع المغلق والذي ينتهي بصوت ساكن أو صوتين ساكنين[2]و كان هذا محوردراسي لسورة مريم من النّاحية

[1]-محمد جواد النوّري، وآخرون، علم الأصوات العربيّة، منشورات جامعة القدس المفتوحة رقم المقرر5340، ط1، عمان 1996م، ص12.

[2]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغّويّة، ص113

الصوّتية على الفاصلة القرآنيّ، وما حملته هذه السّورة في تشكيلها من المعاني والدّلالات، ليتواصل ذلك مع الإعجاز القرآني في الظّم الصّوتي الذي أوجده الله تعالى في هذه الآيات الكريمة .

ويقسّم اللرّسون المقاطع الصّوتية إلى الأنواع الآتية :

المقطع القصير: هو الذي يتكونّ من حرف صامت متحرّك بحركة قصيرة و رمزه **ص ح** مثل (ب).

المقطع المتوسّط المفتوح: يتكوّن من حرف صامت بعده حركة طويلة و رمزه **ص ح ح** مثل (يا).

المقطع المتوسّط المغلق: يتكونّ من حرف صامت متحرّك بحركة قصيرة بعده حرف صامت ساكن ورمزه **ص ح ص** مثل (يد).

المقطع الطّويل المغلق: يتكوّن من حرف صامت بعده حركة طويلة بعدها حرف صامت و رمزه **ص ح ح ص** مثل (باب) .

المقطع الطّويل المزدوج الإغلاق: يتكوّن من حرف صامت متحرّك بحركة قصيرة يليه حرفان صامتان و رمزه **ص ح ص ص** مثل (خبز) .

المقطع البالغ الطّول المزدوج الإغلاق: يتكوّن من حرف صامت بعده حركة طويلة بعدها حرفان صامتان و رمزه **ص ح ح ص ص** مثل (ضال) .

ويرى إبراهيم أنيس شيوع المقاطع الثّلاثة الأولى في اللّغة العربيّة وقلّة تردّد المقاطع الأخيرة في العربيّة إذا ما قورنت بالمقاطع الأولى:

جدول بعدد المقاطع الصوّتيّة وأنواعها لفواصل سورة مريم :

رقم الآية	نوع المقطع	عدد المقاطع	المجموع
02 زَكَرِيَّا	ص ح ص ح		

	ص ح ص ص ح ح	04	2+3+1+1
03 خَفيًّا	ص ح ص ح ص ص ح ح	03	2+3+1
09 شَيْئًا	ص ح ص ص ح ح	02	2+3
16 شَرْقيًّا	ص ح ص ص ح ص ص ح ح	03	2+3+3
34 يمَرُون	ص ح ص ص ح ص ح ح ص	03	4+1+3

35 فَيَكُون	ص ح ص ح ص ح ح ص	03	4+1+1
37 عَظيم	ص ح ص ح ح ص	02	4+1
77 وَلَدَا	ص ح ص ح ص ح ح	03	2+1+1

أنواع المقاطع الصوّتيّة لفواصل سورة مريم :

جاء القرآن بلسان عربيّ مبين، وقد أظهرت الإحصائيّات التي استند عليها البحث أنّ الفواصل في هذه السّورة الكريمة في أغلبها تنتهي بصوت مدّ مفتوح وهو الألف، ذو المخرج المتّسع، وفي هذا يقول ابن جني (والحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة : الألف، ثمّ الياء ثمّ الواو وأوسعها وألينها الألف)[1] فالألف صوت لين واسع، وهو ما يتناسب مع طلب المعونة والمدّ والاستغاثة ليتحقّق الانسجام الموسيقي بين متن الآية ونهايتها، ولتعطي النّفس الإنسانيّ القوّة المزوجة بالتّفكّر والاعتبار في القصص المتتالية التي أوردها الله جلّ وعلا في هذه السّورة.

انتهت معظم الفواصل بأصوات متحرّكة مفتوحة حيث وحّدت المقاطع المفتوحة **(ص ح ح)** في جميع فواصل هذه السّورة ما عدا الفواصل المحصورة بين الآيتين [34-

[1]-ابن جنيّ ، سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص21.

40] والتي تشكّل في هذا الموقع نقطة استراحة وارتكاز لتستأنف رحلة المدّ والانفتاح من جديد حتى نهاية السّورة. وهو المقطع الذي بنيت عليه فواصل السّورة، والملاحظ أنّ الحركة المقطعيّة له داخل فواصل السّورة كان لها دور بارز في إضفاء إيقاع موسيقيّ موزّع بطريقة فنيّة بارعة. ولاشكّ بأنّ هذه الهندسة المقصوتيّة قد أكسبت النّص خاصّيته الإيقاعيّة التي تولّدت من خلال التّوزيع والتّلوين المقطعي لهذا المقطع بصورة تألفها الأذن وتطيب لها النّفس فالعربيّة لم تعرف هذا البناء في صرفها، ويكون متقبّلا عند الوقف على المنوّن المفتوح[1]

إنّ العنصر الأساسي والهام الذي ينظّم الإيقاع الموسيقيّ في فواصل السّورة هو التّآلف الصّوتي والتّنويع المقطعي بشكل متناوب مع المقطع القصير **(ص ح)** والمقطع المتوسّط المغلق **(ص ح ص)**، فقد ورد المقطع القصير **(ص ح)** بعين مرّة وهو بذلك أكثر المقاطع تكرارًا في فواصل السّورة بشكل عامّ، ولأنّ خفّة ورشاقة هذا المقطع وسرعة حركته وتمتّعه بحريّة الانتقال من مكان لآخر، في الكلام العربي والقرآن بشكل خاصّ، لذلك لا يشعر القارئ أيّ صعوبة عند تلاوته، لذا فإنّ السّمات والخصائص الصّوتية هذه مّكنته ليكون المقطع الأساسي الرّابط الصّوتي القادر على ضبط الإيقاع الموسيقي الصّوتي.

إنّ المقاطع الثّلاثة **(ص ح - ص ح ص - ص ح ح)** كانت الأكثر تكرارًا وشيوعًا في الخطاب القرآني، وكيف لا تشيع في القرآن وقد جاء على لسان العرب ولغتهم .

المقطع المتوسّط المغلق **(ص ح ص)** بخصائصه وسماته الصّوتية، عمل على تحقيق نوع من التّلوين الصّوتي والتّآلف الموسيقي، الذي وظّف لخدمة المشاهد المعروضة، وإحداث التّأثير في المتلقّي من خلال التّنويع المقطعي الصّوتي بشكل متناوب مع المقطع المتوسّط المفتوح **(ص ح ح)**، فهما يردان بلا قيود بحريّة تامّة في فواصل السّورة .

---

[1]- ينظر، المهيري، ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة واللّغويين حتى القرن الثّالث هجري، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في اللّغة، 1423هـ/2002م، جامعة تلمسان، ص293.

أمّا المقطع الطّويل المغلق **(ص ح ح ص)** ظهرت قدراته الصّوتيّة في تحديد الإيقاع الصّوتي بتكرار وحداته المتشابهة في نهايتها كلّ فاصلة أو كلّ وقف ينتهي بصامت يسبقه حرف مدّ أو لين وفي إضفائه نوع من الخشوع والخضوع خاصّة في فاصلتي الواو والنّون أو الياء والنّون مثل (**يمترون - فيكون - مبين...)**. وعليه فالمقطع الرّابع **(ص ح ح ص)** كان أقل تكرارا وأنّ هناك قيودا على توزيع المقطع السّابق، وأنّ وروده لا يكون إلاّ في نهاية الآيات أو عند الوقف خاصّة الفاصلة القرآنيّة، وهذا أقرّه إبراهيم أنيس بقوله: (النّوع الرّابع والخامس من المقاطع في اللّغة العربيّة محدود الاستعمال لا نراه إلاّ متطرّفا، وفي بعض حالات الوقف)[1]. هذه الفواصل التي شكّلت مقاطعها الأخيرة مقطعا طويلا مغلقا **(ص ح ح ص)** محصورة في سبع آيات، انتهت خمسة منها بالنّون، وآيتان ختمتا بالميم **(يمترون - فيكون - مستقيم - عظيم - مبين - يؤمنون - يرجعون)**[مريم/34-40]. وكأنها تطلب من النّفس الإنساني ّة من خلال هذا الانسجام الموسيقي المتشابه، أن تقف وقفة تأمّل وتدبّر في المعجزة العظيمة التي خرقت الطّبيعة البشريّة وهي ميلاد عيسى من أمّ بلا أب ثمّ إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد، وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى – عليه السّلام -[2].

وتكاد هذه السّورة الكريمة تنفرد في إيقاعها الموسيقي الخاصّ وفي جرس ألفاظها وفواصلها، فمن الرّخاء والعمق الرّوي ّة **"رضيًّا – خفيًّا – نجيًّا"** إلى الفاصلة المشدّدة إذا كان الموقف فيه شدّة وعنف **"مدًّا – ضدًّا – هدًّا - عزًّا – أزًّا"** تتوافق الإيقاع الموسيقي والقافية الجوّ والموضوع يبدو جليًّا في هذه السّورة[3].

فحيثما كان السّياق يتحدّث عن شيء عظيم وجدنا مساحة التّضخيم والتّفخيم[4] من خلال مقاطع صوتيّة طويلة **(ص ح ح)** و**(ص ح ح ص)** كما في قوله تعالى ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**(37) ﴾ [مريم/37] ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا**

---

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص167.

[2]ينظر، الصّابوني، صفوة التّفاسير، ج2، ص210

[3]سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص2300.

[4]ظريف أحمد فليح، الإعجاز الصّوتي في قصار السّور، مجلّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد الخامس، جمادى الأولى 1426هـ/ حزيران 2005م، المجلّد 12، ص24.

﴿وَوَلَدًا (77)﴾[مريم/77]، وقد تكرّر هذا التركيب المقطعي في أربع فواصل بما فيها الفاصلة السّابقة (77-88-91-92).

ويلفت النّظر في فواصل السّورة صوت الرّدف (الحرف الذي قبل الحرف الأخير) نجده في حرف اللّين الياء وهو الأكثر انتشارًا، وفي الياء حاجة عند النّطق به إلى جهد عضلي، فهو حرف مجهور يهتزّ مع نطقه الوتران الصوّتيّان، ولا يضيق مجرى الهواء أثناء النّطق به[1]، وقد وجد في هذه السّورة في اثنتين وستّين فاصلة، وهو باجتماعه مع صوت الألف المناسب في النّطق يظهر إيقاعًا خاصًّا يتميّز بالسّهولة واللّين، ويليه صوت الرّوي، الدّال مثل (**إدًّا – هدًّا – عدًّا – ودًّا ...**) وتكرّر عدّة مرّات وهو صوت شديد مجهور انفجاري[2]، وهو ها هنا حرف مشدّد مضعّف يزيد الصّوت قوّة، والفاصلة فخامة، ليتناسب مع الموقف الذي وجدت فيه هذه الفواصل حيث التّكذيب والكفر والعناد وهذا يلائمه الشّدة والقوّة.

وهذا التّكرار في هذه الفواصل إحدى وعشرين مرّة وأمّا الأصوات الأخرى التي تشكّل ما تبقّى من حروف الرّدف فهي الزّاي والواو قبل النّون، والياء قبل النّون والياء قبل الميم، وهي مواقع قليلة ولكنّها ذكرت في موقعها المناسب الذي يتناسب مع موضوع الآية.

وبناءً على ما سبق يظهر لنا أهمّية دراسته أو معرفة المقاطع الصّوتية لأنّها تسهم في تشكيل الإيقاع الموسيقي للسّورة، فهذه الهندسة المتوالية للمقطع الصّوتية تعتبر المرتكز لهم في توحيد الإيقاع الموسيقي على مدار السّورة. (والقرآن بنظمه الفريد تجاوز السّمت المعتاد في طراز العربّية، وحلّق في أجواء رائعة من توظيف الأصوات لتؤدّي دورًا اجماليًّا خاصًّا بنسيج القرآن المتفرّد ... والقرآن الكريم لا يقف عند الجمال الصّوتي الظّاهري فحسب، وإنّما يجمع إليه حسن التّركيب، ورفعة المعنى، ودقّة التّصوير ولطف التّعبير مما في النّفس الإنسانيّة)[3].

واستمرارًا للمظهر الصّوتي في السّورة، ومن خلال بعض الألفاظ الواردة في سورة مريم وبعد الوقفات واللّفتات الصّوتية التي وقفنا معها، كان لزامًا أن نتحدّث عن مناسبة الأصوات للمعاني، وعن هذه القضيّة يقول ابن جني (إنّ كثيرا من هذه اللّغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي تعبّر عنها، ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس، وخضم في الرّطب، ولذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصّوت الأقوى للفعل الأقوى والصّوت الأضعف للفعل الأضعف)[4].

---

[1] عبد القادر مرعي، المصطلح الصّوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللّغة المعاصر، جامعة مؤتة، ص99.

[2] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص49.

[3] عبد اللّه الشّمايلة، الإيقاع في القرآن الكريم، السّورة المكّيّة، الجامعة الأردنية، رسالة ماجيستير، ص72-73.

[4] - ابن جني، الخصائص، ص66.

وفي سورة مريم ألفاظ أسهمت أصواتها في تصوير المعاني وتجسيدها، وذلك باستعمال حكاية الصّوت للوصول إلى أغراض إيحائيّة لها دلالتها الطّبيعيّة إضافة إلى المعنى المتعارف لها.

ففي قوله تعالى ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا(58) ﴾، فالفعل خَرَّ، يحكي صوت السّجود السّريع المصاحب للبكاء عندما يسمع المؤمنون آيات الرّحمن تتلى عليهم، فما يكون منهم إلا أن خرّوا إلى الأرض ساجدين باكين،وكأنّ تلازم البكاء مع ملامسة الأرض عند السّجود يشبه الخرير، فصوت الخاء اكتسب ملمح التّكرار ما يتناسب مع موقعه من هذه الآية في هذا اللّفظ، وهذا اللّفظ يشير بسرعة الحدوث، وهو هنا سرعة استجابة من عباد الله المؤمنين عندما يسمعون آياته الكريمة، وهذا الفعل يشكّل ملمح السّياق الذي وجد فيه من الآية الكريمة دلالة على الخضوع والانقياد والتّذلّل لله عزّوجلّ [1].

ويتكرّر الفعل خَرَّ في آية أخرى، ولكن جاء على صيغة المضارع وذلك في الآية التّسعين حيث قال تعالى: ﴿ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(90) ﴾، وهذا الفعل في هذا الموقع يوحي بعمليّة تهدّم الجبال وهدمها، وما يصاحبها من أصوات سقوط الصّخور وتلاطمها وسرعة ارتطامها، فلفظة الجبال وقعت بين صوتين لكلمتين متشابهتين من حيث القوة والفعل، فهي وقعت بين (خَرُّوا هَدًّا)، وكلا الكلمتين تسبّب إحداهما الأخرى، وتعطي صاحبتها قوة وشدّة، وهاتان الكلمتان أيضا تتناسبان مع فعلين سبقهما في نفس الآية وهما (يَفْرَطُنَ) و(تَنْشَقُّ) وهما فعلان يوحيان أيضا بالتّمزّق والانشقاق، وفي هذا يذكر سيّد قطب أنّ جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجوّ الغضب والغيرة والانتفاض ...، وهذه الانتفاضة الكونيّة للكلمة النّابية ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا(91) ﴾ ، تشترك فيها السّماوات والأرض والجبال، والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة التّزلزلة والارتجاف)[2].

أمّا في الآيتين الثّالثة والثّمانين ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا(83) ﴾ . يقول ابن عبّاس: (تزعجهم إزعاجًا من الطّاعة إلى المعصية، أي تغريهم الشّياطين إغراءً : امض امض في هذا الأمر)[3].

فالأَزُّ: الإزعاج إلى الأمر، يقال أَزَّ يَؤُزُّ أَزًّا وأَزِيزًا، إذا هَزَّ بالإزعاج إلى أمر من الأمور، وأَزَّ القدر أَزِيزاً إذا غلت، وفي الحديث عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: (رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – في صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء)[4].

---

[1]- ينظر، فيصل حسين طحيمر غوادرة، مستويات أسلوبية في سورة مريم، ص10.

[2]-سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص2321.

[3]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص150.

[4]- أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ج4، ص25.

فالفعل ﴿ أَزُّ ﴾ –إذن- هو صدى مطابق لصوت الأزيز الذي نشأ عنه، وهو صوت صدر عن الهمزة الصّوت الانفجاري القوي والزّاي الصّوت الصفيري القوي وباجتماعهما تكوّن الأزيز الذي يشبه غليان المرجل على النّار، وهذا الصّوت وحركته وفعله كلّها تتناسب مع إصرار الشّياطين على الكافرين وملازمتهم لهم، ممّا شكّل لهم عنفا وإزعاجا وقلقا لفعل المعاصي، فقد روي عن قتادة بخصوص هذه الآية فقال: (تزعجهم إلى معاصي الله إزعاجا)[1]، وهي كذلك تحريك شديد كما كان الغرض من ذلك الإرسال إرسال الشّياطين إلى الكفّار وفيه معنى التّهييج وشدّة الإزعاج[2].

وهذا يظهر لنا أنّ التّجاور الصّوتي الذي نتج عنه التّشكّل اللّفظي أَزَّ أنتج صوتا حاكيا لهذا الفعل ودالاً طبيعيًّا على اللّفظ والحركة والمقصود.

وفي المقابل نجد في السّورة ألفاظا توحي السّكينة والطّمأنينة، ألفاظ يرقّ فيها التّعبير شكّلتها الأصوات المكوّنة لها ودلالاتها، وكذا الموقع السّياقي لها كما في ﴿ نَدِيًّا (73) ﴾، ﴿ وُدًّا (96) ﴾، و﴿ تَقِيًّا ﴾. ففيه استقرار و هدوء نفس ورضا بما وصلت إليه الحالة النّفسية من تقوى وإيمان.

ومجمل القول: بعد الوقفات واللّفتات الصّوتية التي استوقفتنا عندها سورة مريم نقول :

أنّ السّورة سارت على وتيرة صوتيّة منتظمة في توزيع المقاطع الصّوتية بحسب الخطاب القرآني فكلّ خطاب ناسبته فاصلة معيّنة وناسبها نوع من المقاطع، ويرى سيّد قطب أنّ الفاصلة في سورة مريم قصيرة في قصص زكريّا ويحي ومريم وعيسى، والقافية تنتهي روي واحد هو الياء المشدّدة بعدها ألف ممدودة، ثم تطول الفاصلة في آخر قصّة عيسى عليه السّلام مثل **(يمترون)** ثم تعود الفواصل إلى ما كانت عليه مطالع السّورة[3] .

إنّ للتّوعات الصوّتيّة التي نتجت من التّبادل المقطعي للمقاطع الثّلاثة الشّائعة الأولى **(ص ح – ص ح ص – ص ح ح)** أدّت إلى إحداث تنويعات نغميّة وموسيقيّة وأكسبت السّورة إيقاعيّة متنوّعة، تولّدت من تكرار المقاطع بطريقة هندسيّة تجذب السّامع و المقرئ نحو التّفكير في الآيات والخشوع عند تلاوتها.

قد تقع الفواصل على حروف متجانسة، كما قد تقع على حروف متقاربة، ولا تحتمل القوافي ما تحتمل الفواصل لأنّها ليست في الطّبقة العليا في البلاغة، لأنّ الكلام يحسن فيها

---

[1] - الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطّبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج8، ص379.

[2] الفخر الرّازي، التّفسير الكبير، ج1، ص252-253.

[3] ينظر، سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص2300.

بمجانسة القوافي وإقامة الوزن[1]، وقد التزمت الفواصل في سورة مريم بحرف مخصوص قبل الرويّ مثل :قصيًّا –عصيًّا، إذا ما اعتبرنا أنّ حرف الرويّ هو الياء وألف الإطلاق، وقد يكون بأكثر من حرف مثل إنسيًّا –منسيًّا، غير الفواصل المكرّرة بأكملها مثل شقيًّا – تقيًّا نديًّا وغيرها .

إنّ رصد الظواهر البلاغية في السّورة يؤدّي للكشف عن المنحى الدلالي أيضا:

أوّلا –التّقديم والتّأخير :

يرى بعض العلماء أنّ وقوع التّقديم والتّأخير في نهاية الآيات لمراعاة الفواصل[2] . في حين يرفض البعض هذا القول بل إنّ كلمات القرآن وقعت في مكانها المناسب، وأحكمت فواصله في مبناها ومعناها فهي تتوافق مع مضمون الآية من جهة الدّلالة وتتوافق مع فواصل الآيات السّابقة واللاّحقة من جهة الصّوت.

ومثال التّقديم والتّأخير في فواصل السّورة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(40) ﴾ حيث قدّم شبه الجملة "إلينا" على المسند وفي ذلك يقول الطّاهر بن عاشور :(وبذلك كان موقع جملة "وإلينا يرجعون" بيّنا، فالتّقديم مفيد القصر أي لا يرجعون إلى غيرنا، ومحلّ هذا التّقديم بالنّسبة إلى المسلمين الاهتمام ومحلّه بالنّسبة إلى المشركين القصر)[3].

ثانيا –التّكرار :

يعتبر التّكرار من محاسن الفصاحة، وهو أبلغ من التّأكيد، وله فوائد منها التّقرير والتّأكيد وزيادة التّنبيه والتّعظيم والتّهويل[4].

ومثاله في فواصل آيات السّورة **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** وتكرّرت نفس الفاصلة ﴿**إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ وذلك في قوله تعالى: **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** وفي ذلك تأكيد على وصف هؤلاء الأنبياء بالصّدق والنّبوّة وتعظيم شأنهم (الصّدق هنا بمعنى بلوغ نهاية الصّفة في الموصوف بها)[5].

ثالثا :الالتفات :

---

[1]- الباقلاني، إعجاز القرآن، ص270- 271.

[2] السّيوطي، الإتقان، ج3، ص251

[3]- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص 111.

[4]- ينظر السّيوطي، الإتقان، ج3، ص 170.

[5]- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص 112.

من الظّواهرالبلاغيّة التي تصوللسّمع عنالضّجر والملل، لما جبلت عليه النّفوس من حبّ التّنقّلاستوالسّآمة من الاستمرار على منوال واحد.

أ -لغة :لفت وجهه عن القوم :صرفه،وتلفّت إلىالشّيء والتفت إليه :صرف وجهه إليه، ولفته عنالشّيء يلفتهلفتًا :صرفه،فاللّفت هوالصّرف[1].

ب -اصطلاحا :وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني منالتّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر بعدالتّعبيرالأوّل[2].

وفي سورة مريم صور من الالتفات مبثوثة هنا وهناك، وتشمل أنواعا مختلفة، ومثاله في فواصل الآيات.

من الخطاب إلى الغيبة :

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ فالخطاب من الله تعالى ليحي- عليه السّلام ثمّ يعدل إلى الحديث عن حال يحي- عليهالسّلام -فقد آتاه الله الحكم وهوصبيّ ، ورعاه تعالىوفضّله، يقول الطّاهر بن عاشور: هذا الكلام خطاب ليحي، فلا محالةأنّه صادر من قائل، ولا يناسبإلاّ أن يكون قولا من الله تعالى، وهو انتقال من البشارة إلى نبوءته)[3].

من الغيبة إلى الخطاب :

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) ﴾ فالضمير في قوله: (وقالوا) عائد على المشركين والمقصود به من تشنيع قولهم، ثمّ التفت إلى الخطاب في (لقد جئتم) للذين قالوا:اتخّذ الله ولدا لقصد إبلاغهم التوبيخ.[4] .

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل ف ت)، ج2، ص 84.

[2]ينظر، السّيوطي، الإتقان، ج3، ص 214.

[3]-الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص 75.

[4]- نفسه، ج16، ص 170.

الإظهار في موضع الإضمار :

قد يأتي القرآن بالاسم ظاهرا في موضع الإضمار وذلك لفوائد، يقول الزّركشي: (والأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك، والأصل أنّه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا للاستغناء به عن الظاهر السابق.[1]

ومثاله ما ورد في فواصل السورة قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ فقد أظهر اسم الشيطان في مقام الإضمار، إذ لم يقل إنّه كان للرحمن عصيّا، لإيضاح إسناد الخبر إلى المسند إليه، وذلك لزيادة التنفير من الشيطان، ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها.[2]

ومن صور الالتفات: الالتفات في الأفعال (كان – يكون) ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

إنّ هذا التّحوّل في صيغ الأفعال سيؤدّي إلى تحوّل في المستوى الزمني لكلّ منهما ممّا يعطي دلالات واسعة، وبالتالي يكشف عن سرّ عظيم مخبوء في هذه الآية، وسرّ العظمة تكشفه فاصلة الآية (كن فيكون) فالأولى تظهر يأسها من خلال الادّعاء بأنّ لله ولد قد سمّوه عيسى عليه السلام، وذلك لأمر عظيم عند الله تعالى، فالله يتنزه عن هذه القضية وليس من شأنه أن يتخذ ولدا سبحانه عمّا يصفون- فالله باق لا يخشى فناء، وقادر لا يحتاج معينا، والولد يتخذه الضّعاف للنصرة، فالكائنات كلها توجد بكلمة (كن)، فما يريد تحقيقه يحقق بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين.[3]وهي الطرف الثاني المعادل لما ورد في بداية الآية الكريمة.

لهذا جاءت الصيغة الفعلية المتنوعة والمكثفة في هذه الآية لتعبر عن الطاقة الهائلة التي تحملها، ولتقرر حقيقة كونية ثابتة بقدرة الله عزّ وجل اللا متناهية والتي تكون بين حرفي (الكاف والنون).

---

[1] الزّركشي، البرهان، ج2، ص 484.

[2] - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص 117.

[3] سيّد قطب، الظّلال، ج4، ص 2308.

رابعا: الأغراض البلاغية للخبر والأمر والاستفهام في فواصل الآيات:

1- الخبر:

هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب، ومن أغراضه البلاغية النفي.[1]

كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فالخبر تضمّن معنى النفي، والمعنى:ما كنت بغيا فيما مضى أفأعدّ بغيا فيما يستقبل، فهو نفي لأن تكون بغيا تلك الساعة، فلا ترضى أن ترمى بالبغاء بعد ذلك.[2]

2- الاستفهام:

وهو طلب الفهم، وقد يأتي لمعنى الإنكار ومثاله﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ فالاستفهام في الفاصلة(هل تعلم له سميّا) يفيد الإنكار أي لا مسامي لله تعالى، أي ليس له من يساميه، أي يضاهيه، موجود)[3].

3- الأمر:

وهو طلب حصول الفعلويرد مجازًا لمعان أخر منها:

التعجّب كقوله تعالى: [مريم/ 38] فقد جاء فعلا الأمر (أسمع) و(أبصر)لإفادة التّعجّب المنبعث من بلوغ حالهم في السّوء مبلغا يتعجّب من طاقتهم على مشاهدة مناظره وسماع مكارهه[4]

الدّراسة ما فوقالمقطعيّة لفواصلالسّورة:

أولا :الأبنية المقطعية لفواصل سورة مريم:

يكفي أن يقتصر الحديث عن الوظيفةالدّلاليّة لظاهرتيالنّبروالتّنغيم، وتعيين القراءة على تحديدالنّبر والوقوف على موضعه في فواصلالسّورة، وقد أجمع علماء اللغة علىأنّ النّبر هوالضّغط

---

[1] ينظر، السّيوطي، الإتقان، ج3، ص 192.

[2] - ينظر،الطّهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص82

[3] -الطّهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص142.

[4] - المرجع نفسه،ج16، ص107.

على مقطعين ّ يكسبه ميزة واضحة في السّمع عن المقاطع الأخرى لأنّ التّنغيم هو رفع الصّوت وخفضه في أثناء الكلام للدّلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة.

والتّشكيل الصّوتي لفواصل السّورة يستند إلى:

1/ مواطن النّبر في فواصل سورة مريم:

يمكن الاهتداء إلى مواطن النّبر على مقاطع فواصل الآيات في سورة مريم بالنّظر إلى القواعد السّالفة الذّكر .غير أنّ هذه الدّراسة يعتريها شيء من الغموض لا سيما في التّأصيل للبنية ما فوق المقطعية العربية، وهذا ما يؤكّده تمام حسان في قوله: (ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أنّ دراسة النّبر ودراسة التّنغيم في العربية الفصحى تطلب شيئا من المجازفة)[1]

واستنادًا إلى قواعد النّبر في العربيّة، يكون النّبر على مقاطع فواصل الآي على هذا النّحو أي كما هو العهد بمواطن النّبر في العربية العدّ من الشّمال إلى اليمين:

-النّبر على المقطع الأخير من الفاصلة:

تدخل في هذا الأنسجة المقطعية للفواصل:

[يمترون] (مريم34) ، [فيكون عظيم] (مريم37/35)

(ص ح ص)+(ص ح)+(ص ح ح ص)

3 1 4

(ص ح)+(ص ح)+(ص ح ح ص)، (ص ح)+(ص ح ح ص).

1 1 4 1 4

2/ النّبر على المقطع ما قبل الأخير من الفاصلة:

ويقع في كلمة [زكريّا] (مريم2/) والنّبر على المقطع ما قبل الأخير .

(ص ح)+(ص ح)+(ص ح ص)+(ص ح ح)

1 1 3 2

- وفي كلمة [خفيّا] (مريم3)

(ص ح)+(ص ح ص)+(ص ح ح)

1 3 2

- وفي كلمة) [شيئا] (مريم9)

(ص ح ص)+(ص ح ح)

3 2

---

[1] تمّام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، ص94

- وفي كلمة)شرقيّا] (مريم16)

(ص ح ص)+(ص ح ص)+(ص ح ح)
2 3 3

3/التّكبير على المقطع السّابق لما قبل الأخير:

وهو في كلمة) [ولدا] (مريم77)والتّكبير على المقطع الأوّل

(ص ح)+(ص ح)+(ص ح ح)
2 1 1

2/التّنغيم:

يعتمد الإيقاع في القرآن الكريم على التّنغيم (من يتغنّ بالقرآن فليس منّا)[1] والترّتيل المترسّل يُظهر الحروف ويُشبع الحركات يقول ابن الجزري: (إنّ الترّتيل مستحبّ ومشروعيته ليستدبّر التّدبّر،فإنّ الأعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يشرع له أيضا القراءة بالترّتيل والتّؤده، لأنّ ذلك أقرب إلى الاحترام،وأشدّ تأثيرا في القلب من الاستعجال)[2] والتّنغيم والتّجويد هو تحسين الصّوت في القراءة من خلال أصوات الجمل من صعود وهبوط ونحو ذلك، وحسب ما تنتهي الجملة صوتيًّا ودلاليًّا يأخذ التّنغيم شكله.

فالجملة التّقريرية من إثبات ونفي وشرط ودعاء واستفهام بغير هل والهمزة تنتهي بنغمة صاعدة. ومثال ذلك في سورة مريم قوله تعالى ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ فقتمّ الوقف على كلمة(زكريّا (وخفيّا (وهو وقوف على نغمة صاعدة في سياق جملة مثبتة.

والدّعاء يمثّله قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ فالوقف هنا متعدّد لأنّه سياق دعاء، تمّ الوقف على إنّي (مني) (و)شيبا(وشقيّا (في تشكيلات بنائيّة لجملة دعاء متّصل السّياق فنلمح من خلال هذا السّياق نغمات صاعدة تعود في هذه الوقفات تعود لانخفاض بانتهائه.

الاستفهام بغير) هل والهمزة (يمثّله قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ونلمح هنا النّغمات طلاعدة في) يكون(وبغيّا (لأنّ الاستفهام هنا دلالي سياقي أكثر منه طلبا للإخبار.

---

[1]- قرص موسوعة الحديث،سنن ابي دوود،كتاب الصلاة،1257.

[2]-ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، ج1، ص208-209.

النّفي يمثّله قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾فالوقف هنا على كلمة) فيكون (يمثّل نغمة صاعدة في سياق ختام جملة منفية، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾يمثّل نغمة صاعدة في سياق ختام جملة منفية فالوقف هنا على كلمة)نسيّا(، وكذاوقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾

أمّا الاستفهام بالهمزة فله دلالاتتنوّع في مراميها ومقاصدها فمثاله قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾بمعنىالتّعجّب، وقوله تعالى: أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بمعنىالتّهكّم، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾بمعنى الإثبات.

والوقوف على نهايات الأسئلة بما تحمله من شحنات دلاليةوسياقيّةقلّ متصاعدا في سياق نغميلأنّ الإجابات على هذاالسّياقات الاستفهامية لم يتم رصدها، وإنّما هذاالرّصد في سياق لاحق على هذه الأسئلة، ومنثمّيظلّ المعنى مفتوحا، وقابلا لممارسة فعالالتّلقّيوالتّأمّل في إطار هذاالسّياق.

ويمثّلالنّغمة المسطّحة أو نغمة بين بين (-) قوله تعالىلو يعمد القرّاء إلى المدّ الذي يرافق العدل، وهو المقصود بقول السّمرقندي:(مكّن وعدلا)للدّلالة على الاستقلالهام، أَ(اغِبٌ تَ عَنْ آلهِ تِي و)هذا المدّ للصّوت مع العدل يعني الاستفهام.

قوله تعالى:﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾أسلوب أمرللدّلالة على الخبر، بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم وقوله ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أي فسيمدد للرّحمنمدّا، فما أسلوبه الأمر أوالنّهي ومعناه الخبر له نطاق تنغيمي يختلف اختلافيلبّيعلمّا أسلوبه ودلالته الأمر أوالنّهي.

ومنثمّ فالكثير من أساليب الخبروالنّداء والاستفهاموالنّفي خرجت عن معانيها الأصلية لتتلبّس نطاقات تنغيمية جديدة استجابة لمعاني جديدة.

خاتمة

لقد كانت دراسة القيم الجمالية والتعبيرية في القرآن الكريم تجري ضمن منطقة الإعجاز القرآني، ولم تنتقل إلى ساحة الدراسات الأدبية مؤخرا على توجس وتخوف من أن يكون ذلك خروجا بالنص القرآني عن بيئته ومجاله وجزه في مجالات أخرى غريبة عنه، وعلى الرغم من ذلك فقد توجهت الجهود حديثا إلى هذا النوع من الدّراسة بسبب اهتزاز بعض المقاييس الجمالية السّابقة عند المحدثين الذين ضاقت بهم قيود العروض والقافية في الشعر العمودي الأمر الذي يجعل في إيقاع النّسق القرآني فرصا لا تحد لإشباع تطلعاتهم إلى إيقاع مطلق غير مقيد منسجم غير رتيب متنوع يجمع بين التنازل والتقابل يقوم اللفظ فيه منفردا ومجتمعا بإحداث دفقات صوتية منسجمة مع المعنى ليأتي الإيقاع الخارجي على مستوى الفاصلة القرآنية المتنوعة المتجددة، يقول الإمام الفخر الرّازي (ما رأيت فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم) .

وقد أورد الإمام الزمخشري في تفسيره (الكشّاف) ملاحظة هامة جدا مفادها أنّ الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم تجمع كل الظواهر الصوتية العربية، بمعنى أن صفات الحروف المعروفة تمثلت وظهرت كلها في الحروف المقطعة .

إنّ اللّغة العربيّة هي لغة دين ووحي سماوي، وعليه فقد ربط الله عز وجل بين عروبة القرآن ومهمة تبليغه، وكأنّ الاهتمام باللّغة العربية جزء من المهمة التي أنزل من أجلها، فانصبّ اهتمام العرب بالقرآن الكريم ولغته خوفا عليه من التحريف والتغيير مفتخرين بحفظه وتلاوته وترتيله، مما جعلهم يدركوا ما للأصوات اللغوية من أهمية بالغة فالرعيل الأول من علمائنا القدامى بدءً بالقراء وغيرهم من النّحويين واللّغويين وحتى الفلاسفة أحاطوا بكتاب الله تعالى لأنّ القرآن الكريم وافق القوانين الصّوتية العربية غير أنه انفرد بإعجازه الصوتي حيث امتاز بتناسق صوتي إيقاعي لعب الدور الكبير في أداء الدلالة (فالحرف الواحد من القرآن

معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة وهذا هو السر ّ في إعجاز جملته إعجازا أبديا، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية...)[1] .

وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

- تمّيز الخطاب القرآني بنظام صوتي معجز .
- القرآن الكريم منزه عن وصفه بالسجع لأن السجع في لغة العرب لا يقع إلا عن تكلف.
- الوقف على الفواصل سنة بإجماع العلماء، ما عدا فواصل معينة اختلفوا فيها .
- أكثر ما يكون على الفواصل الوقف التام .
- قدم ابن جني دراسة تفوق ما سبقوه في مجال الدلالة الصّوتية، فقد تفطن لمباحث توافق الدراسات الحديثة.
- تشكل الدلالة الصوتية في القرآن الكريم وقعا خاصا يتمثل في الإيقاع الموسيقي المنبعث من تآلف الحروف وتناغمها، والفاصلة القرآنية تبرز من خلال التردد الصوتي.
- المتأمل للفاصلة القرآنية يلحظ الفرق بينها وبين قوافي الشعر، فالقافية تتطلب التطابق التام بين عدد من الحروف في آخر كل بيت من القصيدة، بينما الفاصلة لا تلتزم بذلك، إذ تجري في عدد من آيات السورة على نمط، ولكنّها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر[2].
- إنّ الارتباط بين الفواصل والآيات التي سيقت من أجلها يدل على التحام الفاصلة في الآية التحاما تاما ما يستقر في النفس، وأنّ الآية تهيئ الفاصلة .
- ليس ثمّة تباين بين التّعريف الاصطلاحي واللّغوي للفاصلة.

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي، إعجازالقرآنو البلاغة النبوية، ص157

[2]-ينظر، البيان في روائع القرآن، تمّام حسان، ص275

- تحمل سورة مريم في سياقها من الانفعالات والمشاعر القوية التي تهزّ النفس البشرية ولما في كلماتها وعباراتها من لمسات الرحمة النديّة، فهي تبيّن وظيفة الأنبياء والمرسلين المتمثلة في دعوة الناس إلى وحدانية الله، ونفي الشريك والولد عنه تعالى وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين، وهذه موضوعات هامّة تبثّ روح الثبات واليقين للدّعاة، المخلصين في كلّ وقت وحين.
- القرآن الكريم يختار الفاصلة بدقّة عجيبة تدلّ على إعجازه البياني فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، ومن جهة الصوت تتناسق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة.
- لا يجوز إطلاق كلمة السجع على الفاصلة القرآنية، وذلك لأنّها بلغت حدّا من الفصاحة والبلاغة بحيث تتقاصر عقول البلغاء عن الإتيان بمثلها.
- القرآن كلام الله فحسب، ليس من جنس النثر ولا ضربا من الشعر، وإن اشتمل على بعض خصائصهما كأوزان الشعر مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43) ﴾[سورة الحاقة]ارتفع بلفظه ومعناه، فالزعم باطل ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) ﴾ [سورة يس] ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ(5) ﴾[سورة الأنبياء] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ(36) ﴾[سورة الصافات].
- تظهر سورة مريم أهمية التوحيد والعقيدة الصحيحة، في بناء أجيال الأمّة وبيان أنّ دعوة الرّسل جميعا واحدة، وأنّ الدّين الذي جاء به الجميع واحد، فلا عذر لأحد من النّاس أن يتخلّف عن الإجابة.

- إبطال دعوى النّصارى واليهود باتخاذ الولد والشريك لله تعالى وبيان أنّ الخلاف بين المسلمين وبين المسلمين وبين النصارى واليهود إنمّا هو خلاف عقائدي.
- التأسّي بالأنبياء والرّسل فيما تحمّلوا في سبيل الدعوة إلى الله من الأذى مهما كان نوعه من خلال ما ذكر من قصص الأنبياء في سورة مريم.
- الحكمة من التقديم والتأخير الوارد في فواصل الآيات في سورة مريم، إنمّا هو إحكام مبناها ومعناها، وليس مراعاة للفواصل فحسب كما ذهب إليه البعض.
- من الإعجاز البياني دقّة الفاصلة القرآنية التي تتّصل بجمال اللفظ، وبديع الإيقاع.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1. إبراهيم السامرائي، من وحي القرآن، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، ط1، 1401هـ/ 1981م.

2إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغويّة،مكتبة الأنجلو المصرية،ط1961،3 .

3. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الآنجلو المصرية، ط5، 1984

4.إبر اهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1978م

5. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952م

6. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلّق عليه:الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت.

7. ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دط 1390هـ/1971م.

8. ابن الجزريشمس الدّين محمد بن محمد الدّمشقي، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، 1421هـ/ 2001م.

9. ابن الجزري،شمس الدّين محمد بن محمد الدّمشقي، النشر في القراءات العشر، صحّحه محمد علي الضباع، دط، دت.

10. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م.

11. ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءاتو الإيضاح عنها، تحقيق:علي النّجدي ناصف، عبد الحليم النّجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف، القاهرة، دط، 1415هـ/ 1994م.

12. ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ/ 2007م.

13. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين ابن أحمد إعراب القراءات السبع وعللها، حققه: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، ط1، 1413هـ/ 1992م.

14. ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1387هـ/ 1967م.

15. ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت

16. ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، 1374هـ/1955م

17. ابن سنان الخفاجي الحلبي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.

18. ابن سينا، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلّق عليه: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت.

19. ابن سينا، الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، نشر وزارة المعارف العمومية، القاهرة.

20. ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطّيان، ويحي مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام وأحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1403هـ/ 1983.

21. ابن فارس، أبو الحسين أحمد زكريّا الرّازي، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1979م.

22. ابن فارس، أحمد بن زكرياء أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1399هـ/ 1979م.

23. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السّيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ/ 1973م.

24. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق:علي بن محمد العمران، إشراف:بكر بن عبدالله بوزيد، دار علم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّة، دط، دت.

25. ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمّد السّلامة لطلرّشطيوالتّوزيع، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1418ه/ 1997م.

26. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط1، دت.

27. ابن منظور،محمد بن مكرم الإفريقي المصري جمال الدّين أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت.

28. ابن هشام، عبد الملك بن أيّوب الحميري المعافري، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، تحقيقعمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب العربي،، ط3، 1410ه/ 1990م.

29. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح وتع : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413ه/1993م.

30. أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن–دراسة في النظم المعنوي والصّوتي- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

31. أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد ابن حنبل م4، دار صادر، بيروت، د ط، د ت

32. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دط، 1950/1370م.

33. أحمد البايبي، القضايا التّطريزية في القراءات القرآنية -دراسة لسانية في الصّواتة الإيقاعية- عالم الكتب الحديث إربد،الأردن،ط1، 2012.

34. أحمد الهاشمي، ميزان الذهب، حققه وضبطه: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.

35. أحمد كشك، من وظائف الصّوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب للنشر، القاهرة، ط1، دت.

36. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م.

37. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1418ه/ 1997م.

38. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي،مصطفى البابي الحلبي للنشر والتوزيع، مصر،ط1365،1ه/1946م.

39. الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411ه/ 1991م.

40. إخوان الصّفا، رسائل إخوان الصّفا وخلاّن أهل الوفا،دار المعارف،دط،دت

41. أرسطو، فن الشعر، تر:إبراهيم حمادة، هلا للنشر والتوزيع، ط1، 1999م.

42. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللّغة، إشراف:محمّد عوض مرعب، علّق عليها: عمر سلامي، عبد الكريم حامد، تقديم الأستاذة:فاطمة محمّد أصلان، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م.

43. أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دار السؤال للطباعة والنشر، سوريا، ط3، 1406هـ/1985م.

44. الأشموني، أبو يحي أحمد بن محمد عبد الكريم، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1393هـ/ 1973م.

45. الألوسي، شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق:علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، دط، دت.

46. الباقلاني ، محمد بن الطيب أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، دت.

47. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، دار الفكر، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة،اسطنبول، 1401هـ/1981م.

48. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط1، تمّوز / يوليو1994م .

49. الترّمذي،أبوعيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ، الجامع الصحيح (سنن الترّمذي)، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

50. تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت

51. تمام حسان، البيان في روائع القرآن –دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني- عالم الكتب القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م .

52. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م.

53. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1990م.

54. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/ 1998م.

55. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق:د: محمد رضوانالدّاية، ود: فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـ/ 2008م .

56. الجرجانيعلي بن محمد السّيد الشّريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.

57. الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغر ّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،ط1،1973 .

58. الخطيب التّبريزي، الكافي في العروض والقوافي، تحقيق: الحس ّاني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1415هـ/1994م.

59. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة-المعاني والبيان والبديع- وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م

60. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار إحياء التراث، بيروت، ط2، 1426 هـ/2005 م.

61. الر ّاغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد،المفردات في غر يب القرآن، تحقيق و ضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.

62. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/ 1973م.

63. الر ّماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن-في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي- حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ود: محمد زغلول سلام دار المعارف، مصر، ط3، دت.

64. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، إعراب القرآن، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بيروت، دط، 1404هـ/1982م

65. الزّركشي، بدر الدّين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1391 هـ/ 1972 م

66. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف —عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه:خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت،ط3، 1430هـ/2009م

67. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بستان العارفين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دط، دت

68. السمرقندي، محمد بن محمود بن محمد، روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد (مخطوط)، 139ظ

69. سيبويه، الكتاب،تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ط1، 1385هـ/1966م.

70. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1425هـ/ 2004م.

71. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط11، 1405هـ/ 1985م.

72. السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق:شعيب الأرنؤوط، علّق عليه:مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م.

73. السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق : فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م.

74. شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، الكويت، مارس 2001.

75. الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1402هـ/ 1981م.

76. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت ، ط10،1983

77. صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية- عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري-، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1429 هـ/2008 م.

78. الطباطائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1،1417هـ/1997م.

79. الطبري، أبو جعفر محمد ابن جرير، تفسير الطبري –جامع البيان عن تأويل آي القرآن- دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1412هـ/1992م.

80. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر ،ط2، 1987 .

81. عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة،ط5 1388هـ/1968م.

82. عبد الحكيم غلاب، صراع المذاهب والعقيدة في القرآن، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1989، بيروت، لبنان.

83. عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، دط، 1431هـ/2001م.

84. عبد السلام المسدّي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط2، 1986م.

85. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

86. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة بيروت، دط، 1400هـ/1980م.

87. عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية (من أسرار التعبير في القرآن)، دار المريخ، الرياض، ط2، 1402هـ/ 1982م.

88. عبد القادر مرعي الخليلالمصطلح الصّوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، جامعة مؤتة، 1993م.

89. عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003م.

90. عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.

91. عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ.

92. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، دط، 1996.

93. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، دط، دت.

94. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، دت.

95. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1399هـ/1979م

96. علي الجندي، صور البديع، فن الأسجاع (بلاغة، نقد، أدب)، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1370هـ/1951م.

97. غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 1425هـ/2004م.

98. غانم قدوري الحمد، رسم المصحف –دراسة لغوية تاريخية- اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ط1، 1402هـ/1982م.

99. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ

100. الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، أحمد عيسى حسن المعصراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.

101. فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية- تأصيلية- نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط2، 1417هـ/1996م.

102. الفخر الرّازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م.

103. الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النّجار، عالم الكتب، الأردن، ط3، 1403هـ/ 1983م.

104. فضل حسن عباس، القصص القرآني ، إيحاؤه و نفحاته، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1987

105. فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن، ورد شبهات)، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987 م.

106. فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن ، 1991م

107. الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، دط، 1987م.

108. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، الشركة العربية، مصر، ط1، 1380هـ.

109. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/1994م.

110. القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ/ 2000م.

111. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمّار، عمان، الأردن، ط3، 1417هـ/ 1996م

112. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدّين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1404هـ/1984م

113. كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، السعودية دط، 1397هـ/ 1977م.

114. كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2 1981م.

115. كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ط1، 1420هـ/1999م.

116. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1983

117. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1986.

118. مالمبرج، برتيل، علم الأصوات، تعريب ودراسةعبد الصّبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1984م.

119. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية نموذج الوقف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،1431هـ/2010م.

120. محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط2، دت.

121. محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار،عمان، الأردن،ط2،1421هـ/2000م.

122محمّد الطّاهر بن عاشور التّونسي، التّحرير والتّنويرتحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-الدّالتّونسيّة للنّشر، تونس، دط، 1984.

123. محمد جواد النوري وآخرون، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة رقم المقرر5340، ط1، عمان، الأردن، 1996م.

124. محمد حسين عليالصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.

125. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط5، 1980م.

126. محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجمالية التلقي، دار الفكر، القاهرة،ط1، 1996م.

127. مصلوح، سعد عبد العزيزدراسة السّمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ، عالم الكتب، دط، 1420هـ/ 2000م.

128. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنّحو، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر، ط2، 1958م.

129. ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، القاهرة، ط1،1997م.

130. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه:

131. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1،1977م.

الكتب الأجنبية:

1. Pellat. J-C : Indépendance ou Interaction de L'écrit et de L'oral ? Recensement Critique des Définitions du Graphème.
2. Brosnahan ,L,F and malmberg,london,new york,melbourne :cambridge university press,cambridge.

الرسائل الجامعية:

1. محمّد يوسف هاشم السّيّد، المناسبة بين الفاصلة القرآنيّة وآياتها دراسة تطبيقيّة لسورتي الأحزاب وسبأ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في التّفسير وعلوم القرآن، السّنة الجامعيّة: 1429هـ-1430هـ/ 2008م-2009م، الجامعة الإسلاميّة غزّة.
2. أمينة طيبي، الدّرس الصّوتي عند الفلاسفة المسلمين، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في اللّغة، السّنة الجامعيّة: 1425هـ-1426هـ/ 2004م-2005م، جامعة سيدي بلعبّاس.
3. محمّد المهدي بوروبة، ظواهر المثلث الصّوتي عند النّحاة واللّغويين حتى القرن الثّالث هجري، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في اللّغة، السّنة الجامعيّة: 1423هـ/ 2002م، جامعة تلمسان.
4. عبدالله الشّمايلة، الإيقاع في القرآن الكريم سورة المكّيّة-رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في التّفسير وعلوم القرآن، الجامعة الأردنيّة.

المجلات والدوريات:

1. مجلّة كنوز الفرقان، يصدرها الإتحّاد العام لجماعة القرّاء، مكتبة الإمام البخاري للنّشر والتّوزيع، مصر، العددان الأوّل والثّاني، محرّم وصفر 1369هـ، أكتوبر ونوفمبر 1949م، السّنة الثّانية.

2. مجلّة اللّسانيّات، جامعة الجزائر، العدد الخامس.

3. مجلّة المدّارة، المدينة المنوّرة، السّنة الخامسة عشر، العدد الثّالث، 1426هـ.

4. مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربويّة، العددان الثّالث والرّابع، المجلّد السّادس، 2007م.

5. مجلّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانيّة، العدد الخامس، جمادى الأولى 1426هـ/ حزيران 2005م.

6. عود النّدّ، مجلّة ثقافيّة فصليّة، العدد 95.

7. مجلّة حوليّات التّراث، جامعة مستغانم، الجزائر، 2009 العدد التّاسع.

8. مجلّة الموقف الأدبي، العدد 369، 31 يناير 2002.

الفهرس

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة: أ

مدخل: الفاصلة القرآنية المفهوم والوظيفة 01

الفصل الأول :الدّراسة الصوتية للفاصلة القرآنية

تمهيد: 48

المبحث الأول:التلقي والقرآن وفئة المتلقين 48

المبحث الثاني:الفاصلة والسّجع 61

المبحث الثالث:الفاصلة والوقف 72

الفصل الثاني:الدّلالة الصوتية

تمهيد: 119

المبحث الأول:مفهوم الدّلالة الصّوتية ومظاهرها 119

المبحث الثاني:صوتيات الدّلالة في القرآن الكريم 131

المبحث الثالث:دلالة الفاصلة القرآنية 179

الفصل الثالث:الدّلالة الصّوتية لفواصل سورة مريم

تمهيد: 185

المبحث الأول:سورة مريم ومحورها والجوّ الذي نزلت فيه 185

المبحث الثاني:اختيار الفواصل في سورة مريم 192

المبحث الثالث:الدراسة ما فوق المقطعية لفواصل السورة 221

خاتمة: 242

المصادر والمراجع: 247

الفهرس: 267

ملخص بحث

اتسم القرآن الكريم بنظام صوتي معجز، وقد شاءت إرادة الله العليا، واقتضت حكمته البالغة أن ينزل القرآن الكريم على رسوله الكريم تنزيلا ومتلوا في تلقيه وتبليغه وفي تناقله جيلا بعد جيل بطريقة شفوية صوتية وإنّ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم الفاصلة القرآنية التي ارتبطت بمعاني التركيب والآيات ، وهي أداة جمالية ، غايتها جذب الأسماع ، وإحساس الأذن بعذوبتها حين الترتيل والتجويد.

Résumé :

Le sain coran a été caractérisé par un système de son prodigieux, car la volonté suprême d'ALLAH a voulu et exigé qu'il vienne à saint prophet sinueux dans sa réception et son émission ainsi sa transmission génération après génération d'une façon orale acoustique , et parmi les aspects miraculeux du saint coran , le verset coranique qui s'attachait aux sens de synthèse et de verset. C'est un outil esthétique qui a pour objet d'attirer les auditeurs en donnant un sentiment de fraicheur à l'oreille durant la récitation et l'intonation .